جامعة اسكندرية
كلية الآداب
قسم التاريخ والآثار

العلاقات بين إيالة الجزائر والبـــاب العالى

من سنة ١٧٩٨ إلى ١٨٣٠ م

رســالة مقــدمة مــن الطالب /

خليفة ابراهيم حماش

لنيل درجـة الماجستير
فى التاريخ الحديث والمعاصر

تحت اشراف
الدكتور

خليل عبد الحميد عبد العال
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بالكلية

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

محتويات الرسالة

الفصل الرابع:
العلاقات العامة بين الجزائر والباب العالى

الفصل الخامس:
العلاقات الخارجية ((السياسية والعسكرية)) بين الجزائر والباب العالي

يعتبر العهد العثمانى من أهم فترات تاريخ الجزائر ، ولا ترجع تلك الأهمية إلى طول فترته الزمنية والمقدرة بثلاثة قرون ونيف فحسب ، وانما أيضا لاعتبارات أخرى سياسية واجتماعية وثقافية تركها ذلك العهد ولا تزال بصماتها عالقة الى اليوم بالجزائر كدولة ومجتمع . إلا أن هذا العهد لم يحظ بعد بالقدر الكافى من البحث والدراسة . واذا كانت مدرسة التاريخ الجزائرية لا تزال فى بداية نشاطها وليس لها الكثير من التجارب وامكانات البحث ، الا أن ماقدمته من اسهام حتى الآن يشير الى إحساسها بالمسئولية وقدرتها على الانجاز فى المستقبل (*) . ورغبة فى المشاركة فى مجال الكتابة العلمية فى التاريخ العثمانى ، اختير موضوع " العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالى من سنة ١٧٩٨م الى ١٨٣٠م " باعتباره من الموضوعات التى تحتاج الى من يزيل عنها الغموض ويكشف عن بعض حقائقها . ويرجع سبب اختيار تلك الفترة الزمنية الى أن تاريخها الأول (١٧٩٨م) هو تاريخ وفاة حسن باشا الذى أعيدت فى عهده الى الجزائر وحدتها الجغرافية باسترجاع مدينتى وهران والمرسى الكبير من أيدى الاسبان ، وحصوله بذلك على لقب " وزير " من الباب العالى . أما تاريخها الثانى (١٨٣٠م) فهو الذى حدث فيه الغزو الفرنسى للجزائر وبه انتهى العهد العثمانى فيها . وقد عولجت الدراسة فى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة .

(*) أبرز من كتب عن العهد العثمانى فى الجزائر : الشيخ أحمد توفيق المدنى والدكتور أبو القاسم سعد الله والدكتور محمد العربى الزبيرى والاستاذ ناصر الدين سعيدونى .

مقدمة

تناول **الفصل الأول** الذى يعتبر مدخلا للدراسة ، تأسيس الأيالة الجزائر عام ١٥٢٠م فى اطار الدولة العثمانية ، ثم مراحل تطور الحكم العثمانى بها .

وعالج **الفصل الثانى** نظام الادارة العثمانية فى الجزائر باعتباره أحد أوجه العلاقات مع الباب العالى بصفة خاصة وباقى الأيالات العثمانية بصفة عامة .

وخصص **الفصل الثالث** لنظام الجيش العثمانى فى الجزائر الذى يعتبر وجها آخر لتلك العلاقات .

وعالج **الفصل الرابع** الأوجه العامة للعلاقات بين الجزائر والباب العالى والتى كانت بمثابة الحبال القوية التى ظلت تشد الأيالة الى الدولة العثمانية حتى الغزو الفرنسى لها عام ١٨٣٠م .

أما **الفصل الخامس** فقد تناول أهم ملامح العلاقات الخارجية فى المجالين السياسى والعسكرى بين الأيالة و الباب العالى .

وانتهت الدراسة بخاتمة تضمنت تحليلاً وتفسيراً لطبيعة العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالى .

ورغم أن هذا الموضوع – الذى يكتب فيه لأول مرة باللغة العربية – جديد فى كليته ، الا أن هناك بعض الدراسات التى تناولته جزئيا من الضرورى الاشارة اليها . وتأتى فى مقدمة تلك الدراسات (الجزئية) رسالة الدكتوراه

التى قدمها " حاييم وايسمن " فى جامعة باريس عام ١٩٣٨م حول الجيش الانكشارى فى الدولة العثمانية والجزائر ، ثم البحث الذى نشرة " مارسيل كولومب " بالفرنسية فى المجلة الافريقية لعام ١٩٤٣م حول عمليات التجنيد التى كانت الأيالة تقوم بها فى الاقاليم العثمانية ، وكذلك الدراسة التى أعدها المؤرخ التركى " أرجمند كوران " حول موقف الدولة العثمانية من الاحتلال الفرنسى للجزائر بين سنتى ١٨٢٧ — ١٨٤٧م ، وترجمها الدكتور عبد الجليل التميمى الى العربية • ويمكن الاشارة فى النهاية الى دراسة " روبير مونتران " حول العلاقات بين تونس والباب العالى والتى نشرها بالفرنسية فى " كراسات تونس " لعام ١٩٥٢م ، ثم جعلها مقدمة لكتابة حول وثائق تونس التركية المحفوظة فى دار الباى بمدينة تونس •

وتعد هذه الدراسة (الأخيرة)- رغم أن موضوعها ليس الجزائر- ذات قيمة علمية كبيرة ، اذ يمكن اعتبارها حتى الآن النموذج الوحيد الذى يقتدى به فى الدراسات حول العلاقات بين الباب العالى والأيالات المغربية ذات الوضع المتشابه •

وقد اعتمدت الرسالة الحالية على تلك الدراسات القيمة وعلى غيرها مما ورد فى ثبت المصادر والمراجع • ثم أضيف الى تلك الدراسات المصادر الأولية من مؤلفات ووثائق فى مختلف المكتبات ودور الأرشيف بالجزائر ومصر وتونس وفرنسا وبريطانيا و تركيا •

التعريف بأهم مصادر ومراجع البحث

إعتمد هذا البحث على مجموعة من المصادر منها ماهو مخطوط لم ينشر ومنها ماقد تم نشره ، بالاضافة الى مجموعة أخرى من المراجع ذات القيمة العلمية والتى تمس الموضوع بطريقة مباشرة أوغير مباشرة • وقد خصص هذا التعريف بأهم تلك المصادر والمراجع لكى يتضح دورها فى تعزيز الصدق التاريخى للبحث •

أولا : الوثائق

وثائق تاريخ الجزائر العثمانى :

وهى وثائق مصورة أحضرها الشيخ أحمد توفيق المدنى من قسم الوثائق المعروف باسم " خط همايون " فى أرشيف رئاسة الوزراء باستانبول ،وهى الآن محفوظة بأرقامها الأصلية فى مركز الدراسات التاريخية بمدينة الجزائر ، وعددها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثيقة تغطى معظم العهد العثمانى فى الجزائر • وقد اهتم المركز بها وأسند مهمة ترجمتها للأستاذ التركى فكرى طونا ، وهو أحد خريجى كلية الشريعة باستانبول •

دفاتر الجزائر العربية والتركية :

وهى سجلات الادارة الجزائرية فى العهد العثمانى • وقد

أخذها الفرنسيون إلى بلادهم عند خروجهم من الجزائر ، وتمكنت الحكومة الجزائرية من استرجاع قسم منها عام ١٩٦٥م ، والقسم الباقي عام ١٩٨١م . وقد اهتم بها بعض الباحثين ومن أبرزهم الدكتورعبدالجليل التميمي (تونسي) الذي تمكن من وضع أول فهرس مفصل لها (موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر ، تونس ١٩٨٣) . وقد حفظت السجلات المذكورة في مركز الدراسات التاريخية بمدينة الجزائر . ونظرا لعدم ترتيبها فإنه يصعب على الباحث الاطلاع عليها إلا في الأرشيف الوطني بباريس حيث يحتفظ بنسخة منها على شكل " ميكروفيلم ". وهذه الدفاتر ذات أهمية بارزة فيما يتعلق بمعرفة الأشكال الصحيحة والأصلية لمصطلحات الادارة الجزائرية في العهد العثماني والتي ورد معظمها في المراجع بأشكال مختلفة وخاطئة أحيانا .

مراسلات دايات الجزائر :

إذا كانت سجلات الجزائر العربية والتركية تمثل القسم الأول من أرشيف الجزائر في العهد العثماني ، فان "مراسلات دايات الجزائر" تشكل جزءا من قسمه الثاني . وقد عثر على تلك المراسلات الدكتورعبد الجليل التميمي ضمن مخطوطات المكتبة الوطنية التونسية ، وهي عبارة عن وثائق مجمعة على شكل مخطوط ومكتوبة باللغة العربية وبخط مغربي ، لكنها ليست أصلية وإنما أغلبها مترجم عن الأصل المكتوب معظمه ــ كما يبدو من الترجمة ــ باللغة العثمانية والقليل منها فقط منقول عن الأصل المكتوب باللغة العربية . وهذه الوثائق بعضها عبارة عن فرمانات من الباب العالي إلى باشاوات الجزائر والباقي عبارة عن رسائل بعث بها إليهم وكلاء الأيالة في المدن العثمانية مثل إزمير

والاسكندرية وتونس ، وتغطى جميعا الفترة الواقعة بين سنتى ١١٨٣–١٢٤٥هـ/ ١٧٦٩ – ١٨٣٠م .

– الوثائق الفرنسية والبريطانية :

تعد أقسام الأرشيف الفرنسى والبريطانى من أهم المصادر التى يعتمد عليها الباحثون فى إنجاز دراستهم ، وبإمكان الباحث أن يستخرج من وثائقها المتنوعة معلومات تاريخية لا تجود بها أحيانا وثائق البلد الذى يتعلق به موضوعه . وكان أهم قسم استندت إليه الرسالة من هذه الوثائق هو المتمثل فى وثائق وزارتى الخارجية فى باريس ولندن والذى يشتمل على مراسلات قناصل البلدين (فرنسا وبريطانيا) فى الجزائر وسفرائهما فى استانبول .

ثانيا : المؤلفات

مذكرات أحمد الشريف الزهار ، نقيب أشراف الجزائر

حقق هذا المؤلف أحمد توفيق المدنى ونشره فى الجزائر عام ١٩٨٠م ، ويعد أهم مصدر للفترة المتأخرة من العهد العثمانى فى الجزائر خصوصا وأن المحقق انتزعه انتزاعا من مدير الأمور الأهلية الفرنسى أثناء الاحتلال . وقد ولد صاحب المذكرات فى عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨٠م وتعلم وتفقه على أيدى علماء الجزائر وتولى وظيفة نقابة الأشراف بعد وفاة والده . وكان من بين الأشخاص الذين شملهم الطرد الجماعى عام ١٨٣٢م من قبل قواد الجيش الفرنسى . فتوجه إلى تونس ، ومنها عاد إلى قسنطينة حيث عمل كاتبا لدى حاكمها الحاج أحمد باي إلى أن سقطت المدينة فى يد الفرنسيين عام ١٨٣٧م . وبعدها توجه إلى الناحية الغربية من الجزائر حيث دخل فى خدمة الأمير عبد القادر . وبعد القضاء على مقاومة هذا الأخير عام ١٨٤٨م توجه أحمد الشريف الزهار إلى فاس ومنها عاد إلى مدينة الجزائر حيث اشتغل بالتجارة وتفرغ لتحرير مؤلفه المذكور والذى لم يصلنا سوى قسمه الأول ، وهو مقسم إلى أحد عشر فصلا تعادل عدد الولاة الذين أرخ لهم ابتداء من على بوصباع باشا (١١٦٨-١١٧١هـ/ ١٧٥٤ - ١٧٦٦م) إلى آخر الولاة العثمانيين حسين باشا (١٢٣٣ - ١٢٤٦هـ/ ١٨١٨ - ١٨٣٠م) .وقد اتبع المؤلف فى كتابه منهجا موحدا فى جميع الفصول ، فيبدأ بإسم الوالى الذى يؤرخ له ثم تاريخ توليه الحكم وبعد ذلك الأحداث التى وقعت فى عهده بالتسلسل واضعا كل حدث هام أو مجموعة من الأحداث المتشابهه تحت عنوان بارز خاص بها ، مما جعل الكتاب أكثر سهولة . ولم

ينطلق أحمد الشريف الزهار فى تاريخه بوصفه عضوا فى الهيئة الحاكمة وإنما كفرد من الرعية وعالم من علمائها ، ولذلك كان يبتعد فى كثير من الأحيان عن أسلوب السرد الجاف للأحداث ويلجأ إلى تفسيرها .

المـــرآة

ظهر هذا الكتاب لأول مرة مترجما عن العربية إلى الفرنسية بعنوان " Aperçu historique sur la Régence d'Alger " ، أى "نظرة تاريخية عن أيالة الجزائر "، وذلك فى باريس عام ١٨٣٣م . وصاحب الكتاب هو حمدان بن عثمان خوجة المولود فى الجزائر قبل بضعة سنوات فقط من مولد أحمد الشريف الزهار . وهو من أصل " قول أوغلى " (أى أب عثمانى وأم جزائرية) . وسمحت له ظروفه العائلية أن يتعلم كثيرا من العلوم التى كانت سائدة فى عصره ، وكذلك الاطلاع على الثقافات الأوروبية . ويكفى القول عنه أنه كان عالما فى الشريعة ومطلعا على التاريخ والقوانين الدولية ، كما كان يحسن اللغتين الأنجليزية والفرنسية علاوة عن العربية والعثمانية .وكان الدافع الرئيسى لتأليف كتابه ونشره فى فرنسا هو إطلاع الرأى العام الأوروبى ولا سيما الفرنسى على الأحداث الجارية فى الجزائر بعد الاحتلال الفرنسى لها .
وأما عن محتوى الكتاب فإنه شمل موضوعات عديدة جغرافية واجتماعية وتاريخية وسياسية وقانونية . وأهم قسم منه بالنسبة لموضوع البحث هو المتعلق بالجانب التاريخى الذى يتناول نظام الحكم العثمانى فى الجزائر . ونظراً لأهمية الكتاب فانه ترجم إلى العربية لأول مرة من قبل الأستاذ محمد بن عبد الكريم ونشر فى بيروت عام ١٩٧٢م ، ثم ترجم مرة ثانية من قبل الدكتور محمد العربى

الزبيري ونشر في الجزائر عام ١٩٨٢م ، وهي الترجمة التي اعتمد عليها البحث.
لكن الترجمة في كلتا الحالتين لم تستطع أن تنقل قيمة الكتاب الحقيقية الكاملة،
وهي القيمة الموجودة بدون شك في أصله العربي المفقود .

مرآة الجزائر (بالعثمانية)

يتشابه هذا الكتاب في العنوان مع الكتاب السابق ، ومؤلفه هو
علي رضا باشا (ابن حمدان بن عثمان خوجة مؤلف الكتاب السابق) . وقد
انتقل المؤلف مع أبيه إلى استانبول بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر،
وشب هناك وتعلم وترقى إلى رتب سامية في الجيش العثماني وتولى مناصب
عالية في الدولة . وقد ألف كتابه بالعربية وترجمه (عند وفاته عام ١٢٩٣هـ/
١٨٧٦م) علي شوقي باشا إلى العثمانية ونشره في استانبول . وقد عالج
المؤلف تاريخ الجزائر ابتداء من عهد "أروج" - بشيء من الخلط في التواريخ
وعدم التمييز بين الأحداث - إلى ما بعد استيلاء الجيش الفرنسي عليها .

مذكرات كاثكارت (جيمس ليندز)

صاحب هذه المذكرات أمريكي الجنسية ، أسره الجزائريون على
متن السفينة الأمريكية " ماريا بوسطن " في البحر المتوسط عام ١٧٨٥م . وقد
مكنه ذكاؤه ونشاطه من التخلص من قيود الاسر والدخول في خدمة والي
الجزائر محمد بن عثمان باشا حتى أصبح أحد المقربين إليه ، وفي عام ١٧٩٦م
أفرج عنه وعاد إلى بلاده ، ولم يلبث أن عين قنصلا لأمريكا في الايالات المغربية .

ولم يشأ " كاثكارت " كغيره من الأجانب الذين قادهم الحظ إلى الجزائر أن يحرم التاريخ من المعلومات التى تجمعت فى ذاكرته خلال إقامته فى الجزائر، فسجل مذكراته التى نشرت لأول مرة فى الولايات المتحدة فى نهاية القرن الماضى وترجمها الأستاذ إسماعيل العربى إلى العربية عام ١٩٨٢م ونشرها فى الجزائر، وقد أورد " كاثكارت " فى مذكراته معلومات شملت موضوعات عديدة مثل حياة الأسرى فى الجزائر وحياة الباشا داخل دار الامارة ، وكذلك الادارة الجزائرية والأجهزة التى تتكون منها ، بالاضافة إلى العمارة العثمانية بالجزائر ومميزاتها ومعلومات خاصة بالأسطول وأخرى بالعلاقات بين الايالة والولايات المتحدة .

مذكرات وليام شالر (قنصل أمريكا فى الجزائر ١٨١٦–١٨٢٤م)

وهذه المذكرات هى الأخرى من ترجمة الأستاذ إسماعيل العربى ، ونشرت فى الجزائر عام ١٩٨٢م ، وقد ظهرت لأول مرة فى " بوسطن " عام ١٨٢٦م ، وترجمت إلى الفرنسية ونشرت فى باريس عام ١٨٣٠م ليستفيد منها الجيش الفرنسى فى معرفة خبايا الادارة الجزائرية ، ويوجد مخطوط هذه الترجمة فى أحد مؤلفات أرشيف الجيش البرى بوزارة الحربية بباريس. والمؤلف عدو لدود للنظام العثمانى فى الجزائر واعتبره غير صالح لتقدم سكان المنطقة ودعا الأوروبيين إلى الاطاحة به وشرح لهم الخطة التي يتبعها الجيش الذى يرسل إلى الجزائر من أجل ذلك . وتنقسم المذكرات إلى ثلاثة أقسام القسم الأول خاص بجغرافية الجزائر والحياة الاجتماعية والسياسية فيها ، والقسم الثاني خاص بيوميات "واليام شالر"، أما القسم الثالث فيتصل ببعض الوثائق الخاصة بعلاقات الجزائر الخارجية .

(تونس والجزائر Tunis et Alger au 18° = siecle في القرن الثامن عشر) .

مؤلف هذا الكتاب هو الخبير السياسي بشئون الشرق ، الفرنسي " فونتيير دو بارادي Venture de Paradis " والمتخرج من معهد اللغات الشرقية في باريس . وقد زاول المؤلف وظائف عديدة في سفارة فرنسا باستانبول ، وفي قنصلياتها الموزعة على مختلف المدن العثمانية ، وبصفة خاصة في تونس بين سنتي ١٧٨٠ – ١٧٨٦م ، ثم في الجزائر بين سنتي ١٧٨٨ – ١٧٩٠م . واستطاع خلال تلك السنوات أن يكتب تقارير عديدة ضمنها معلومات غزيرة عن الحياة السياسية والاجتماعية في الايالتين (تونس والجزائر) . وقد جمع تلك التقارير الفرنسي " جوزيف كوك " وحققها ونشرها تحت العنوان المشار إليه في باريس عام ١٩٨٣م . والكتاب يعد في الحقيقة فريدا من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوى عليها بخصوص سير الادارة الجزائرية بمختلف أجهزتها العسكرية والمالية والأمنية وكذلك مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الايالة ، وقد ساعدت المؤلف معرفته الجيدة باللغتين العثمانية والعربية ، على فهم أغلب المسائل المتعلقة بتلك الموضوعات ، مما جعل الكتاب يمتاز بالدقة في الوصف ، وهي الميزة التي تكاد لا توجد في المؤلفات الأوروبية الأخرى في تلك الفترة .

(الأتراك في Şimali Afrika'da Turkler افريقيا الشمالية) .

مؤلف هذا الكتاب هو التركي عزيز سامح إيلتر (١٨٧٧–١٩٤٨م)،

وبالرغم من أن المؤلف كان متخصصا فى الشئون العسكرية وأعمال السكك الحديدية إلا أنه استطاع أن يقدم أهم كتاب ألف فى تركيا حول الايالات المغربية الثلاث ومعها سلطنة فاس،وقد استقى المؤلف مادته التاريخية من مؤلفات عثمانية وألمانية وفرنسية ، علاوة على العدد الوفير من الوثائق التى انتقاها من الأرشيف العثمانى باستانبول ونشر عددا منها بين صفحات الكتاب ، مما كثف معلوماته التاريخية ، وجعله ذا أهمية كبيرة لأى باحث فى تاريخ المغرب فى العهد العثمانى • وقد نشر الكتاب فى إستانبول فى جزئين عام ١٩٣٧م، وقام الدكتور عبد السلام أدهم بترجمة القسم الخاص منه بطرابلس وتونس،ونشره فى طرابلس بليبيا عام ١٩٦٩م ،وبقى القسم الخاص منه بالجزائر وفاس •

أما بالنسبة للدولة العثمانية فان أهم مايمكن التطرق اليه والتعريف به من مؤلفات فهو :

Histoire de L'etat present de L'Empioe Ottoman

(التاريخ الحالى للدولة العثمانية)

مؤلف هذا الكتاب هو الأنجليزى " Escuyer Ricaut " الذى تولى وظيفة مترجم لكونت " وينشيلسى Winchelsy " رئيس سفارة الملك البريطاني تشارلز الثاني Charles II " إلى السلطان العثمانى محمد الرابع (١٠٥٨ ــ ١٠٩٩ هـ / ١٦٤٨ ــ ١٦٨٧م) • وقد ترجم الكتاب إلى الفرنسية ونشر فى باريس عام ١٦٧٠م • ويمكن تقسيم معلوماته التاريخية إلى ثلاثة أقسام : قسم خاص بحياة العثمانيين الاجتماعية والدينية،

وقسم ثان خاص بنظام الحكم فى الدولــة العثمانية وقواتها البرية والبحريـــة ، وقسم ثالث خاص بوضع الدولــة العثمانية الاقتصادى وعوائدها المالية •

Tableau Peneral de L'Empire Ottoman (تاريخ الدولــة العثمانية العام)

مؤلف هذا الكتاب هو أحد رعايا الدولــة العثمانية وإسمه " موراد جة دو صون Mouradgea D'ohsson " المولود فى استانبول عام ١٧٤٠م مـــن أب أرمينى ولـــد هو الآخر بنفس المدينة عام ١٧٢١م وعمل مترجمـــا فـــى القنصلية السويدية بإزمير • وقـــد تعلم " دو صون " عن والده مهنة الترجمـــة وبدأ يمارسها وهو فى سن الثالثة والعشرين حيث عين مترجما فى السفــــارة السويدية باستانبول • وفى عام ١٧٦٨م رقى إلى رئيس المترجمين فى نفـــس السفارة • ونظرا لأصل " دو صون " الأرمينى فانه كان كثير الاحتكاك بالأوروبيين، فتربى تربية غربية وتعلم اللغات الأوروبية واهتم بثقافات الغرب الأوروبـــى ، لكنه كان فى نفس الوقت شديد الاهتمام بتاريخ المسلمين وحضارتهم.ومـــن خلال إطلاعــه الواسع على مختلف المصادر العثمانية ، تمكن من وضع المخطط العام لمؤلفه المشار إليه والذى أخذه معه عندما غادر استانبول عـــام ١٧٨٤م، إلى فرنسا [١] حيث نشر الجزء الأول منه عام ١٧٨٧م وأهداه لملك السويـــد ،

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول حياة " دو صون " راجع الدراسة الـــتى أعدها حوله كمال بايديللى ونشرها فى " مجلة التاريخ " التى تصدرها كلية آداب جامعة استانبول ،عدد ٣٤/ ١٩٨٣ــ١٩٨٤، ص ٢٤٧ــ ٣١٤ •

ونشر الجزء الثانى منه بعد ذلك عام ١٧٩٠م، أما الجزء الثالث والأخير من الكتاب فلم ينشر إلا فى سنة ١٨٢٠م .

والكتاب مقسم بأجزائه الثلاثة إلى قسمين كبيرين ، أحدهما خاص بنظام الحكم فى الدولة العثمانية ويشتمل على خمسة فصول ، أولها يتعلق بالديانة الاسلامية ، والثانى بالحالة الاجتماعية ، والثالث بالقضاء ، والرابع بالنظام السياسى والخامس بالنظام العسكرى . أما القسم الثانى من الكتاب فخاص بتاريخ الدولة العثمانية منذ تأسيسها حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ، مع تناول لنظامها الادارى والتشريعى . وبخصوص جمع مادة هذا الكتاب الغريب والذى يعد من أهم المصادر التى يرجع إليها المهتمون بتاريخ الدولة العثمانية ، يقول صاحبه فى المقدمة أنه كان يرجع إلى الوزراء وكبار الموظفين فى مختلف الأجهزة الادارية فى الباب العالى والذين بلغت ثقتهم به أنهم كانوا يسلمونه ملخصات السجلات الادارية التى يشرفون عليها ، كما كان يرجع إلى نساء الحريم اللائى يطلق سراحهن بعد قضاء بضعة سنوات داخل قصر السلطان العثمانى ، ذلك إلى جانب رجوعه إلى الوثائق والتقارير التى كان يحررها رجال الدولة مثل العلماء والباشاوات ورؤساء الكتاب ووزراء المالية وغيرهم .

Charte turque (النظام العثمانى)

مؤلف هذا الكتاب هو الرحالة الفرنسى " ألفيوغراسى Alféo Grassi) الذى زار استانبول فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى

وجمع إنطباعاته عنها فى كتابه المذكور والذى نشره فى جزئين بباريس عام ١٨٢٥م • ويعد المؤلف أحد المعجبين بالدولة العثمانية والمدافعين عنها ضد المزاعم التى روج لها بعض الأوروبيين فى كتاباتهم عنها ، حتى أنه اعتبر النظام الذى كان سائدا فيها أكثر حرية من الأنظمة التى كانت سائدة فى أوروبا • أما عن محتوى الكتاب فيتعلق بصفة عامة بجوانب الحياة الدينية والاجتماعية ونظام الجيش فى الدولة العثمانية •

Etatmilitaire Ottoman (النظام العسكرى للدولة العثمانية) •

مؤلف هذا الكتاب هو أحمد جواد باى ، وكان أحد الضباط فى الجيش العثمانى خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر • والكتاب فى أصله عبارة عن موسوعة تضم إثنين وعشرين جزءا تتعلق بمختلف النظم والتشكيلات العسكرية فى الدولة العثمانية • أما المؤلف الذى اعتمدت عليه الدراسة فهو القسم الأول من الجزء الأول من تلك الموسوعة ، وقد ترجمه " جورج ماكريد G. Macride " ونشره فى باريس عام ١٨٨٢م ، وهو خاص فقط بالجيش الانكشارى من حيث تاريخ تأسيسه ونظامه الداخلى إلى أن تم القضاء عليه عام ١٢٤١ هـ/ ١٨٢٦م فى عهد السلطان محمود الثانى • والكتاب متبوع بمجموعة صور مفصلة للألبسة والأسلحة والخيم والشارات التى كان يستعملها ذلك الجيش •

مؤلفات الدكتور اسماعيل حقي ازون جارشيلي " ١٨٨٨-١٩٧٧ "

يعد أزون جارشيلي أكبر المؤرخين الاتراك الذين اهتموا بتاريخ الدولة العثمانية ، وتمكن من إنجاز عدد من الدراسات المتكاملة فيما بينها على شكل موسوعة تغطي معظم جوانب التاريخ العثماني ، واعتمد في جمع مادتها العلمية على مصادر مختلفة عثمانية وفرنسية وأنجليزية (من بينها المؤلفات المذكورة) ،علاوة على وثائق الأرشيف العثماني باستانبول حيث كان له مكتب خاص • وأهم مؤلفات هذا الباحث التي اعتمدت عليها الدراسة :

Osmanlı devletı teşkilatindan Kapukulu Ocakları ,
Cild 1 "a cemi ocağı re yeniçeri ocağı""

(نظام الجيش العثماني
الجزء الأول ،أعجمي أوجلغي ويكنجري أوجاغي) •

(نظام السراى العثماني) Osmanlı devleti, Saray Teskilâti.
Osmanli Devletinin Merkez ve Bahriye teşkilâti,

(نظام الادارة المركزية والبحرية في الدولة العثمانية) •

وقد صدر الأول منها عام ١٩٤٣م والثاني عام ١٩٤٥م والثالث عام ١٩٤٨م ،ثم صدرت كلها بعد ذلك في طبعات أخرى متتالية •

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

A.I.E.O.	Annales d'Institut d'Etudes Orientales
C.C.C.	Correspondance consulaire of commerciale
C.P.	Correspondance Politique.
C.T.	Cahiers de Tunis.
F.O.	Foreign Office.
M.D.	Memories et Documents.
M.R.	Memoires et Reconnaissance.
N.	Note.
R.A.	Revue Afrikaine.
R.H.C.	Revue d'Histoire de Colonies.
S.	Sahifa.

الفصل الأول

((تمهيـــــــد))

تأسيس إيالة الجزائر

ومراحل الحكم العثماني بها

يرتبط الوجود العثماني في المغرب الأوسط ارتباطا وثيقا بسقوط الأندلس • فبعد الاستيلاء على غرناطة عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م[١] رأى الملك الاسباني " فرديناند Ferdinand " بإيعاز من مستشاره " الكاردينال خيمينيز Ximinez " نقل الحرب ضد المسلمين إلى بلاد المغرب لأنه كان العمل العسكري الوحيد الذي يضمن ـ حسب اعتقاده ـ تحقيق نصر حاسم عليهم وقطع دابر رجعتهم مرة أخرى إلى الأندلس[٢] •

وفي إطار هذه الخطة احتل الاسبان مدينة المرسى الكبير (غربي الجزائر) عام ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م ، ثم مدينة وهران القريبة منها عام ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م • ولكي يتمكن الاسبان من محاصرة ساحل المغرب الأوسط بكامله ، مدوا سيطرتهم نحو الشرق ، فاحتلوا بجاية في نهاية ٩١٥هـ/ بداية ١٥١٠ م ، ثم أجبروا ـ تحت وطأة التهديد ـ مدينة الجزائر على الاستسلام لهم والاعتراف بسيادة الملك الاسباني[٣] • وبنفس الطريقة استسلمت لهم بعض المدن الأخرى مثل جيجل ودلس[٤] •

---

(١) حول تفاصيل سقوط غرناطة راجع : عادل سعيد بشتاوي الأندلسيون المواركة ، ص ٩٢ ـ ١٠١ •

(٢) باريس ، أرشيف وزارة الحربية ، قسم الجيش البري ، M.R./Algerie صندوق ٨٨١ ، مذكرة ١ ، مذكرة تاريخيه حول الجزائر والأيالات المغربية ، ص ٢ •

(٣) نفس المصدر ، ص ٢ ـ ٩ •

(٤) Rand, S. et Denis, F. Fondation de la Régence d'Alger, TII, P. 142.

وبينما كان سكان المدن المذكورة يعانون من سياسية إسبانيا الاستعمارية ،إذا بأخبار جماعة من البحارة المشارقة المقيمين في ميناء " حلق الوادي " القريب من مدينة تونس ، تصل بما كانت تحمله من صور لمعاركهم البطولية ضد السفن الاسبانية إلى مسامعهم ، فعلقوا عليهم أمل مساعدتهم على التخلص من سيطرة الحاميات الاسبانية . وكان على رأس هؤلاء البحارة الأخوان " أروج " وخير الدين اللذان يعرفان -عند الأوروبيين خصوصا- باسم " باربروس " (١) .

وكانت أول دعوة وجهت للأخوين وقبلاها من أجل قدومهم إلى المغرب الأوسط ، قد تمت على أيدي أهل بجاية ، وكان ذلك في أغسطس ١٥١٢ م . وتمكن " أروج " من مناوشة الاسبان في حصن بجاية ثم قفل راجعا إثر إصابته ، إلى " حلق الوادي " (٢) .

وبعد سنتين من تلك المحاولة ، (أي في ٩٢٠ هـ / ١٥١٤م) رجع " أروج " مرة ثانية إلى المغرب الأوسط ونجح في الاستيلاء على حصن مدينة جيجل بخطة دلت على معرفته بالمنطقة وبرهنت على قدرته العسكرية ، وغنم " أروج " غنائم كثيرة ، وزع قسما منها على أتباعه وأعد من القسم الآخر هدية أرسلها إلى السلطان العثماني سليم (٩١٨ - ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ - ١٥٢٠ م) . وكان رد هذا الأخير على تلك الهدية بأن أرسل إلى " أروج " وأخيه خير الدين كتابا أثنى فيه عليهما ،وسفينتين مجهزتين بالمجاذيف على

---

(١) حول تفاصيل حياة الأخوين "أروج "وخير الدين أنظر : علي رضا سيفي : باربروس خير الدين .

Grammont, H. de, Histoire d'Alger, pp 19-21

وراجع ايضا : Rozet, P., Alger, pp. 215-216.

متنها عددا من الجنود [1] • وبذلك نجح " أروج " فى جذب انتباه السلطان العثمانى إلى الأحداث التى كانت تجرى فى الحوض الغربى للبحر المتوسط وجعله يشعر بالآمال التى كان يعلقها أهل المغرب الأوسط على دولته من أجل تقديم المساعدة إليهم لتخليص مدنهم من الهيمنة الاسبانية • وبذلك فتح " أروج " أول أبواب العلاقات السياسية والعسكرية مع الدولة العثمانية ومهد السبيل للوجود العثمانى فى المغرب الأوسط•

ومن مدينة جيجل زحف " أروج " وجنوده نحو بجاية ، وبدأ حصاره لها فى رجب أو شعبان ، ٩٢٠ هـ / سبتمبر ١٥١٤م•وبعد أن اتضح له استحالة تحقيق انتصار حاسم على الحامية الاسبانية المتمركزة بها قرر الرجوع إلى جيجل التى اتخذها قاعدة ثانية له بعد حلق الوادى [2] • إلا أن أروج لم يلبث أن عاد مرة أخرى إلى بجاية وكرر حصاره لحاميتها من جهتى البر والبحر • وتمكن بعد معارك ضارية من فتح خمس ثغرات فى الحصن الاسبانى وشن هجوم شامل عليه ، إلا أن نفاذ الذخيرة لدى الجنود جعله يوقف الهجوم [3] • وعندما رفض السلطان الحفصى مولاى محمد تزويده بالامدادات التى أرسل فى طلبها منه ، قرر أروج رفع الحصار على الحصن الاسبانى والعودة إلى جيجل ، وذلك بعد أن قام باحراق سفنه التى كانت

---

(١) باريس ، المكتبة الوطنية ، مخطوط رقم ٨٧٨غربى ، سيرة خير الدين (مجهول المؤلف) ، ص ١٩ ــ ٢٠ ، راجع أيضا : على رضا باشا مرآت الجزائر ، ص ١٤ ــ ١٥ •

(٢) Grammont ، المصدر السابق ص ١٩ •

(٣) مذكرة تاريخية حول الجزائر والايالات المغربية ، ص ٢١ •

قد غاصت بأجزائها السفلى فى طمى نهر الصومام ، حتى لا يستفيد منها عدوه من بعده [١] .

وفى أوائل عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م علم أهل مدينة الجزائر(الثعالبة) بموت الملك الاسبانى (فرديناند) ، فصعدوا من ثورتهم ضد الحامية الاسبانية المتمركزة فى حصن الفنار الذى أقامه الاسبان فى إحدى الجزر الصغيرة المقابلة للمدينة . وعندما أدركوا أنهم فى حاجة إلى مساعدة خارجية أرسلوا إلى " أروج " يطلبون قدومه إليهم . فاستجاب لهم وأرسل إلى المدينة مددا عسكريا تمثل فى ثمانى عشرة سفينة شراعية وثلاث سفن صغيرة محملة بالجنود والذخائر ، بينما توجه هو إليها برا على رأس جيش من المشاة بلغ عدده خمسة آلاف جندى معظمهم من أهل البلاد [٢] .

وعندما وصل أروج الى مدينة الجزائر شرع فى تطبيق خطة عسكرية يبدوا أنه رتب لها قبل وصوله إلى المدينة ، مستفيدا فى ذلك من تجاربه السابقة فى بجاية وجيجل . فقبل أن يباشر هجومه على الحامية الاسبانية، زحف غربا نحو مدينة شرشال الساحلية وتمكن من دك الحصن الاسبانى بها . وعند رجوعه إلى الجزائر شرع فى قصف حصن الفنار ، واستمر فى ذلك بضعة أيام ، لكن قذائف مدافعه كانت ضعيفة ولا ترتطم بجدرانه إلا نادرا [٣] .

---

(١) سيرة خير الدين ، ص ٢١ ــ ٢٢ ، وراجع أيضا : Rozet المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) Rang, et Denis المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٧٧ ــ ٧٨ .

ومن المحتمل أن " أروج " أدرك أن الحرب ضد إسبانيا سيطول مداها ، وأن حسمها لا يتوقف على مهاجمة حامياتها المنتشرة على طول ساحل المغرب الأوسط ، وأن أى انتصار يمكن تحقيقه فى هذا المضمار لن يكون سوى انتصار مؤقت ما لم تتوفر قوة عسكرية ثابتة وقادرة على حماية الانتصارات المحققة وخوض الحرب ضد إسبانيا فى جميع الظروف . ومن المحتمل كذلك أنه أدرك استحالة تأسيس مثل تلك القوة فى ظل التمزق الذى كان يعيشه المغرب الأوسط ، وهو الأمر الذى كان يتطلب منه تكوين قيادة موحدة تجمع شمل الامارات وشبه الامارات المنتشرة بين مختلف المدن والقرى فى الشمال والجنوب ، وتوحيد إمكاناتها المادية والمعنوية وتوجيهها نحو تلك الحرب التى تعد القاسم المشترك بين الجميع .

ونظرا للموقع الجغرافى الهام الذى تتمتع به مدينة الجزائر، يتوسطها لساحل المغرب الأوسط وإشرافها على عمقه من ناحية الجنوب وعمق البحر المتوسط من ناحية الشمال ، رأى " أروج " أن أى مجهود عملى فى سبيل تأسيس تلك القوة لا بد أن تكون بدايته من هذه المدينة . وكخطوة تنفيذية أولى فى تحقيق ذلك المشروع أحدث أروج انقلابا جذريا فى نظام المدينة السياسى عندما اغتال حاكمها (سالم التومى) وأعلن نفسه أميرا مكانه[1] .

---

(١) توجد روايات عديدة حول اغتيال سالم التومى . منها رواية " هايدو" القائلة بأن أروج خنقه بمساعدة أحد جنوده فى الحمام ، (راجع Rang et Denis المصدر السابق جـ ١ ، ص ٣٨ — ٨٤ ،) ورواية أخرى تقول أنه شنقه علانية فى " باب عزون " غربى مدينة الجزائر ، (راجع : Rozet المصدر السابق ، ص ٢١٧) ، ورواية ثالثة تقول أن سالم التومى مات مسموما (راجع : على رضا باشا ، المصدر السابق ، ص ١٦) .

وعندما استتبت لـه الامور بعد ذلك الانقلاب شرع فى إرساء قواعد النظـام الجديد ، فنظم الجيش والضرائب ووزع المسئوليات ،وأضاف بنايات جديدة للمدينة تتلاءم والمؤسسات الادارية الجديدة • وبهذه الاجراءات حول مدينة الجزائر إلى عاصمة تامة المعالم تساعده على الاشراف على المناطق التى تخضع لـه فى المستقبل [(١)] •

وفى جمادى الأولى ٩٢٣هـ / يونية ١٥١٧ م اشترك أروج مع أخيه فى حملة عسكرية على مدينة " تنس" فتمكنا من الاستيلاء عليها وطرد أميرها الزيانى الذى كان يحكمها تحت الوصاية الاسبانية[(٢)] • ويعد هذا آخر عمل عسكرى اشترك فيه الأخوان معا • وذلك أنه ما أن عادا إلى مدينة الجزائر حتى توجه " أروج " إلى تلمسان بطلب من أهلها لمساعدتهم على التخلص من السلطان الزيانى (أبى حمو الثالث) الذى اغتصب الحكم من أخيه أبى زيان بمساعدة الاسبان • وقد تمكن " أروج "من السيطرة على المدينة وتعيين نفسه أميرا عليها.غير أن الاسبان الذين كانوا يراقبون تحركاته تمكنوا من استعادتها منه والقضاء عليه عام ٩٢٤هـ/ ١٥١٨ م[(٣)] •

وبعد مقتل " أروج " تفهم خير الدين (الذى كان مقيما فى مدينة الجزائر) خطورة الوضع • ومن أجل دعم موقفه فى مواجهة المخططات

---

(١) Rozet المصدر السابق ، ص ٢١٧ •

(٢) سيرة خير الدين ، ص ٢٦ •

(٣) Grammont المصدر السابق ، ص ٢٤ ومابعدها
وراجع أيضا Rozet ، المصدر السابق ، ص ٢١٨ ، وكذلك
Rang et Denis المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٧٧ـ١٧٨ •

الاسبانية فى المغرب الأوسط ، رأى ضرورة توسيع باب الاتصال بالدولة العثمانية وتمتين العلاقات السياسية والعسكرية معها •

وإذا كان ربط المغرب الأوسط بالدولة العثمانية يعد بالنسبة لخير الدين ضرورة سياسية وعسكرية ، فإنه كان بالنسبة لسكانه واقعا اقتضاه الوضع الجديد للسلطان العثمانى بعد فتحه لبلاد الشام ومصر وحصوله على مفاتيح الأماكن المقدسة بصفته حامى الحرمين الشريفين • وقد أعطى هذا الوضع السلاطين العثمانيين صورة مرموقة لهم بين المغاربة عموما لا تقل عن صورة بنى أميه وبنى العباس قبلهم • وقد عبر المغاربة عن تحالفهم الفعلى مع العثمانيين عندما رفضوا فى الشام وفى مصر بالذات أن ينضموا إلى السلطان المملوكى " طومان باى " فى حربه ضد السلطان سليم عند هجومه على دولة المماليك • وقد ردوا بعد أن طلب منهم ذلك ، بأنهم " لا يقاتلون سوى الفرنج ولا يقاتلون المسلمين " (١) وأضاف إبن إياس الذى أورد تلك الرواية قوله بأنهم (أى المغاربة) " أظهروا التعصب لابن عثمان " (٢) ويقصد بذلك السلطان سليم •

ولهذا أيد سكان مدينة الجزائر خير الدين عندما طلب منهم أن يكتبوا رسالة بإسمهم إلى السلطان العثمانى يعلنون له فيها طاعتهم

---

(١) د • ليلى الصباغ ، الوجود المغربى فى المشرق المتوسطى فى العصر الحديث ، في: المجلة التاريخية المغربية، عدد ٧، ٨/ يناير ١٩٧٧ ، ص ١٩٥ •

(٢) إبن اياس، بدائع الزهور ، تحقيق د • محمد مصطفى ، ج ٥ ، ص ١٣٧ •

لـه وقبول تبعيتهم لدولته ، وهى الرسالة التاريخية التى كتبوها فى أوائل ذى القعدة ٩٢٥هـ / أوائل نوفمبر ١٥١٩ م[١] ، وحملها إلى استانبول وفد خاص سافر على متن أربع سفن ومعه " هدية عظيمة " وعندما قرر أعضاء الوفد الرجوع إلى مدينة الجزائر " أرسل السلطان رفقتهم سنجقا إلى خير الدين كدليل على أن الجزائر أصبحت ضمن أقاليم دولته وأن أهلها صاروا ممن تشملهم رعايته وعند وصولهم إلى الجزائر وقفوا بين يدى خير الدين ووصفوا لـه أمر السلطان والسنجق الذى وجهه صحبتهم وأعلموه أنـه قبل طاعة أهل الجزائر وأذن لهم فى صرف الخطبة والسكة إليه كما تضمنه الكتاب الذى وجهه معهم ففرح بذلك خير الدين فرحا شديدا "[٢] وقد حدد المؤرخ التركى محمد شكرى تاريخ عودة الوفد الجزائرى من استانبول بعام ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م[٣] ، وهو التاريخ الذى تأسست فيه إيالة الجزائر فى إطار التبعية العثمانية أو ماعرف بإسم الجزائر العثمانية .

---

(١) إكتشف تلك الرسالة التاريخية المؤرخ التركى إسماعيل حقى أزون جارشيلى فى أرشيف " طوبقابى" باستانبول ، واعتمد عليها فى مؤلفه عن الدولة العثمانية ، راجع : Uzunçarşılı , I. Hakkı, Osmanlı tarihi, cild 2,S 368,N 2 .
وقد نشرها بعد ذلك المؤرخ التونسى عبد الجليل التميمى فى : المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٦ / يناير ١٩٧٦ ، ص ١١٧ ، ومابعدها .

(٢) سيرة خير الدين ، ص ٣٧ ــ ٣٨ .

(٣) محمد شكرى ، أسفار بحرية عثمانية ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ .

وقد درج بعض المؤرخين[١] على تقسيم العهد العثمانى فى الجزائر إلى أربع مراحل هى :

(١) مرحلة البايلربايات : ١٥١٥ ـ ١٥٨٨ م •

(٢) مرحلة الباشاوات : ١٥٨٨ ـ ١٦٥٩م •

(٣) مرحلة الأغاوات : ١٦٥٩ ـ ١٦٧١ م •

(٤) مرحلة الدايات : ١٦٧١ ـ ١٨٣٠ م •

وهناك من اعتبر الفترة الممتدة بين سنتي ١٥١٢ ـ ١٥٤٦م مرحلة مستقلة أطلق عليها " عصر الفتح " ليصبح عدد المراحل خمسا[٢] •

وقد رفض الدكتور أبو القاسم سعد الله ذلك التقسيم لأنه لم يحدث خلال المراحل المذكورة ما غير من سمة الحكم العثمانى نحو الجزائريين[٣] • وعلاوة على هذا أن إسمى "بايلرباى" و "باشا" اللذين أطلقا على المرحلتين الاولى والثانية لم يكونا فى الواقع سوى لقبين إداريين وليسا نظامين أو مرحلتين ـ ظل ولاة الجزائر يحملونهما حتى نهاية العهد العثمانى[٤] • أما إسم (آغا) الذى أطلق على حكام المرحلة الثالثة

---

(١) من المؤلفات الفرنسية راجع : Weissman, Nahoum Les Janissaires, p 67 ، ومن المؤلفات العربية راجع : ناصر الدين سعيدونى ، النظام المالى فى الفترة العثمانية، ص٢٣ ـ ٢٤ •

(٢) أحمد توفيق المدنى ، محمد بن عثمان باشا ، ص ٢٣ •

(٣) د. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافى ، ج ١ ، ص ١٣٣ هامش ٤ •

(٤) يتضح ذلك من الوثائق الرسمية ، راجع مثلا الفرمان الذى أرسله الباب العالى إلى أحد ولاة المرحلة الاولى وهو أحمد باشا عام

فيقصد بـه " أغا الانكشارية " الذى عينه الجيش الانكشارى ليحكم إلى جانب الباشا الذى كان يرسل من استانبول خلال نفس المرحلة[1] . وأما " الداي" الذى أطلق اسمه على حكام المرحلة الرابعة ـ فهو الجندى الذي حل عام ١٦٧١م محل " أغا الانكشارية" إلى جانب الباشا ، وذلك حتى عام ١٧١١م عندما تخلص الداى على من الباشا شارقان إبراهيم الذى أرسله الباب العالى ، وانفرد بالحكم[2] وتوقف فى نفس الوقت عن حمل لقب "داى" وحمل بدلا منه لقب " باشا " [3] . واستمر الوضع على هذه الحال حتى نهاية العهد العثمانى فى الجزائر عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م .

ومن ثم فان التقسيم الذى يمكن أن يوضع للعهد العثمانى فى الجزائر يشتمل على ثلاث مراحل فقط هى :

= ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م فى Ílter, A.S., Şimali Afrika'da Turkler, cild 1, S 178, N 4 . والفرمان الذى أرسله إلى آخر الولاة العثمانيين فى الجزائر وهو حسين باشا عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م فى نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٩٤ ، ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى ، ص ٥٧ ومابعدها .

(١) Grammont ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩ .

(٢) Plantet, Eugene, Corres pondance des Deys d'Alger, T II , p. 62, N 2

(٣) يتضح ذلك من الكتابات الاثرية الموجودة فى: Colin, Gabriel, Corpus des inscriptions ... de L'Algerie, pp. 82, 84, 86.

المرحلة الأولى : وتبدأ من تاريخ تأسيس أيالة الجزائر عام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م حتى عام ١٠٧٠ هـ / ١٦٥٩م • وكانت الجزائر تحكم خلالها من قبل ولاة يعينهم الباب العالي ويرسلهم من استانبول •

المرحلة الثانية : وتمتد من عام ١٠٧٠هـ / ١٦٥٩م حتى عام ١١٢٣هـ / ١٧١١م • وفيها أصبح منصب الباشا صوريا لا يتعدى شاغله – الذى كان يرسل من استانبول – كونه ممثلا للسلطان العثماني لاضفاء شرعية الحكم على النظام الذى كان قائما فى الأيالة • ذلك لأن الجيش الانكشارى جرده من معظم سلطاته وسلمها لممثل عنه كان فى البداية " آغا الانكشارية" ، وأصبح فى عام ١٠٨٢ هـ / ١٦٧١م هو "الداى" • ويمكن أن يطلق على هذه المرحلة" مرحلة الحكم الثنائى " واعتبارها مرحلة إنتقالية للمرحلة الثالثة : •

المرحلة الثالثة : وتمتد من عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م حتى نهاية الحكم العثمانى فى الجزائر عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م • وفيها توقف إرسال الولاة من استانبول وأصبحوا يعينون من قبل الجيش الانكشارى فى الجزائر واقتصر دور الباب العالى على ترسيمهم فى مناصبهم دون أن يكون له أى نفوذ فى اختيارهم •

وقد دامت المرحلة الأولى مائة وثلاثين سنة ، والثانية أثنين وخمسين سنة ، والثالثة مائة وتسع عشرة سنة ، وهذه المراحل الثلاث هى التى ينقسم اليها العهد العثمانى فى الجزائر ، والذى دام ثلاثة قرون وعشر سنوات ميلادية •

الفصل الثاني

نظام الإدارة العثمانية في الجزائر

اولا : الوالى العثماني *

ثانيا : الديوان *

ثالثا : القضاء ونقابة الأشراف *

رابعا : التقسيم الادارى *

من أهم دعائم فلسفة الحكم عند العثمانيين • اعتبار السلطان الرئيس الأعلى للهيئات السياسية والعسكرية والدينية فى الدولة • ولتكريس هذه الفكرة فى جميع المقاطعات ، اتبع نظام إدارى محكم فى تسييرها • وكان أول ما يعتمد عليه هذا النظام هو ربط التقسيمات الادارية بعضها ببعض على شكل سلسلة متصلة الخلقات ابتداء من حكام أصغر الوحدات فى الدولة ومرورا بحكام الولايات التى تتبعها تلك الوحدات وانتهاء بالسلطة المركزية فى استانبول حيث يقيم السلطان العثمانى • ولهذا كانت الادارة فى الولايات العثمانية تشكل أحد الجوانب المهمة فى العلاقات بين تلك الولايات والباب العالى ، ولم تكن الجزائر استثناء فى ذلك • ويمكن علاج نظام الادارة فى الجزائر بدراسة وتحليل العناصر الأساسية التالية •

أولا : الوالى العثمانى :

سبقت الاشارة إلى أن عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م يعد تاريخ بداية المرحلة الثالثة من الحكم العثمانى فى الجزائر ، وفيها أصبح الولاة يعينون من قبل الأوجاق فى الجزائر(١) • ولكى يعين الوالى الجديد كان ديوان الايالة يجتمع فى جلسة موسعة يحضرها كبار الموظفين والعلماء ومعظم جنود الأوجاق وقوادهم(٢) • وبعد الاتفاق على الشخص الذى يتولى الحكم يتقدم إليه العلماء والأعيان ليجلسوه على كرسى الحكم ويلبسوه الخلعة

---

(١) أنظر الفصل الأول ، ص ٣٢ ــ ٣٣ •

(٢) Pananti, Philipo, Relation d'un séjour à Alger, p. 414.

السلطانية أو القفتان (١) الذى يعتبر اللباس الرسمى لرجال الدولة العثمانية. وبعد الانتهاء من مراسيم الجلوس يتقدم إليه المفتى ليذكره بمسئولياته التى يتحتم عليه أن يؤديها بأمانة وإخلاص، ومن بينها معاقبة المجرمين والحكم بالعدل والدفاع عن سيادة الأوجاق وأمن الأيالة، وضمان مرتبات الجنود. ثم يقوم الحاضرون فيدعون له بالنصر ويهنئونه بالولاية ويبدون له الطاعة بتقبيل يده.(٢) وفى الختام يرفع العلم العثمانى وتضرب عليه الموسيقى وتطلق المدافع. وعقب ذلك، يخرج المنادى إلى شوارع المدينة ليذيع خبر التعيين بين الناس، و يرسل فى نفس الوقت الرسل إلى المقاطعات فى الشرق والغرب والجنوب لنقل الخبر إلى حكامها كذلك(٣). وفى اليوم التالى يأتى دور القناصل الذين يتوجهون إلى دار الامارة لمقابلة الباشا وتهنئته نيابة عن حكوماتهم، و يحصلون منه فى نفس المناسبة على توقيعه على وثائق تجديد معاهدات بلدانهم مع الأيالة.(٤)

وبعد أن يستقر الوالى فى الحكم يقوم بتحرير تقرير يبعث به إلى السلطان العثمانى يطلعه فيه على تغير الحكم فى الأيالة ويشرح له

---

(١) أحمد الشريف الزهار، مذكرات، تحقيق، أحمد توفيق المدنى ص ٩٥.

(٢) Pananti، المصدر السابق، ص٤١٤.

(٣) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص ٩٥.

(٤) باريس، أرشيف وزارة الخارجية، رسالة من القنصل الفرنسى، أغسطس ١٨٠٥، فى: C.C.C/Alger، مجلد ٣٧، ورقة ٢٥٠، وللاطلاع على نموذج لوثائق تجديد المعاهدات راجع وثيقة =

الظروف التى تم فيها ذلك والأسباب التى دعت إليه[1] ٠ ولكى يجد التقرير مصداقيته لدى الباب العالى كان يوقع عليه الباشا ومساعدوه مثل " الخزنجى " و" آغا الانكشارية " و" يالى وكيل حرج " وكذلك العلماء وعلى رأسهم القاضى والمفتى ونقيب الأشراف[2] ٠ غير أن خبر التعيين كان يصل إلى الباب العالى قبل أن يبادر الباشا بكتابة تقريره ، وذلك بواسطة القبودان دريا " (أى وزير البحرية العثمانى) الذى كان يعد المسئول الأول على مقاطعات الدولة العثمانية الواقعة على البحار مثل الأيالات المغربية ٠ ولذلك كان يبدى حرصا شديدا على تتبع أحداث الجزائر وتقصى أخبارها من جميع المصادر المتاحة له وفى مقدمتها السفن التجارية التى كان أصحابها يهتمون بجمع المعلومات حول الموانىء التى يزورونها شرقى وغربى البحر المتوسط ٠ إلا أن مايلاحظ على التقارير التى كان " القبودان دريا " يرفعها إلى السلطان حول ذلك ، هو أنها غالبا ما تكون غير وافية أو متضاربة فى معلوماتها لتعدد مصادرها[3] ٠ ومن هنا يأتى الاهتمام بالتقرير الذى

= موقعة من قبل أحمد باشا عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٥م لتجديد معاهدات الايالة مع فرنسا ، فى نفس المصدر ، ورقة ٣٦٠ ٠

(١) كمثال على ذلك راجع تقرير على باشا بمناسبة تعيينه عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٥م إلى السلطان محمود الثانى فى : د ٠ عبد الجليل التميمى بحوث ووثائق فى التاريخ المغربى ، ص ٢٥٩ـ٢٦٠ ٠

(٢) نفس التقرير ٠

(٣) كمثال على ذلك راجع : الجزائر ، مركز الدراسات التاريخية ، تقرير القبودان دريا محمد خسرو باشا إلى السلطان محمود الثانى حول تعيين عمر باشا عام ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م فى : وثائق تاريخ الجزائر العثمانى ، خ ٠هـ ٢٢٥١٨/ ١٢٣٠ ، وراجع كذلك تقريرا آخر من =

يرسلة الباشا من الجزائر ليرفع إلى السلطان .

وبعد أن يرسل خبر التعيين الى الباب العالى يستعد الباشا الجديد لاكبر مهمة تنتظره وتتمثل فى تحضير الهدية التى تعود ولاة الجزائر إرسالها إلى السلطان العثمانى فى هذه المناسبة ليحصلوا منه على رموز الولاية لاضفاء شرعية الحكم عليهم . و حسبما جرت عليه التقاليد عند العثمانيين فان تلك الرموز كانت تشتمل على " الفرمان " و" القليج " (وهو نوع من السيوف العثمانية) و" القفتان " [1] .

وقد جرت العادة أن تقدم تلك الرموز للباشا فى احتفال رسمى يقام فى مقر الديوان ويحضره كبار الموظفين والعلماء والاعيان . وتبدأ مراسيمه بأن يتقدم " القفتانى " (أى الموظف المكلف بخزانة القفاتين) إلى الباشا فيضع إلى جانبه الأيمن الرموز الثلاثة ثم يقبل يده ثلاث مرات . وبعد ذلك يقف الحاضرون لسماع قراءة الفرمان . وعند الانتهاء منه يتقدم " الخزنجى " إلى الباشا ليلبسه القفتان ، ثم يقرأ الحاضرون الفاتحة ويدعون للباشا بالنصر والتوفيق فى مهامه . وفى النهاية يتقدمون إليه جميعا لتهنئته بالولاية وإعلان طاعتهم له بتقبيل يده . وللتعبير عن الفرحة والابتهاج بذلك تطلق مدافع القصبة والقلاع طلقاتها [2] . وفي اليوم

= نفس القبودان دريا حول الاطاحة بنفس الباشا عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م فى : نفس المصدر ، خ . هـ ٣٣٣.١ / ١٢٣٢ .

(١) باريس ، الأرشيف الوطنى الفرنسى ، سجلات الجزائر العربية والتركية ، 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ١٠ .

(٢) نفس المصدر .

التالى يأتــى دور القناصل الذين يتوافدون مرة أخرى على دار الامارةلتقديــم تهانــى حكوماتهم للباشا[١] .

ويخلع السلطان العثمانى فىفرمانــه على باشا الجزائر رتبـــــة " ميرميران " ويوصـــيه فيه بالاهتمام بالأوجاق وحمايــة الرعية والدفاع عـــن الايالــة والحفاظعلى وحدتها ورعايــة الأمن فيها والحكم بمقتضى الشـــرع الشريف وتطبيق القصاص حتى يسود العدل ويعم الوئام ، كما يوصيه بإبـــداء الطاعــة للباب العالى واحترام الدول الصديقــة لــه ، ويذكره بوجوب نبـــذ الخلافات والالتزام بالصدق والعمل على توفير الوسائل والأسباب التى تزيـــد من قــوة الأوجاق وشجاعته وغيرتـــه على الدولة العثمانية[٢] .

وتمشيا مع قوانين الدولــة العثمانية المتعلقــة بالتجديد الســنوى للوظائف الذى كان يتم فى مناســبة عيد الفطــر من كل سنة ، فان ديـــوان الايالـــة كان يجتمع فى هذه المناســبة لتجديد البيعة للباشا ، وذلـــك بإلباســه الخلعــة السلطانية وإجراء المراسيم التقليدية المألوفــة[٣] . وحسبما أورده حمدان بن عثمان خوجــة فإن أى اختلاف فى إعادة البيعة كان يــؤدى الى تعيين باشا جديد[٤] . أما فيما يتعلق بتجديد ولايتــه من قبل البـــاب

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٢٤ يونية ١٨٠٦ فى : C.C.C / Alger مجلد ٣٨ ، ورقة ٨٣ .

(٢) كمثال على ذلك راجع فرمان السلطان محمود الثانى إلى حسين باشا ، جمادى الثانية ١٢٣٢هـ/ ابريل ١٨١٨م فى: İlter, A. Samih Şimali Afrika' da turkler, cild 2, S 94-95

(٣) Renaudot, M., Tableau ... d'Alger, pp. 114-116

(٤) حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تعريب محمد العربى الزبيرى، ص ١٢١ .

العالى فان المصادر تذكر انه كان يتم مرة كل ثلاث سنوات ، وذلك في حالة ما إذا دام حكم أحد الباشاوات مدة طويلة[١] • غير أن هذا التجديد كان مرهونا بتجديد الهدية إلى السلطان ووزرائه ، وفيما عدا هذا فان الباشا كان يحرم من ذلك إلا إذا فاز بإنعام السلطان عليه في إحدى المناسبات • وكان يحصل في هذه الحالة على تجديد ولايته من السلطان ويعفى في نفس الوقت من أداء الهدية التي كانت في أغلب الأحيان مكلفة لخزينة الايالة • وكان التجديد يتم بكتابة إسم الباشا الحاكم مقرونا بكلمة " إبقا " (بمعنى الاستمرار في الحكم) إلى جانب إسم إيالة الجزائر الوارد في قائمة تجديد الوظائف السنوية التي يصدرها الباب العالي[٢] • أما في حالة عدم التجديد فان إسم الجزائر كان يبقى منفردا في تلك القوائم أو تكتب أمامه ملاحظة تفيد عدم التجديد[٣] •

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، قائمة تجديد الوظائف في الدولة العثمانية لعام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م في : C.P / Turquie ، مجلد ٢٥٤ ، ورقة ٢١٨ • حيث ورد بخصوص حسين باشا الذي كان يحكم في الجزائر مايلي : " من العادة أن تجدد الولاية كل ثلاث سنوات وفي هذه السنة لا يوجد أي تجديد " •

(٢) تونس ، أرشيف دار الباي ، قائمة تجديد الوظائف في الدولة العثمانية في عهد علي باشا (١٢٢٤ – ١٢٣٠هـ/ ١٨٠٩ – ١٨١٥م) في : صندوق ٢٢٢ ، ملف ٣٧٩ ، وثيقه ٢٦/ ١٥ •

(٣) بالاضافة إلى قائمة عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩ (هامش ١) ، راجع أيضا أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، قائمة عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م في : M.D / Turquie ، مجلد ٣٣ ، ورقة ٨٩–٩٣ • وكذلك : أرشيف دار الباي ، قائمة أخرى بدون تاريخ (وبما أنها تشير إلى إسم محمد علي والي مصر ، فانها ترجع إلى ما بعد عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م) في : صندوق ٢٢٢ ، ملف ٣٧٩ ، وثيقة ١٦/ ٢٧ •

ولم يكن حصول باشاوات الجزائرعلى عهد الولاية أو تجديدها لهم من السلطان العثمانى سوى تقليد اعتاد الجزائريون المحافظة عليه كأسلوب لتدعيم الجانب المعنوى فى العلاقات بين الايالة والباب العالى وتعزيز سيادة السلطان الروحية على الأوجاق • أما بالنسبة للباشا الحاكم فلم يكن ذلك يساهم بأى شكل فى تدعيم مركزه أو توفير الحماية له من غضب الأوجاق عليه والذى كان انفجاره غالبا مايؤدى إلى الاطاحة به وتعيين من يخلفه[1] مما يدل على أن سيادة الحكم فى الجزائر كانت فى أواخر العهد العثمانى فى يد الأوجاق وحده دون الباب العالى ولذلك كان على الذى يتولى منصب الباشوية أن يركز اهتمامه على تدعيم نفوذه بين الجنود ـ وبصفة خاصة الجنود الانكشارية ـ وكسب ثقتهم به قبل أن يباشر أى عمل يرى أنه يساهم فى فى تحسين صورته لدى السلطان وتعزيز سمعته بين وزرائه وأعضاء ديوانه فى إستانبول •

---

(١) كمثال على ذلك فان أحمد باشا (١٢٢٠ــ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٥ــ١٨٠٨م) كان قد مرعليه عام ونصف فقط منذ أن حصل على ترسيم السلطان سليم الثالث (١٢٠٣ــ١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩ــ١٨٠٧م) له ، وكان ذلك فى منتصف ربيع الأول ١٢٢١هـ/ ٢يونية ١٨٠٦م(راجع رسالة من القنصل الفرنسى ، ٢٤يونية ١٨٠٦ فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٨، ورقة ٨٣)عندما أطاح به الأوجاق فى رمضان ١٢٢٣هـ/ نوفمبر ١٨٠٨م(راجع أحمد الشريف الزهار المصدر السابق ص ٩٩) • ونفس الملاحظة يمكن إدراجها كذلك بخصوص عمر باشا (١٢٣٠ــ١٢٣٢هـ / ١٨١٥ ــ ١٨١٧م) •

وكان باشا الجزائر يقيم فى قصر خاص يطلق عليه إسم " باشا قبوسى " [١]، وهو نفس الاسم الذى كان يطلق على مقر إقامة الباشاوات فى بقية الايالات العثمانية وكذلك على مقر إقامة الصدر الاعظم فى استانبول [٢]. أما العامة فكانوا يطلقون عليه أسماء عديدة من بينها " دار الامارة" و" دار السلطان " و" دار الملك " [٣] وهى مقابلة لأسماء " دار الخلافة" و" دار السلطنة " و" دار السعادة " وكذلك " دار الملك " التى كانت تطلق فى الأصل على مقر الحكومة العثمانية (أى الباب العالى) ومجازا على العاصمة استانبول [٤] . وكان القصر مكونا من طابقين ، أحدهما علوى خاص باقامة الباشا ويعرف باسم " سراى " وهو الاسم الذى كان يطلق فى استانبول على مقر إقامة السلطان العثمانى والذى يقال له " سراى همايون" [٥] ، وآخر أرضى يوجد به كرسى الحكم وسجلات الحكومة

---

(١) Venture de Paradis, Tunis et Alger, P. 111

(٢) D'ohsson, Mouradgea, Tableau général de l'Empire Ottoman, TII, p. 174 ،وراجع أيضا : رد حاوص ، كتاب كتاب معانى لهجة ، كلمة (قبو) .

(٣) راجع : أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، ص ٣٦، ١٧٢، ونور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، ص ٧٥ ، وعلى رضا باشا ، مرأت الجزائر ، ص ٥٩ ، و 228 MI 14 سجل ١٣ ، ورقة ٦٣ .

(٤) Pakalın, M.Z, Osmonlı ... Sözlüğü, cild 2, S 297

(٥) Bianchi, T.X., et Kieffer, J. D. ، قاموس عثمانى فرنسى ، كلمة (سراى) .

ويجتمع فيه الباشا مع مساعديه [١] .

وكان الباشا يجمع فى شخصيته بين صورتين متكاملتين تعكسان فى مظهرهما نظام الحكم الذى كان قائما فى الدولة العثمانية بجميع جوانبه السياسية والعسكرية والاجتماعية . فمن جهة أنه كان يمثل الجندى الانكشارى الحقيقى الذى يعتبر نفسه عبدا مسخرا بكل مايملك من إمكانات مادية ومعنوية فى خدمة سيده السلطان العثمانى . حيث كان لا يسمح له بالزواج ، وإذا كان كذلك قبل توليه الحكم فان عليه أن يسكن أسرته فى منزل خارج دار الامارة [٢] ولا يسمح له بزيارتها إلا يومى الخميس والجمعة [٣] . أما بقية أيام الأسبوع فكان عليه أن يقضيها متفرغا لشئون الحكم . وأما مرتبه فكان يعادل مرتب أى جندى إنكشارى آخر قديم ولا يمتاز فى هذا المجال عن بقية الجنود سوى بأن إسمه يأتى على رأس قائمة الجند مما يجعله أول من يتلقى مرتبه يوم دفع المرتبات [٤] . وكان باشاوات الجزائر فى هذا الجانب مقلدين إلى حد كبير للسلاطين العثمانين الذين تعودوا منذ عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) أن يقوم كل من تولى العرش منهم بتسجيل اسمه فى سجل " الأورته " (أى الوحدة) الأولى من فرقة " بلوك آغالرى" الانكشارية ويذهب إليها غداة توزيع مرتبات الأوجاق فى زى آغا الانكشارية ويستلم منها

---

(١) Devoulx, Albert ، سجل التشريفات ، ص ١٨ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٣) Renaudot ، المصدر السابق ، ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(٤) Baudicourt, L. de, La guerre et le gouvernement d'Alger, p. 261.

منها مرتبه الذى يساوى مقداره مرتب الجندى الانكشارى العادى[1] • وكان إذا توفى الباشا يقوم " بيت المالجى " بمصادرة جميع ممتلكاته التى يجدها فى دار الامارة ويضمها إلى بيت المال ، ولا يحق لورثته أن يرثوا إلا ماوجد منها فى منزل أسرته الموجود خارج دار الامارة [2] • وهو فى هذا الجانب مماثل للجندى الانكشارى ، بل للسلطان نفسه كذلك الذى كانت ممتلكاته هو الآخر تحصى بعد وفاته وتوضع فى خزانة خاصة ولا يسمح التصرف فيها إلا فيما يخدم المصلحة العامة للدولة ، خصوصا إبان الأزمات المالية والحروب [3] •

ومن جهة ثانية كان الباشا فى الجزائر يعكس فى شخصيته السلطان العثمانى نفسه ، وذلك فى قوة قبضته على الحكم وصلاحياته الواسعة على الأيالة والتى توازى صلاحيات السلطان على مستوى الدولة العثمانية • حيث كانت التعيينات فى الأجهزة الادارية لاتتم إلا وفق إرادته خصوصا المتعلق منها بالمناصب العليا التى كان يقوم بتعيين أصحابها بنفسه • وكان هو الذى يعلن الحرب ويقر السلم ويزكى القناصل ويوقع معاهدات الأيالة مع الدول ، ويراسل الملوك ورؤساء الحكومات ، ويستدعى الديوان للاجتماع ويوافق على قراراته • وكانت هذه السلطة التى يتمتع بها الباشاوات فى الجزائر إحدى الخصائص التى كان يمتاز بها نظام الحكم العثمانى فيها

---

(١) D'ohsson ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣ •

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٢١ •

(٣) Grassi, Alféo, Charte turque, TII, p. 2-3

عنـه فى الايالات العثمانيـة الأخرى التى كانت ترتبط بالباب العالى ارتباطـا وثيقا • وقـد لخص أحـد موظفى القنصليـة الفرنسية تلك السلطـة فى تقريره عن الأيالـة عام ١٨٠٢ م فذكر " أن جمهورية الجزائر (كذا) تبدو فى جميع مظاهرها صورة مطابقـة لنظام الدول الشرقيـة حتى أن الداى بإمكانـه أن يوجـه الأمر بشنق وزيره الأول (أى الخزنجى) بنفس السهولـة التى يأمـر بها السلطان العثمانى بشنق وزيره الأعظم" (١) •

وقـد تعـود المؤرخون أن يطلقوا فى كتاباتهم عبارة " عهـد الدايات " على الفترة الواقعة بين سنتى ١٦٧١ ـ ١٨٣٠م من تاريـخ الجزائر العثمانى وذلك نسبـة إلى لقب " دايى " أو " داى " الأكثر شيوعـا والذى كان الجزائريون يشيرون بـه إلى الحاكم الذى كانوا يعينونـه منـذ بدايـة الفترة المذكورة حتى سنة ١٧١١ م ليحكم إلى جانب الباشا الـذى كان يرسلـه الباب العالى من استانبول(٢) • ولم يكن الجزائريون هـم أول من استعمل هذا اللقب بل سبقتهم إليـه فى الايالات المغربيـة التونسيـون عام ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م وبعدهم الطرابلسيون عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م(٣) •

---

(١) راجع نص التقرير فى : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسيـة، M.D / Alger، مجلد ١٠ ، ورقـة ٢٠٣ •

(٢) رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية فى المساجد الجزائرية ، ص ١٣٣ • وراجع أيضا • Deny, Jean, Les registres de Solde, in R.A. 61/1920, p. 28 وكذلك قائمة ولاة الجزائر فى: İlter.. المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ـ١١٥ ، ولمزيد من التفاصيـل انظر الفصل الأول ، ص ٣٢ ـ ٣٣ •

(٣) إيلتر ، عزيز سامح ، الأتراك فى شمال أفريقيا ، تعريب عبد السلام أدهـم ، ص ١١٦ ـ ١١٧ ، ٢٩١ •

ولفظة " دايى " تركية الأصل وتحمل عدة معان منها الخال والرجل المتوسط السن والوليف[١] والمدافع والرئيس أو القائد[٢] • أما من الناحية الادارية فان اللفظة لم تكن ترتبط بأية وظيفة رسمية فى نظام الحكم العثمانى ، وكانت مثلها مثل لفظة " ألب " تطلق عند الأتراك القدماء كلقب للرجل الشجاع[٣] ، ثم خص بها قادة الجيش ورؤساء البحر اعترافا بشجاعتهم وقدرتهم على خوض المعارك[٤] • وبهذا المعنى كانت لفظة " دايى " تستعمل فى الجزائر عند الاشارة إلى الجندى الذى كان يعينه الأوجاق لتولى الحكم إلى جانب الباشا خلال الفترة الممتدة بين سنتى ١٦٧١ ــ ١٧١١ م من مرحلة الحكم الثنائى • ويرى " فونتير دوبارادى " أن الجزائريين كانوا يقصدون بها الرجل الشهم ، ويعتقدون أن خير الدين كان أول من أطلق عليه لقب " دايى " وذلك عندما جاء أبوه إلى إخوته ورفاقه ووجه إليهم نصيحته قائلا : " هذا داييكم " و أشار إلى خير الدين[٥] •

وتوقف الجزائريون ــ حسبما تدل الشواهد التاريخية ــ عن استخدام لقب " دايى " منذ عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م عند الاشارة إلى الحكام العثمانيين[٦] الذين أصبح يشار إليهم بعد ذلك حتى نهاية العهد العثمانى عام ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م، بالألقاب المعروفة والمتداولة فى الادارة

---

(١) رد حاوس ، جيمس ، المصدر السابق ، كلمة " دايى " •

(٢) محمد على الأنسى ، الدرر اللامعات فى منتخبات اللغات، كلمة " دايى " •

(٣) Pakalın ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٠٧ •

(٤) Deny, Jean, Grammaire .... Turque, p. 796

(٥) Venturede Paradis المصدر السابق ، ص ١٩٧ ــ ١٩٨ •

(٦) أنظر الفصل الأول ، ص ٣٢ ــ ٣٣ •

العثمانية والتى يشار بها إلى غيرهم من ولاة المقاطعات الأخرى فى الدولة العثمانية . ومن بين تلك الألقاب نجد " باشا " الذى كان أكثرها شيوعا و" ميراميران " و" بكلربكى " ومايرافقها من ألقاب دالة على الاحترام وعلو المركز مثل " دولتلو" (أى صاحب الدولة) و" رأفتلوا " (أى صاحب الرأفة) [١] ،أوكما جرت العادة أن يشار إليهم بين العامة فى الجزائر بلقبى " الأمير " و" السلطان" [٢] .

---

(١) هناك مصادر عديدة تدل على ذلك مثل : 228 MI سجل ١٣، ورقة ٦٧–٦٨، وسجل ١٥، ورقة ٢–٦٨، وكذلك مراسلات الباشاوات ،أنظر : لندن ، دار المحفوظات البريطانية، رسالة حسن باشا إلى الملك الأنجليزى ، ٥ شعبان ١٢٠٨ هـ/ ٢٨ مارس ١٧٩٤م ،فى : F.O. 95 ، مجلد ١/ ٣، ورقة ١٩٢.

وكذلك أرشيف دار الباى ، رسالة من حسين باشا إلى والى تونس رمضان ١٢٣٨هـ/ يونية ١٨٢٣م، فى : صندوق ٢٢٣، ملف ٣٨٤/ ١ ، وثيقة ٢٤/ ٨١، ورسالة أخرى بتاريخ ربيع الثانى ١٢٣٩هـ/ يناير ١٨٢٤، فى نفس المصدر، وثيقة ٢٨/ ٧٦. كما نجد أيضا مراسلات حكام المقاطعات فى الجزائر مع الولاة ،أنظر الجزائر ، المكتبة الوطنية ، مخطوط رقم ١٦٤٢، رسائل محمد باى وأحمد باى إلى عمر باشا (١٢٣٠–١٢٣٢هـ/ ١٨١٥–١٨١٧م) وحسين باشا (١٢٣٣–١٢٤٦هـ/ ١٨١٨–١٨٣٠م) . ذلك فضلا عن الكتابات الاثرية الموجودة فى : Colin, Gabriel, Corpusdes inscriptions، وكذلك فى ؛ رشيد بورويبة ، المصدر السابق . وراجع أيضا فرمانات الباب العالى إلى ولاة الجزائر الواردة فى : İlter ؛ المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٧٨، هامش ٤٤ وجـ ٢ ، ص ٩٤، ١٠٥. وكذلك مراسلات محمد على والى مصر مع ولاة الجزائر الواردة فى : رياض الكتباء وحياض الأدباء ، جمع وترتيب حبيب أفندى ، ص ٢٦٨ ، ٢٢٧ .

(٢) أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق ، وراجع أيضا : مسلم بن عبد القادر ، أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق ، رابح بونار .

إلا أن ذلك لايعنى أن الجزائريين قد توقفوا تماما عن استعمال لقب " دايى" بعد عام ١١٢٣ هـ / ١٧١١م ، فقد اتبع الحاج على باشا إسمه بهذا اللقب عند توقيعه على وثيقة تجديد معاهدات الايالة مع فرنسا عام ١٢٢٩ هـ / ١٨١٤م ، فذكر " الحاج على داى والى محروسة الجزائر" [١] . وكذلك فعل عمر باشا عند توقيعه على إحدى الرسائل إلى السلطان محمود الثانى فى ٥ رجب ١٢٣١ هـ / ١ يونية ١٨١٦م . فذكر " عمر دايى متصرف جزائرغرب " [٢] .

وللوقوف على حقيقة هذا الاستعمال للقب " دايى " فانه ينبغى الاشارة إلى ملاحظتين ، أولاهما أنه لم يأت فى أى من التوقيعين ليدل على الوظيفة الرسمية لكل من الحاج على باشا وعمر باشا ، والدليل على ذلك أنه جاء مقرونا بمصطلح " والى " فى التوقيع الأول ، وبمصطلح " متصرف " فى التوقيع الثانى . وهما مصطلحان كانا مستعملين فى الادارة العثمانية للدلالة على حكام المقاطعات[٣] . ومن ثم فان حذف اللقب من التوقيعين لن يضير بالمعنى المقصود بهما ، بينما يكون على العكس من ذلك إذا حذف أحد المصطلحين المذكورين . وهذا مايشهد عليه

---

(١) راجع نص الوثيقة فى : C.C.C/Alger ، مجلد ٤١، ورقة ٢٢٨ .

(٢) راجع نص الرسالة فى : د . عبدالجليل التميمى ، المصدر السابق، ص ٢٥٧ .

(٣) بخصوص مصطلح " والى" راجع : Deny, Jean , = Sommaire

توقيع أحمد باشا على وثيقة تجديد معاهدات الايالة مع فرنسا عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥م حيث اكتفى بالاشارة إلى إسمه بعبارة " محروسة جزائر والى (سى) " (١) . وأما الملاحظة الثانية فهى أن مثل هذا الاستعمال للقب " دايى " ظل طوال المرحلة الممتدة بعد ١١٢٣ هـ / ١٧١١م ، محدودا خصوصا خلال فترة موضوع هذه الدراسة ، حتى أن الجزائريين كانوا لايكادون يتلفظون به كما أكد ذلك القنصل الأمريكى " وليام شالر " (٢) ، كما أن إستعماله كان مقتصرا على الأوروبين فقط(٣) .

ولقد كان ولاة الدولة العثمانية على درجات متفاوتة ، وكانت الألقاب لاتمنح لأى منهم إلا بما يتفق مع درجته . وقبل محاولة تحديد درجة والى الجزائر بين هؤلاء الولاة من الضرورى الاشارة إلى نظام الألقاب ودرجاتها المختلفة فى الادارة العثمانية . فقد كان لقب " باشا " من أكثر الألقاب شيوعا فى الدولة العثمانية ، وكان يمنح لحكام المقاطعات التى هى من نوع " باشا لق " . وكان الباشاوات الذين يعينون لحكم تلك

---

des archives turques du caire, pp. 35 - 40

وبخصوص مصطلح " متصرف " راجع : Uzunçarşılı, I. Hakkı

Kapukulu Ocakləri, S 563

(١) راجع نص الوثيقة فى : C.C.C / Alger مجلد ٣٧، ورقة ٣٦٠ .

(٢) شالر وليام ، مذكرات ، تعريب إسماعيل العربى ، ص ٤٣ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٣ . وهو ماتشهد عليه كذلك مؤلفاتهم ووثائقهم فى دور الأرشيف . وبذلك يمكن القول أن إطلاق عبارة " عهد الدايات " على المرحلة الأخيرة من العهد العثمانى فى الجزائر يبدو أمرا فى حاجة إلى إعادة نظر من قبل المؤرخين .

المقاطعات على ثلاثة مستويات تتحد بعدد الأطواغ [١] التى كـان يملكها كل واحد منهم • فإما أن يكون الباشا ذا طوغ واحد ، أو طوغين أو ثلاثة أطواغ • وإذا كان لقب " باشا " يمنح لجميع الباشاوات بدرجاتهم الثلاث ، فإن لقب " بكلربكى " (الذى يقابله لقب " أمير الأمراء " فى اللغة العربية ، ولقب " ميراميران " فى اللغةالفارسية) لم يكن يمنح سوى للباشواوات ذوى الطوغين والثلاثة أطواغ ، وهم الباشاوات الذين كانوا يعينون لحكم الولايات التى تتكون من وحدات إدارية صغيرة يعرف كل منها باسم " لواء " أو " سنجاق " ويحكمها باشاوات ذوو طوغ واحد [٢] • وفضلا عن لقب " بكلربكى " أو مايعادله فى اللغتين العربية والفارسية ، كان الباشاوات ذوو الثلاثة أطواغ يمنحون لقبا أخر يميزهم عن غيرهم وهو لقب " وزير " [٣] ، وكانو يعينون لحكم الولايات الممتازة ، أى ذات الأهمية سياسيا وعسكريا واقتصاديا فى الدولةالعثمانية [٤] • وإذا كان عدد الوزراء خلال

---

(١) أطواغ : مفردها طوغ •ويكتب فى المؤلفات العربية " طوخ " •• وهو علامة على شكل ذيل حصان معلق على رأس عمود تعلوه نجمة مذهبة أو كرة ، وكان يستعمل عند العثمانيين كرمز للرتبة العسكرية • وتوجد أعداد منها فى متحف الجيش الفرنسى فى باريس ، منها ما أخذ من مصر أثناء حملة نابليون ومنها ماأخذ من الجزائر عام ١٨٣٠ وهو طوغ واحد فقط •

(٢) Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٧٥ •

(٣) Deny, Sommaire, P. 43

(٤) هؤلاء الوزراء هم : باشا الأناضول وباشا الروملى وباشا مصر

المرحلة الأولى من تاريخ الدولةالعثمانية محدودا ، فانه سرعان ما أخذ يتزايد بعد أن اخذت الدولة تسير نحو الضعف والانهيار وألغيت القيود التي كان الباب العالي يفرضها على منح هذا اللقب ، مما أفقده أهميته وأسقط اعتباره[٢]. وقد أصبح الباشاوات ذوو الثلاثة أطواغ في أواخر العهد العثماني ـ كما يذكر جون دوني ـ لا يستعملون لقب " بكلربكي " مفضلين الاكتفاء بلقب "وزير" المميز[٢] .

أما ولاة الجزائر فقد كانوا ولاة من الدرجة الثانية (أي باشاوات ذوي طوغين) كما يبدو من الوثائق الرسمية . إلا أن حسن باشا (١٢٠٦ ـ ١٢١٣ هـ / ١٧٩١ ـ ١٧٩٨ م) كان قد حمل فعلا لقب الوزارة كما تدل على ذلك وثائق الباب العالي[٣] والوثائق الجزائرية[٤] .

= وباشا بغداد ، وباشا بود (هنغاريا) ، راجع : Ricaut, Escuyer, Histoire ... de L'Empire Ottoman, p. 104.

(١) Gibb, H.R. and Bowen, H., Islamic Cociety and the West, Vol. I, part II, p. 114.

(٢) Deny, Sommaire, pp. 46-47.

(٣) فرمان السلطان سليم الثالث إلى حسن باشا ، جمادى الثانية ١٢٠٦هـ أوائل يناير ١٧٩٢م في : Ilter ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٩٥ . وراجع كذلك فرمان القبودان دريا إلى السلطان محمود الثاني عام ١٢١٣هـ ، في : وثائق تاريخ الجزائر العثماني ، خ . هـ ١٤٦٥١ / ١٢١٣ .

(٤) راجع توقيع حسن باشا على المعاهدة الجزائرية الأمريكية لعام ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٥ م في: Elliot, J., American =

وقد ورث عنه خليفته مصطفى باشا (أطيح به عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م) لقب الوزارة فى بداية عهده[1] ، إلا أنه تخلى عنه لعدم اعتراف الباب العالى بتلك الوراثة[2] ، مما يدل على أنها كانت غير شرعية .

ولم يقتصر التوقف عن حمل لقب الوزارة على مصطفى باشا فحسب بل شمل جميع الولاة الذين أتوا بعده . حتى أن على باشا (١٢٢٤ – ١٢٣٠ هـ / ١٨٠٩ – ١٨١٥م) الذى وجد اسمه مقرونا

---

diplomatic, code, treaties ..., T_I p. 483.
وكذلك توقيعه على الرسالة التى بعث بها إلى الرئيس الأمريكى " جورج واشنطن " فى السنة التالية ، فى: كاثكارت ، جيمس ليندز مذكرات ، تعريب إسماعيل العربى ، ص ٢٥٩ .

(١) اتضح ذلك من خلال رسالته إلى الحكومة الفرنسية فى محرم ١٢١٣ هـ / يونية ١٧٩٨م والتى أشار فيها إلى إسمه بعبارة " والى الجزائر ذو ثلاثة أطواغ الوزير مصطفى باشا " راجع نص الرسالة فى : Plantet, Eugene, Correspondance des Deys d'Alger, TII, p. 476.

(٢) يتضح ذلك من خلال الفرمان الذى بعث به إليه السلطان سليم الثالث فى جمادى الثانية ١٢١٧ هـ / سبتمبر ١٨٠٢م والذى لم يشر فيه إليه سوى بعبارة " جزائرغرب بكلربكى " راجع نص الفرمان فى : Ilter ، المصدر السابق ، ج ٢، ص ٧٧ .

بهذا اللقب في إحدى الوثائـق الجزائرية [١] ، لم تأت الاشارة إليـه في وثائق الباب العالي سوى بلقب " ميرميران "[٢] • ويمكن إدراج نفس الملاحظة بخصوص عمر باشا (١٢٣٠ – ١٢٣٢ هـ / ١٨١٥ – ١٨١٧ م) ، وكذلك خليفته حسين باشا آخر الولاة العثمانيين في الجزائر[٣] •

---

(١) جاء ذلك في الفتوى التي أصدرها مجلس عناية القضائي عام ١٢٢٥ هـ/ ١٨١٠م بخصوص النزاع الذي نشب بين فرنسا وبريطانيا حول حق أي منهما في امتلاك أحد المراكز التجارية في المدينة المذكورة • وقد أشير فيها إلى علي باشا بعبارة " رايس (كذا) المملكة الخاقانية (صاحب) الوزارة ". وتدعيما للمعنى فقد ترجمت إلى الفرنسية بعبارة " dont la dignité égale à celle des vezirs " راجع نص الفتوى العربي في : C.C.C/ Alger مجلد ٤٥، ورقة ١٤٦ • و نصها الفرنسي في : نفس المصدر ، مجلد ٤٠، ورقة ٣٢ – ٣٣، وكذلك مجلد ٤٦، ورقة ٣٥ •

(٢) جاء ذلك في إحدى القوائم التي أصدرها الباب العالي بخصوص تجديد الوظائف في الدولة العثمانية ، في : أرشيف دار الباي ، صندوق ٢٢٢ ، ملف ٣٧٩ ، وثيقة ٢٦/ ١٥ •

(٣) جاءت الاشارة إلى الواليين المذكورين في رسالتين بعث بهما إليهما حاكم المقاطعة الشرقية (مخطوط رقم ١٦٤٢ بالمكتبة الوطنية بالجزائر ، رسالة ٩ ، ١٠) بلقب " الصدر " الذي كان يشار به كذلك للوزراء (راجع : Deny, Sommaire, p. 53.) بينما لم تأت الاشارة إليهما في الوثائق الأخرى سوى بلقب " بكلربكي " و" ميرميران ". بخصوص عمر باشا راجع : 228 MI 14 سجل ١٥ ورقة ٢ ، وبخصوص حسين باشا راجع الفرمان الذي أرسله إليه الباب العالي في رمضان ١٢٤٥هـ / مارس ١٢٣٠ في : Ilter ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٥ •

هذا ماتبينه الوثائق الرسمية ،أما التقارير والمؤلفات التى كتبت حول الجزائر فانها تقف متضاربة حول تحديد الرتبة الفعلية التى كان ولاة الجزائر يحملونها فى العهد العثمانى[١] • إلا أنه استنادا إلى بعض الأحداث يمكن القول أن ولاة الجزائر كانوا بشكل عام يحملون رتبة باشا ذى طوغين ، غير أن السلاطين العثمانيين كانوا يمنحون لبعضهم رتبة باشا ذى ثلاثة أطواغ (أى وزير) كمكافآت لهم فى المناسبات السعيدة مثل الانتصار على العدو[٢] • وهذا ما أكده المؤرخ " دوصون " بقوله أن الأيالات المغربية كان يحكمها دايات منتخبون يرسمهم السلطان ويمنحهم رتبة ميرميران ذى طوغين مرة ، ورتبة " بكلربكى " الروملى

---

(١) ذكرت بعض المصادر أن ولاة الجزائر كانوا فى المرحلة الأخيرة من العهد العثمانى باشاوات ذوى طوغين (راجع : Chaillou, L'Ancien Alger en 1781, p. 8 , وكذلك Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ٢٠٣ •

وذكر بعضها الآخر أنهم كانوا باشاوات ذوى ثلاثة أطواغ (راجع Esquer, G., Reconnaissance ... d'Alger, p. 127

وكذلك: شالروليام، المصدر السابق، ص ٦٨، وكذلك: سبنسر وليام، الجزائر فى عهد رياس البحر ، ص ٧٥ •

(٢) يؤكد ذلك ماورد فى (سيرة خير الدين ، ص ١٠٧) بخصوص حصول حسن آغا (١٥٣٣ – ١٥٤٤) على لقب الوزارة والذى كان مكافأة له من السلطان سليمان القانونى على انتصاره على الملك الاسبانى " شارلكان " أثناء هجومه على الجزائر عام ٩٤٨ هـ/ ١٥٤١ م • وكذلك ماورد فى (سجل التشريفات ، ص ١٣) بخصوص حصول حسن باشا (١٧٩١–١٧٩٨) على نفس اللقب والذى كان مكافأة له من السلطان سليم الثالث على انتصاره على الاسبان واسترجاع مدينتى وهران والمرسى الكبير منهم عام ١٧٩٢ م •

(أى رتبة وزير) مرة أخرى" [١] .

ثانيا : الديوان :

كان الديوان يشكل إحدى الدعائم الاساسية التى أقام عليها العثمانيون نظام الحكم،وهو بمثابة مجلس عام يضم وزراء الدولة وكبار موظفيها وقادتها العسكريين والعلماء ويجتمع فى مواعيد معينة لمعالجة القضايا التى تخص الدولة . وكانت اجتماعات الديوان ذات أهمية كبرى حتى أن السلاطين قبل سليمان القانونى ، كانوا يترأسونها بأنفسهم ثم أصبح ينوب عنهم فى ذلك صدورهم العظام [٢] . ونظرا لأهمية هذا الجهاز فى تسيير دفة الحكم عند العثمانيين ، فانه كان يعين فى كل ولاية من ولايات الدولة جهاز مماثل يضم الباشا ومساعديه والعلماء لمعالجة كافة القضايا التى تخص الولاية وإصدار القرارات بشأنها والتى كان على الباشا أن يلتزم بتنفيذها [٣] .

وكان للجزائر – على غرار الايالات العثمانية الأخرى – ديوان خاص بها . إلا أن مايلاحظ عليه هو أن نفوذ الباشاوات واشتداد قبضتهم على الحكم قد جرده فى الفترة المتأخرة من العهد العثمانى " من كل قوة وسلطان " حسب تعبير حمدان بن عثمان خوجة [٤] . أو كما ذكر القنصل

---

(١) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٨٩ .

(٢) لمزيد من التفاصيل حول الديوان العثمانى راجع : Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٨ . وكذلك : د . عبد العزيز الشناوى ، الدولة العثمانية دولة إسلامية ، مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(٣) Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٦١ .

(٤) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

الأمريكي "وليام شالر" أنه (أي الديوان) أصبح مجرد شبح لا حول له ولا قوة ، ولو لم يستدعه عمر باشا للانعقاد عام ١٨١٦ م لمعالجة قضية الحرب بين الايالة وبريطانيا ، لما كان لوجوده معنى [١] . وقد فقد الديوان أهميته نهائيا عندما نقل علي باشا مقر الحكم من" قصر الجنينة " إلى " قصر القصبة " في السنة التالية ، فأصبح بعد ذلك " مجرد حبر على ورق في دستور المملكة (كذا) " [٢] .

ولم يعد الديوان – بعد تجريده من نفوذه – يعقد جلساته سوى في المناسبات التقليدية التي جرت العادة على الاهتمام بها والتي لم يكن لها أي تأثير على سياسة الايالة ، مثل مناسبة دفع المرتبات [٣] وتعيين الباشاوات وتجديد البيعة لهم في مناسبة عيد الفطر ، وكذلك عندما يرسل الباب العالي أحد مبعوثيه إلى الجزائر لمعالجة بعض القضايا [٤] .

وإذا كان الديوان قد فقد دوره كمجلس إستشاري للباشا في الجزائر فانه بقي يؤدي دوره كمجلس للوزراء أو الحكومة يعتمد عليه في تسيير دفة الحكم . وكان الديوان يقتصر في هذه الحالة على الموظفين الذين كانوا يشغلون المناصب العليا في الايالة ويشرفون على مؤسساتها الادارية

---

(١) شالر وليام ، المصدر السابق ، ص ٤٠ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٣ .

(٣) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٤) لوحظ ذلك من خلال قدوم السفارة التي بعثها السلطان محمود الثاني برئاسة سليم ثابت أفندي عام ١٢٢٧ هـ/ ١٨١٢م، راجع تفاصيلها في: C.C.C/Alger مجلد ٤٠ ، ورقة ٢٥٧ـ٢٥٩ .

الرئيسية • وكان الباشا هو الذى يتولى تعيينهم دون أى تدخل من الباب العالى • وهؤلاء الموظفون هم : " الخزنجى " و" بيت المالجى و" آغا الانكشارية " و" آغا السباهية " و" يالى وكيل حرج " و" الخواجات ". ولرسم صورة شاملة لنظام الادارة العثمانية فى الجزائر وبيان دعائمها الأساسية ينبغى معرفة هؤلاء الموظفين السامين وتحديد اختصاصاتهم وتوضيح العلاقة الموجودة بين الأجهزة الادارية التى كانوا يشرفون عليها والأجهزة الادارية فى الدولة العثمانية •

(١) الخزنجى

يلاحظ فى البداية أن هذا المصطلح التاريخى مستمد من كلمة " خزينة" التى كانت تستعمل فى الادارة العثمانية للدلالة على الدهاليز التى تحفظ فيها الأموال ، كما تدل فى نفس الوقت على الأموال ذاتها [١]• ومن هذين المفهومين استمد الخزنجى فى الجزائر وظيفته الرئيسية والمتمثلة فى إدارة الشئون المالية المتعلقة بالايداع والصرف [٢] ، وهى الوظيفة نفسها التى كان يقوم بها " الدفتردار " فى الباب العالى [٣] •ومثلما كانت خزينة

---

(١) Encyclopédie de L'Islam, Khazina.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول طرق إيداع الأموال وصرفها فى الجزائر العثمانية راجع : ناصر الدين سعيدونى ، النظام المالى للجزائر فى الفترة العثمانية ، ص ٨٥ ـ ١٦٧ •

(٣) Uzunçarşılı, I. Hakki, Merkezve bahriye teşkilâtı, S 364 - 365.

الدولة العثمانية باستانبول تقع داخل القصرعلى الجهة اليمنى عند الدخول من الباب الهمايونى [١] ، فان خزينة الجزائر كانت هى الأخرى تقع داخل دار الامارة على الجهة اليمنى عند الدخول من الباب الرئيسى ، وكان بابها مواجها لباب الديوان [٢] حتى يسهل على الباشا مراقبة كل من يقترب منها .

وإذا كان الدفتردار فى استانبول يمارس وظيفته تحت إشراف الصدر الأعظم [٣] بوصفه النائب الأول للسلطان على مستوى الدولة العثمانية ، فإن الخزنجى فى الجزائر كان يمارس وظيفته تحت إشراف الباشا بوصفه النائب الأول للسلطان على مستوى الايالة ، حيث كان الباشا هو الذى يحتفظ بمفاتيح الخزينة إلى أن يأتى الخزنجى كل صباح إلى الديوان ليستلمها منه ، ثم يعيدها إليه فى منتصف النهار ، وهو موعد انتهاء العمل [٤]. وكان الخزنجى يباشر عملية إيداع الأموال وسحبها بحضور موظفين متخصصين فى عد النقود وتقويم المعادن وتقييد الحسابات فى السجلات [٥] ، ويطلق على أحدهما إسم " صايجى كبير " (أى المحاسب الكبير)، ويطلق على الثانى إسم "كوجوك صايجى " [٦] (أى المحاسب الصغير) . وكمثال على حرص الايالة على

---

(١) Uzunçarşılı, Merkez, S 364.

(٢) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦ .

(٣) Uzunçarşılı, Merkez, 365

(٤) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ٢٠٦ ، ٢١٤ .

(٥) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

(٦) 228 MI 14 سجل ١٣ ، ورقة ٥٧ .

السير الحسن للحسابات المالية ، كانت البضائع التى تأتي بها السفن التجارية من الموانىء غير العثمانية (أى الأوروبية) إلى مدينة الجزائر، تنقل مباشرة بعد إنزالها إلى دار الامارة حيث يقوم الخزنجي بنفسه بتحصيل رسومها الجمركية وإيداعها الخزنية [1] .

وكان الخزنجي يحتل مركزا ساميا فى الايالة ، وكان له من النفوذ مايجعله الشخصية الثانية بعد الباشا . وفى حالة غياب هذا الأخير ، فإنه كان هو الذى ينوب عنه فى رئاسة الديوان حيث يستقبل القناصل ويتفاوض معهم حول المسائل المتعلقة بعلاقات الايالة مع بلدانهم [2] ، ويفصل فى القضايا التى ترفع إليه من قبل الرعية [3] . ونظرا لهذا المركز المرموق

---

(١) تقرير القنصل الفرنسى حول الرسوم الجمركية فى الجزائر، ٢٥ يوليه ١٨٢١، فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٤٥، ورقة ١٠٥ — ١٠٦ .

(٢) حول قيام الخزنجى بذلك كتب القنصل الفرنسى "دوفال" فى إحدى رسائله المؤرخة فى ٢٢ نوفمبر ١٨١٦م" لقد استدعيت يوم ١٨ نوفمبر للتفاوض حول إعادة الامتيازات التجارية فى الشرق الجزائرى مع حق صيد المرجان لفرنسا، فتوجهت إلى دار الامارة واقتديت إلى مقر الديوان حيث وجدت الخزنجى أوالوزير الأول للايالة محاطا بالخواجات الأربعة الكبار، وهم أمناء الدولة . وقد سألنى عما إذا كنت أحمل تفويضا من حكومتى يسمح لى بالتفاوض بخصوص إعادة الامتيازات التجارية فى الشرق الجزائرى لفرنسا ، وهو ماقررت الايالة أن تقوم به مقابل ٥٠ ألف سلطانى" راجع نص الرسالة فى : C.C.C / Alger مجلد ٤٢، ورقة ٤٠٩ .

(٣) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٣ مايو ١٨٠٥ فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٧، ورقة ٢٠٣ .

كانت الحكومات الأوروبية تشير إليه فى وثائقها باسم " الوزير الأول " وكانت تورد إسمه مباشرة بعد إسم الباشا فى قوائم الهدايا التى ترسلها إلى الايالة فى المناسبات ، وكانت حصته من تلك الهدايا تأتى مباشرة بعد حصة الباشا ، سواء من حيث قيمة محتوياتها أو حجمها [١] • ومن ثم يمكن القول أن الخزنجى كان على مستوى الايالة أعلى مركزا من "الدفتر دار" على مستوى الدولة العثمانية ، وأنه كان بالنسبة للباشا فى منزلة الصدر الأعظم بالنسبة للسلطان العثمانى •

(٢) بيت المالجى

وقد استعمل هذا المصطلح فى الدولة العثمانية للدلالة على الضابط المكلف بإدارة بيت مال الأوجاق والاشراف على الأملاك التابعة لهاء ويطلق عليه اسم " أوجاق بيت المالجيسى " [٢]. وإذا كان هذا مجرد ضابط فى استانبول لاتتعدى مسئولياته نطاق الأوجاق الذى ينتمى إليه ، فان بيت المالجى فى الجزائر كان عضوا بارزا فى ديوان الايالة وبمثابة

---

(١) راجع قائمة الهدية الفرنسية عام ١٨١١ فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٤٠ ، ورقة ١٩٤ – ٢٠٠ ، وهدية عام ١٨١٦ فى : نفس المصدر ، مجلد ٤٢ ، ورقة ٢٩٧ – ٢٨٠ ، وقائمة الهدية الأنجليزية عام ١٨٠٥ فى : F.O.3 ، مجلد ١٠ ، ورقة ٣٤٨ – ٣٥٠ •

(٢) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ وراجع أيضا : Uzunçarşılı, Kapukulu, S 311

وزير لـه وظائف عديدة ، وكانت مسئولياتـه واسعة بحيث تشمل الأوجـاق والرعيـة معا • ويتضح ذلك من افتتاحيات السجلات التى كان يشرف عليها[1]. وكانت أهم وظيفـة يقوم بها بيت المالجى فى الجزائر ويشترك فيها مع "أوجاق بيت المالجيسى " فى إستانبول، مصادرة أملاك الجنود والموظفين فى الايالـة الذين يتوفون دون أن يتركوا ورثاء لهم[2] • وقـد أمدتنا سجلات بيت المال بنماذج عديدة لعملية المصادرة وأسماء الأشخاص الذين تعـوضوا لهـا والوظـائف التى كان بعضهم يشغلهـا[3] •

وكانت المصادرة إحدى خصائص النظام العثمانى بشكل عام، وكان السلاطين يمارسونها — حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادى — دون ضوابط

---

(١) وقد جاء فى إحدى تلك الافتتاحيات مايلى : هذا دفتر مبارك قيد بحول من يقـول للشئ كن فيكون لحفظ متروك من مات (فـى) الجزائر من غير وارث أوغاب أو أسر وغير ذلك فى مدة المعظـم المحترم السيد الحاج على رمضان التركى الناظر وقت تاريخه علـى شغل الموارث المخزنية فى أوائل غرة الحرام (كذا) من عام ١٢٠٠" راجع : 228, MI 1 ، سجل ١ ،ورقـة ١ •

(٢) Uzunçarşılı, Kapukulu, S 311.

(٣) كأمثلة على ذلك توجد قائمة " متروك كرد على توفى فى البحر" فـى : 228 MI 1 ، سجل ١ ، ورقة ١ ، وقائمـة " متروك خزنجى المقتول بتاريخ ١٢٢٠ " فى : نفس المصـدر سجل ٢ ، ورقـة ١٣٦ ، وقائمة " متروك سى أحسن كاتب بـدار الامارة مات مصلوبا ، جمادى الثانية ١٢٢٠ " فى : نفـس المصدر ، سجل ٢ ، ورقـة ١٣٧ •

شرعيـة تبيحها لهم • وبموجب الفتوى التى استصدرها السلطان أحمد الثانـى (١١٠٢ ـ ١١٠٦هـ/ ١٦٩١ ـ ١٦٩٥م) أبيع لـه ولخلفائـه من بعـده ممارسة ذلك دون قيد ، وأصبح يقوم بـها مكتب خاص أطلق عليه إسم" مخلفـات قلمـى " (١) • وتجدر الاشارة فى هذا المقام الى أن مصطلح " مخلفـات" الذى أطلق على المكتب المذكور هو نفسه المصطلح الذى استعمله بيت المالجى فى الجزائرفى سجلات بيت المال عند الاشارة إلى قوائم ممتلكات بعض الأشخاص التى أودعت بيت المال ، ولكن دون ذكر سبب الايداع (٢) • وربما يكون ذلـك بطريقـة المصادرة •

(٣) ياسى وكيل حـرج

أطلق مصطلح " وكيل حرج " فى نظام الادارة العثمانية علـى

---

(١) Polgy, G., Les Emprunts de L'Etat Ottoman, P. 27
وحسب نفس المصدر أن صاحب الفتوى كان عبد اللـه بهجت أفندى ، غير أن حوليات التاريخ العثمانى لم تذكر أى شخصية بهذا الاسم تولت الافتاء فى عهد السلطان المشار اليه ، راجع : Danişmend, İ.H, Osmanlı ... Kronolojisi, Cild 5, s 131-132
وحول نفس المكتب راجع كذلك : Uzunçarşılı, Merkez, s 360

(٢) مثل ذلك " مخلفات عثمان يولداش" فى : 228 MI 1 سجل ١ ، ورقـة ٣ ، و" مخلفات على الطبال " فى : نفـس المصدر ، ورقـة ٣ ، و" مخلفات حسن خزنجى " فى : نفـس المصدر ، ورقـة ١٠٦ ، و" مخلفات تركى بلكباشى " فى : نفـس المصدر ، ورقـة ١٦٥ •

الضباط المكلفين بالتموين فى وحدات الجيش الانكشارى فى استانبول [(١)] كما فى الجزائر [(٢)] • وكان المصطلح يطلق كذلك فى استانبول على عدد من الموظفين المساعدين فى الديوان الهمايونى [(٣)] • كما كان للباشا ووزرائه فى الجزائر عدد من المساعدين بنفس الاسم [(٤)] • ولكى يميز ذلك الموظف السامى الذى كان عضوا بارزا فى ديوان الايالة عن هؤلاء الموظفين المساعدين ، أعطى له إسم " يالى وكيل حرج " [(٥)] ، أو كما ذكر فى بعض المصادر بإسم " وكيل حرج باب الجهاد " [(٦)] أو " وكيل حرج باب الجزيرة " [(٧)] •
وكانت مهام ذلك الموظف موزعة على مجالين رئيسيين ، أولهما شئون البحرية وثانيهما العلاقات الخارجية • فبالنسبة للمجال الأول كانت مسئوليات " يالى وكيل حرج " واسعة بحيث شملت جميع أنواع النشاطات التى تتعلق بالميناء سواء منها التجارية أو العسكرية [(٨)] ، أما بالنسبة للمجال الثانى فكان

---

(١) Uzunçarşılı, Merkez ..., s 235

(٢) Shaw (Dr), Voyage dans la Régence d'Alger, p. 162

(٣) Uzunçarşılı, Merkez, S. 26.

(٤) جاء ذكر هؤلاء المساعدين فى قوائم هدايا الدول الأوروبية للايالة ، أنظر : هامش ١ ، ص ٦٠ •

(٥) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥١٠ ، ٥٩ ، ٦٠ •

(٦) 228 MI 15 ، سجل ٢٢ ، ورقة ٢٠ •

(٧) Devoulx ، المصدر السابق ، ص ٢٠ •

(٨) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٥٥ •

يقوم بتسوية المسائل الخاصة بعلاقات الايالة مع الدول الأجنبية[١] • ولهذا كانت الاشارة إليه فى وثائق الحكومات الأوروبية تأتى باسم " وكيل حرج وزير البحرية والشئون الخارجية"[٢] •

ويقارن البعض[٣] وظيفة " يالى وكيل حرج " فى الجزائر بوظيفة " أمين الترسانة " فى استانبول • ومع أنه وجد توقيع أحد الذين تولوا تلك الوظيفة فى إحدى الرسائل بعبارة " وكيل ترسانة"[٤] ، إلا أن تلك المقارنة لا تمثل كل الحقيقة • ذلك لأنها لا تتوافق سوى مع الجانب الأول من مهامه والمتعلق بالبحرية والأسطول ، وهو الجانب الذى كانت تتركز عليه وظيفة " أمين الترسانة " فى استانبول • أما فيما يتصل بالجانب الثانى منها والمتمثل فى العلاقات الخارجية التى لها طابع سياسى ، فإنها كانت فى استانبول من اختصاص" الرئيس أفندى" الذى كان بمثابة وزير الخارجية للدولة العثمانية • ومن ثم كان " يالى وكيل حرج " فى الجزائر يجمع بين وظيفة هذا وذاك • وصحت بالتالى التسمية التى أطلقت عليه من قبل الأوروبيين •

---

(١) Chaillou ، المصدر السابق • ص ٦ ، ٢٣ •

(٢) لوحظ ذلك فى وثائق عديدة ، راجع مثلا رسالة من القنصل الفرنسى ، ٢٤ فبراير ١٨٢٤ ، فى : C.C.C/Alger مجلد ٤٦ ، ورقة ١٦ •

(٣) Ahmed Cevdet, Tarih-i Cevdet, cild 2, S. 1376
وراجع أيضا : Uzunçarşılı, Merkez, s 427, N 1

(٤) د • عبد الجليل التميمى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٥ •

(٤) آغا الانكشارية وآغا السباهية

أطلق مصطلح " أغا " فى الادارة العثمانية على عدد كبير من الأشخاص الذين كانوا يشغلون مناصب عديدة فى مجالى الخدمة المدنية والعسكرية[1] • وكان أبرزهم آغا الانكشارية وآغا السباهية اللذان كانا أكبر ضابطين فى الجيش العثمانى ومن أبرز أعضاء الديوان فى استانبول • أما فى الجزائر فكان المصطلح يطلق على عدد محدود من الموظفين ينتمى معظمهم إلى الجيش[2] • وكان أبرزهم جميعا – تمشيا مع نظام الدولة العثمانية – آغا الانكشارية وآغا السباهية اللذان كانا يعدان أكبر قائدين فى الأوجاق ويتمتعان بمركزين ساميين فى ديوان الأيالة •

---

(١) من بين هؤلاء الأغاوات نجد فى الخدمة الداخلية للقصر " آغا باب السعادة " و" جوهدار آغا سى "، وفى البحرية نجد " ترسانة آغا سى " ، وكان لآغا الانكشارية ثلاثة مساعدين بنفس الاسم وهم " أناضول أغاسى " و" روملى أغاسى " و" إستانبول أغاسى " راجع : Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٥٦ •

(٢) علاوة على آغا الانكشارية وآغا السباهية نجد قواد الوحدات العسكرية الموزعة على مدن الأيالة والذين كان يطلق عليهم كذلك إسم " آغا " راجع : Esterhazy, W. de la Domination Turque, p. 237 • وكذلك رئيس الوفد الذى كانت الايالة ترسله إلى استانبول ليحمل الهدية إلى السلطان فى المناسبات والذى كان يعرف باسم " بشكش أغا سى " راجع : 228 MI 14 سجل ١٩، ورقة ١٠ •

أما آغا الانكشارية (أو آغا العسكر كما يطلق عليه أيضا) فقد كان هو القائد الأعلى للجيش الانكشاري في مدينة الجزائر . وكانت صلاحياته في تطبيق قواعد النظام بين وحداته توازي صلاحيات نظيره في استانبول[١] وذلك من حيث إعطاء الأوامر للجنود ، ومعاقبة المخالفين منهم والتي كانت تتم في مقر إقامته الذي كان يعرف بإسم " دار السركجي "[٢] . كذلك كان يترأس ديوان دفع المرتبات للأوجاق والذي كان يحضره الباشا ومساعدوه وسائر الضباط والجنود[٣] . وكدليل على علو مكانته فإن إسمه كان يرد إلى جانب إسم الباشا في التوقيع على المعاهدات التي كانت الايالة تعقدها مع الدول، بينما لم يكن يشار إلى أعضاء الديوان الآخرين سوى ضمن ما تدل عليه كلمة " ديوان "[٤] . وفيما يتعلق بجلسات الديوان فانه كان يستدعى إليها ويأتيها في موكب خاص يليق بمكانته ويعكس في مظهره الأبهة العثمانية[٥] .

---

(١) Uzunçarşılı, Kapukulu, S. 177

(٢) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٤٤ ، وراجع أيضا : Pananti ، المصدر السابق ، ص ٤٦٢ ، وكذلك : Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) Pananti ، المصدر السابق ، ص ٤٦٧ .

(٤) لوحظ ذلك من خلال معاهدة الايالة مع إسبانيا عام ١٢٠١هـ / ١٧٨٦م راجع : De Martens , G.F., Recueil , TII, p. 671 . ومعاهدتها مع السويد عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م ، راجع نفس المصدر ، ج ٤ ، (إضافي) ، ص ٢٩٧ .

(٥) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ .

غير أن آغا الانكشارية فى الجزائر لم يكن يتمتع بتلك الاعتبارات لعلو منصبه ، بل لأنه كان أقدم جندى فى الأوجاق • إذ كان يفتقد لصلاحيات كثيرة يخولها النظام لآغا استانبول ومن بينها قيادة الجيش فى المعارك ، فضلا على أن الشخص الذى كان يتولى ذلك المنصب فى الجزائر لم يكن ينعم به سوى مدة شهرين قمريين يعزل بعدهما ويحتلى مكانه نائبه بطريقة آلية لا دخل للباشا فيها (١) •

أما آغا السباهية فكان - مثل نظيره فى استانبول - هو القائد الأعلى لفرقة السباهية (أى الفرسان) فى الايالة.إلا أنه بالاضافة إلى هذا ، كان لآغا السباهية فى الجزائر مهام أخرى تمثلت فى إشرافه على إدارة المناطق الداخلية للايالة وبصفة خاصة المناطق المحيطة بمدينة الجزائر (٢) • ومن أجل هذا كان يعرف كذلك باسم " آغا العرب " (٣) • ولما كان آغا السباهية يتولى قيادة الجيش فى المعارك ، فإنه يعد من أخطر المناصب فى الايالة ، ولهذا كان الباشا هو الذى يعينه ويختاره من بين محل ثقته من العسكريين (٤) •

---

(١) Pananti ، المصدر السابق ، ص ١٥٨ • ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثالث ص ١٠٤ - ١٠٥ •

(٢) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٤٨ •

(٣) 14 228 MI ، سجل ١٣ ، ورقة ٨٠ •

(٤) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٢٨-١٨٨ وراجع أيضا : Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ •

(٥) الخواجـــات

أطلق لفظ " خواجـه " فى الادارة العثمانية باستانبول علـى الاشخاص الذين يحسنون القراءة والكتابة ، أو المتعلمين بشكل عام الذيـن كانوا يعينون فى المؤسسات الحكومية سواء لمباشرة وظائف التربية والتعليـم والتدريب (مثلما كان جاريا فى قصرى السلطان فى " غلطه " وأدرنـه" حيث كان خدم السلطان وأفراد حاشيته يتلقون تعليمهم وتدريبهم قبل التحاقهـم بوظائفهم [1] ، وكذلك فى " هندسه خانـه " باستانبول حيث كان رجـال البحر العثمانيون يتعلمون الفنون البحرية وعلوم الجغرافيا وبناء السفـن) [2] ، أو لمباشرة وظائف إداريـة فى الأجهزة الحكومية مثلما كان جاريا فى المكاتـب التابعة للدفتر دار [3] .

ولقد كان هذا الإطار هو نفسه الذى استعملت فيه كلمة " خواجه " فى الجزائر حيث كانت تطلق على الأشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابـة ويختارون من بين جنود الأوجاق ليعين من بينهم الباشا ومساعدوه كتابهـم وأمناءهم.وكان الخواجات فى الجزائر يكونون فئة مستقلة وسط الأوجاق على شكـل إتحاد برئاسة " باش خواجه " الذى كان يتولى اختيارهم وتعيينهم فـى

---

(١) Uzunçarşılı, İ. Hakki, Saray teskilâtı, s 302-303.

(٢) Uzunçarşılı, Merkez, S 528, 541

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٣٨ .

وظائفهم[١] • وهم فى ذلك صورة منعكسة لفئة خواجات الباب العالى الذين أطلق عليهم " ديوان همايون خوجه لرى " (أى خواجات الديوان الهمايونى) وكانوا موزعين على مختلف الأجهزة الحكومية ويعرفون بأسماء عديدة مثل " أمين " و" ناظر" و"كاتب " وغيرها[٢] •

وكان يأتى فى مقدمة خواجات الجزائر الخواجات الأربعة الذين يعرفون باسم " دفتردار خواجه أفندى بيلرى "[٣] • وكانوا يزاولون وظائفهم فى الديوان إلى جانب الباشا —أو الخزنجى فى حالة غيابه — كأمناء للدولة[٤] • وقد كانوا على التوالى : " مقاطعة جى " و" باش دفتر " و" إيكنجى مقاطعه جى " و" رقمجى "[٥] ،أو كما يشار إليهم أحيانا على الترتيب: " خوجه الدفتر الكبيرة مقاطعة جى "[٦] و" باش دفتردار " و" يارم مقاطعه جى " (أو روزنامجى ") و" دفتردار "[٧] ،وأحيانا أخرى — على الترتيب كذلك — باسم الخوجه الأول ، والخوجه الثانى ، والخوجه الثالث والخوجه

---

(١) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ •

(٢) Uzunçarşılı, Merkez, S 68 - 71

(٣) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥٧ •

(٤) أنظر هامش ٢ ، ص ٥٩ •

(٥) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ١٤ •

(٦) 228 MI 16 ، سجل ٣٠ ، ورقة ٤ •

(٧) 228 MI 14 ،، سجل ١٣ ، ورقة ٥٧ •

الرابـــــــع [١] .

أما فيما يتعلق بوظائفهم فكان أولهم مكلفا بالاشراف على سجـــلات الأوجاق الخاصــة بمصاريف الجنود اليومية ومرتباتهم ، وهى الأمور التى كـــان العثمانيون يولونها اهتماما كبيرا ، وكذلك سجلات عوائد الدولـــة مـــن الممتلكات والتجارة والضرائب [٢]. وهذه الوظيفة الأخيرة هى التى كان يقـــوم بها " مقاطعة جى قلمى " فى استانبول [٣] . ولما كان الخواجات الثلاثـــة الباقون يمارسون وظائفهم تحت رئاســة هذا الخولجة فانه من الضرورى أن يكون أكثرهم تجربــة وأوسعهم اطلاعا على تاريخ الايالــة وقوانينها وأكثرهم فهما لسياستهـا العليا وخصائصها [٤]

وكان الخواجــة الثانى يحتفظ بالنسخة الثانية لسجلات الأوجاق ، ويحتفظ الثالث بالنسخة الثانية لسجلات عوائد الدولــة ، ويحتفظ الرابـــع بســجلات الجمارك والمواثيق التى تتعلق بعلاقات الايالة مــع الــدول [٥] . وبالنسبة للخواجة الرابع فانــه كان إذا قدم أحــد القناصل إلى الباشا مـــن أجل التباحث معه فى قضية تتعلق بعلاقات الايالــة مع دولتــه ، يقـــوم الباشا بتوجيه الأمر إليه (أى إلى الخواجة الرابع) بالبحث فى سجـــلات

---

(١) 228 MI 16 ، سجل ٣٠ ، ورقــة ٤ .

(٢) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٣) Uzunçarşılı, I. Hakkı, Merkez, S 332

(٤) حمد ان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٥) Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

المعاهدات ومختلف الوثائق عما يفيده من نصوص تتعلق بذلك ويقرأها عليه ليرد على ضوئها على أسئلة القنصل ويتفاوض معه [(١)] .

وعلاوة على الخواجات الأربعة نجد " آت خوجة سى "[(٢)] (أو خوجة الخيل) الذى كان عضوا فى الديوان ، وتمثلت وظيفته فى العناية بخيول الايالة التى يستخدمها الجيش . فكان يقوم بتوزيعها على أصحاب المزارع ومربى الماشية لرعايتها مقابل السماح لهم باستخدامها فى أغراضهم الخاصة على أن يرسلوها إليه متى وجه إليهم الأمر بذلك [(٣)] . ومن وظائف هذا الخواجة كذلك مراقبة بيع وشراء الحيوانات فى الأسواق والبحث عن لصوص الحيوانات والقبض عليهم ومعاقبتهم [(٤)] . كذلك كان يقوم بجمع الضرائب العينية التى يدفعها السكان على ممتلكاتهم الحيوانية والزراعية وبيعهما وإيداع عوائدها فى الخزينة الرئيسية [(٥)] .

أما الخواجات الذين لم يكونوا أعضاء فى الديوان ، فكان عددهم كبيرا . واذا كانت مناصبهم غير سامية فإن وظائفهم كانت حساسة ومهمة ، إذ

---

(١) Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

(٢) 228 MI 13 ، سجل ٥ ، ورقة ١٦ . وورد فى مصدر آخر باسم " آط خواجه " راجع : 228 MI 15 ، سجل ١٩ ، ورقة ١٣٨ .

(٣) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ . وراجع كذلك : 228 MI 15 ، سجل ٢٧ ، ورقة ٤ ، ١٠ ، ١١ .

(٤) على رضا باشا ، المصدر السابق ، ص ٤٧ ــ ٤٨ .

(٥) Chaillou ، المصدر السابق ، ص ٦ .

كانوا يشرفون على تسيير المكاتب المتفرعة من الأجهزة الادارية الرئيسية التى يشرف عليها أعضاء الديوان المشار إليهم • ومن بين هؤلاء الخواجات :

خوجة الغنائم : وكان مكلفا بتحديد حصة الباشا من الغنائم التى يحصل عليها رؤساء البحر فى غزواتهم [١] • وهى الحصة التى كان يطلق عليها مصطلح " بنجك "[٢] أو " بنجك سلطانى "[٣]. وكانت هذه الوظيفة تقليدا مطابقا لوظيفة " بنجك أمينى " التى كان أصحابها فى استانبول ومدن الأناضول والروملى مكلفين بتحديد حصة السلطان العثمانى من الغنائم التى كان الجيش يحصل عليها فى المعارك ، ويطلق عليها نفس المصطلح (بنجك) [٤] •

" **كمرك خوجة سى** "[٥] (أى خوجة الجمرك): وكان مكلفا بإدارة الجمارك فى الميناء ومراقبة استيراد وتصدير البضائع وتحصيل رسوم الوارد منها من الموانئ التابعة للدولة العثمانية وإرسال ماكان غير ذلك (أى البضائع الواردة من الموانئ الأوروبية) إلى دار الامارة حيث يقوم الخزنجى أو " يالى وكيل حرج " فى حالة غيابه

---

(١) Devoulx ، المصدر السابق ، ص ٢١ •

(٢) 228 MI 15 ، سجل ١٩ ، ورقة ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٥ •

(٣) نفس المصدر ، ورقة ٢٣ •

(٤) Uzunçarşılı, Kapukulu, S 10

(٥) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥٦ •

بتحصيل رسومها . أما بالنسبة للبضائع المصدرة فانه كان يراقب مدى التـزام التجار بالقوانين السائدة فى الايالـة بخصوص ذلك ، حيث كان بعضهـا (كالـقمح مثلاً) يعد مادة استراتيجية لا يجوز تصديرها إلا بموافقة الباشا[١]. وكان يتولى هذه الوظيفـة فى العاصمة العثمانية أشخاص عديدون باسـم " كمرك أميـنى " [٢] .

ثالثا : القضاء ونقابـة الاشراف

أسس العثمانيون نظام دولتهم فى الاطار العام للشريعة الاسلامية ، وكانت سياستهم المبنية على الفتوحات تدعوهم فى جميع الحالات إلى تحكيـم الشرع للفصل فى القضايا التى تعترضهم بطريقـة عادلـة . ومن هنا جـاء اهتمامهم بالقضاء الذى ظهر فى أعلى مستوى لـه فى عهد السلطان محمـد الفاتح (٨٥٥ ـ ٨٨٦هـ / ١٤٥١ ـ ١٤٨١م) الذى قام بعـد فتـح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م بترتيب وظائف القضاء بجميع مستوياتها ووضـع مبادئ القانون المدنى والعقوبات[٣] . وأتم جهوده فى هذا الميـدان بتعيين مفتى استانبول وإعطائـه لقب " شيخ الاسلام " ومنحه السلطـة القضائيـة العليا على جميع أقاليم الدولـة[٤] .

---

(١) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) Uzunçarşılı, Merkez, S 20, 182.

(٣) محمد فريد بك المحامى ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٤) D'ohsson ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥٧ .

وكان القضاة فى الدولة العثمانية يتدرجون فى خمسة مستويات ، يأتى فى أولها القضاة الذين يحملون إسم " مُلا" وهم قضاة المدن الرئيسية الكبرى،وكان فى مقدمتهم " قاضى عسكر الرومللى " وقاضى عسكر الاناضول • ونفس الاسم كان يعطى كذلك لقضاة المستوى الثانى الموزعين على المدن الأقل أهمية • ويأتى " المفتشون " فى المستوى الثالث، وكانوا مختصين بشئون الأوقاف • ويليهم فى المستوى الرابع " القضاة العاديون " ، وكانوا موزعين على المدن العادية المنتشرة فى مختلف أقاليم الدولة العثمانية • أما قضاة المستوى الخامس فكانوا " النواب " وهم قضاة المدن الصغرى[1] •

وكان قضاة كل من الجزائر وتونس وطرابلس ينتمون إلى قضاة المستوى الرابع (أى القضاة العاديين) الذين كانوا موزعين على ثلاث مجموعات هى : " مجموعة الرومللى " وكانت تحت إشراف قاضى عسكر الرومللى، ومجموعتا " الاناضول " و" مصر" وكانتا تحت إشراف قاضى عسكر الاناضول • وعلى الرغم من اشتراك الايالات المغربية الثلاث فى الخصائص الجغرافية والتاريخية مع أقاليم المجموعتين الاخيرتين (أى الاناضول ومصر) ، فان قضاتها كانوا ينتمون إلى المجموعة الأولى (أى الرومللى) التى يعين قضاتها قاضى عسكر الرومللى[2] •

---

(١) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ــ ٢٨٠ •

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٦٧ ــ ٢٨٠ ، وراجع أيضا : Lybyer A.H., The Government of the Ottoman Empire, p 218

وكذلك : د • عبد العزيز محمد الشناوى ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٣١ •

ولما كان هناك من القضايا ما يتطلب معرفة غزيرة بالشريعة، فقد تقرر منذ عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ ــ ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ ــ ١٥٦٦م) أن يقوم شيخ الاسلام بتعيين عدد من المفتين إلى جانب القضاة ليساعدوهم بفتاواهم على إصدار الحكم في ذلك النوع من القضايا . غير أن ماتجدر ملاحظته هو أن المفتي ظل يأتي في المرتبة الثانية بعد القاضي في الترتيب الوظيفي في جميع أقاليم الدولة العثمانية ،عدا العاصمة إستانبول [١] .

ولقد كان ذلك التعيين ــ سواء المتعلق منه بالقاضي أو المفتي ــ خاصا فقط بالمذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية . أما فيما يتصل بالمذاهب الثلاثة الأخرى (أي المالكي والشافعي والحنبلي) فقد كان تعيين مفتيها وقضاتها من حق الباشاوات أنفسهم الذين يختارونهم من بين علماء المذاهب التي يتبعها سكان المقاطعات التي يشرفون عليها [٢] .

وبمقتضى هذا النظام ، كان باشاوات الجزائر يعينون القاضي والمفتي المالكيين (باعتبار المذهب المالكي كان المذهب السائد بين السكان) إلى جانب القاضي والمفتي الحنفيين اللذين كانا يعينان على الترتيب من قبل قاضي عسكر الروملي وشيخ الاسلام في استانبول . غير أن مايجذب إنتباه الباحث في هذا الموضوع هو توقف ارسال القاضي والمفتي الحنفيين

---

(١) Gibb and Bowen المصدر السابق، ص ١٣٥ .
وراجع أيضاً : د . عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ج ١ ، ص ٤٣٢ .

(٢) Bibb and Bowen المصدر السابق ، ص ١٢٣، ١٣٥ .

من العاصمة العثمانية إلى الايالة فى الفترة المتأخرة من العهد العثمانى حيث أصبحا – مثل نظيريهما المالكيين – يعينان من قبل الباشا نفسه فى مدينة الجزائر[1] ، مما يدل على حدوث تطور فى العلاقات بين الايالة والباب العالى .

غير أن هناك ملاحظتين تجدر الاشارة إليهما بخصوص ذلك التطور . أولهما أنه جاء فى مرحلة كان كل من القاضى والمفتى قد فقدا منصبيهما كمستشارين للباشا فى أغلب القضايا بعد استبداد الباشاوات بالحكم ، فأصبحوا لا يعينون لهذين المنصبين سوى من يرونه مواليا لهم فى سياستهم من العلماء ويعزلون منهما من تبين لهم أنه غير ذلك ، دون اللجوء فى هذا المجال إلى الباب العالى الذى أصبح موقفه تجاه الايالة لا يسمح له بابداء أى اعتراض على ذلك .

---

(١) بالنسبة للقاضى الحنفى فقد ورد فى أحد السجلات أنه " عزل فى ١١ شعبان ١٢٣٥ هـ (٢٥ مايو ١٨٢٠ م) سى مفتا (ح الـ) دين أفندى قاضى الحنفية وعين مكانة سليمان خواجه أوغلو " راجع : 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥٦ . وبالنسبة للمفتى الحنفى فقد ورد فى سجل آخر " أن على باشا عزل فى شهر شعبان ١٢٢٦ هـ (يولية أغسطس ١٨١١) المفتى سيدى محمد بن العنابى والمفتى المالكى سيدى على بن الأمين وعين مكانهما على الترتيب سيدي أحمد وسيدى محمد بن الخفاف" ، راجع : Devoulx ، المصدر السابق ، ص ٧٧ .

والملاحظة الثانية هي أن ذلك التطور قد حدث في مرحلة كانت صورة القضاء نفسها قد تداعت كجهاز له أهمية اجتماعية لما للقاضي والمفتي من دور في تسوية مشاكل الرعية ، وذلك لما أصبح هذان المنصبان مدعاة للتنافس بين العلماء الذين يملكون الجاه والنفوذ بدل الكفاءة العلمية والنزاهة الأخلاقية ، خصوصا وأن معظم القضاة اشتهر بالجهل بأحكام الشريعة وبأكل أموال اليتامى والأوقاف وباصدار الأحكام الجزافية البعيدة عن منطق الشريعة[1] .

وفيما يتعلق بنظام القضاء في الايالة فقد ظل – حتى سقوط مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين – يعكس في صورته نظام القضاء الذي كان سائدا في الدولة العثمانية ، حتى أن المفتي الحنفي في مدينة الجزائر كان يلقب بشيخ الاسلام[2] ، وهو اللقب الذي كان يعرف به مفتي استانبول . وعلاوة على هذا فان الأيالة كانت مغطاة بشبكة قضائية واسعة بحيث كان لكل مدينة محكمة تساعد السكان على حل مشاكلهم[3] . وهو ما كان يعكس اهتمام العثمانيين بشكل عام بالجهاز القضائي .

وكان للنظام القضائي في الجزائر خصائص يشترك فيها إلى حد كبير مع النظام القضائي في الدولة العثمانية . ويمكن ملاحظة ذلك في عدة

---

(١) د. أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج ١ ، ص ٤٠١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩٩ ، وكذلك حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٢٩ .

(٣) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

جوانب يتمثل أولها فيما يمكن التعبير عنه بالفصل بين المدنيين والعسكريين (أى بين الرعية والأوجاق) فى المحاكم • ذلك أن القاضى فى الجزائر لم يكن يسمح له بالنظر سوى فى القضايا التى تخص المسلمين من الرعية ومن ضمنهم " القول أوغليون " (أى أبناء الجنود من أمهات جزائريات) ، مثلما كان لايحق للقاضى فى استانبول أن ينظر الا فى القضايا التى تخص من اصطلح عليهم باسم " الهيئة الاسلامية " • أما القضايا المتعلقة بالأوجاق فقد كانت فى كلتا العاصمتين (أى الجزائر واستانبول) من اختصاص آغا الانكشارية ، بينما جعلت قضايا الأفراد الأجانب من اختصاص الباشا نفسه طبقا لما نصت عليه معاهدات الايالة مع الدول الأجنبية فى هذا المجال ، وذلك بنفس الأسلوب الذى كان معمولا به فى الدولة العثمانية بشكل عام[١] •

وكان الجانب الثانى لنظام القضاء العثمانى يتمثل فى استئناف الحكم • حيث كان من حق أى شخص فى استانبول أن يستأنف شكواه أمام قاضى العسكر الذى يقوم بدوره بعرضها على الديوان الهمايونى الذى يرأس اجتماعاته الصدر الأعظم[٢] • واذا ما أحس صاحب الشكوى باجحاف

---

(١) بخصوص الجزائر راجع : Chaillou ، المصدر السابق ، ص ٢٢ ، وكذلك حمدان بن عثمان خوجه ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ ، وبخصوص الدولة العثمانية راجع : Lybyer ، المصدر السابق ، ص ٢١٦ •

(٢) Thornton, Th, Etat... de la Turquie, TI, p. 379.
وراجع أيضا : Ricaut ، المصدر السابق ص ٨٣ ، وكذلك : Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٩٩ •

بحقوقه فإن القوانين التقليدية فى الدولة العثمانية كانت تخول له رفع قضيته أمام السلطان نفسه عند خروجه إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة حيث كان يكلف من يقوم بجمع الشكاوى من الرعية وتقديمها إليه[١] . أما فى المقاطعات فقد كان الباشاوات (بوصفهم ممثلين للسلطان) ملزمين بالنظر فى جميع القضايا التى يرفعها إليهم رعاياهم[٢] .

وتمشيا مع هذه القاعدة ، فإن الاستئناف فى الجزائر كان يتم عادة أمام " المجلس الشريف " أو " المجلس الكبير " الذى كان يعد أعلى سلطة قضائية على مستوى الايالة ويضم المفتى والقاضى الحنفيين ونظيريهما المالكيين وبعض العلماء من كلا المذهبين ، ويعقد اجتماعاته يوم الخميس من كل أسبوع فى الجامع الكبير الخاص بالمذهب المالكى فى مدينة الجزائر. وكان من حق أى شخص فى الايالة اذا أحس بضرر بحقوقه أمام القاضى فى مدينة من المدن ، أن يرفع قضيته أمام هذا المجلس الذى يعيد النظر فيها على ضوء النصوص الشرعية[٣] . وكان تعبير " المجلس الشرعى " الذى أطلق على ذلك المجلس هو نفسه التعبير الذى أطلق على المجلس الذى كان قاضي استانبول يعقده للنظر فى القضايا التى ترفع إليه[٤] .

---

(١) Thornton ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤٢٣ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩٦ .

(٣) على رضا باشا ، المصدر السابق ، ص ٤٤ـ٤٥ وراجع أيضا : Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٤) Pakalın ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٤٣٠ .

وكان بـإمكان الشخص فى الجزائر أن يستأنف قضيته أمام الباشا نفسه • وكان عليه فى هذه الحالة أن يذهب إلى باب دار الامارة ويمسك بالسلسلة المثبتة على جانبيه ، وينادى بأعلى صوته مكرراعبارة " شرع الله " عدة مرات إلى أن يسمع الباشا صوته فيأمر بالسماح له بالدخول إلى الديوان حيث يسأله عن شكواه • وكان الباشا فى حالة القضايا التى تتطلب معرفة بالشريعة ، يستدعى إليه علماء المذهبين المالكى والحنفى ويطلب منهم أن ينظروا فى القضية أمامه[١] • وقد كان لهذه العادة التى اتبعها الجزائريون من أجل السماح لهم بالدخول إلى الديوان لمقابلة الباشا ،عادة مماثلة لها فى استانبول كان السكان يلجأون إليها من أجل السماح لهم بالدخول إلى السراى لمقابلة السلطان • فكان صاحب الشكوى يقوم باشعال النار فوق رأسه ويتوجه راكضا نحو السراى دون أن يجرؤ أحد من الحراس على إيقافه الى أن يصل إلى مقر إقامة السلطان ويعرض عليه شكواه[٢] •

وكان الجانب الثالث لنظام القضاء العثمانى يتمثل فى العلاقة التى كانت قائمة بين القضاة وإدارة الأوقاف • وكان القضاة فى هذا الجانب يعتبرون نوابا عن السلطان فى حماية تلك الأملاك وضمان توجيه عوائدها فيما يخدم مصالح المسلمين فى جميع أنحاء الدولة العثمانية • وللاشراف عليها كان يعين لكل قسم منها موظف خاص يحمل إسم " متولى " يمارس وظيفته تحت

---

(٢) كاثكارت ، جيمس ليندز ، المصدر السابق ، ص ٩١ • وقد وصف القنصل الفرنسى فى أحدى رسائله بتاريخ ٣ مايو ١٨٠٥م احدى الحوادث فى هذا المجال ، راجع : C.C.C / Alger ، مجلد ٣٧، ورقة ٢٠٣ •

(٢) Ricaut ، المصدر السابق ، ص ٨٥ •

مراقبة القاضي [١] . وهذا النظام هو نفسه الذى كان معمولا بـه فى مدينـة الجزائر والمدن الأخرى الكبرى فى الايالـة [٢] . أما بالنسبة للمدن الصغيـرة والقرى فإن القضاة كانوا هم المكلفون مباشرة بأدارة الأوقاف الموجودة بها [٣] . وماتجدر الاشارة إليه هو أنـه لما كان المذهب المالكى متشددا فى قبـول الهبات الخاصة بالوقف ، فان جميع الهبات فى الجزائر كانت تتم وفقا للمذهب الحنفى الذى تعد شروطه معتدلة فى هذا المجال [٤] . وهذا مايفسر كثـرة الأوقاف فى الايالـة بصفـة خاصة والدولةالعثمانية بصفـة عامـة .

وما يمكن إضافتـه بخصوص القضاء العثمانى فى الجزائر هـو أن مهام المحاكم لم تكن مقتصرة على القضايا التى تتعلق بالمجتمع فقط ، بل كانـت تتجاوزها إلى النظر فى بعـض القضايا التى كان لها طابع سياسى وتخـص علاقات الايالـة بالدول الأوروبيـة . وهذا مايمكن ملاحظته فى عهد على باشـا عام ١٢٢٥ هـ / ١٨١٠م عندما أوكل باى المقاطعة الشرقيـة إلى محكمة عنابـة مهمـة النظر فى قضية النزاع الذى نشب بين بريطانيا وفرنسا حول حـق أى منهما فى امتلاك أحد المراكز التجارية الموجودة فى نفس المدينة . وقـد حضـر المحكمـة علماء المذهبين المالكى والحنفى وقائد الحامية العسكرية فى المدينة وأعضاء ديوانه وكذلك نائبا القنصلين الفرنسى والأنجليزى فى نفس المدينـة .

---

(١) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٤ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١١٣ . وراجـع كذلك : د.أبو القاسم سعدالله ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٢٥ـ ٢٢٦ .

(٣) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(٤) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

وقد صدر الحكم لصالح فرنسا على الرغم من أن الباشا نفسه هو الذى كان قد طرد الفرنسيين من المركز المذكور وسلمه لبريطانيا قبل ذلك ببضعة سنوات • وقد جاء التوقيع على الحكم باسم ثلاثة من العلماء من بينهم المفتى المالكى ونظيره الحنفى[1] • وإذا كانت هذه المحاكمة قد كشفت عن تدخل القضاء فى القضايا السياسية بالجزائر ، فإنها عكست كذلك ظاهرة مهمة امتاز بها الحكم العثمانى بوجه عام وهى ظاهرة اللامركزية التى انعكست على الجهاز القضائى وأعطت المحاكم الاقليمية سلطات واسعة فى معالجة القضايا المحلية بجميع أنواعها وأحجامها •

وكانت توجد إلى جانب القضاة والمفتيين شخصية أخرى لا تقل عنهم أهمية أو مكانة ،وهى شخصية نقيب الأشراف • والأشراف هو المسلمون الذين يزعم أنهم من سلالة الرسول عليه السلام،وقد أعطاهم العثمانيون مكانة مرموقة فى مجتمعهم ، وكانو مندمجين فى جميع الشرائح الاجتماعية ، فكان منهم العلماء والجنود والتجار والأغنياء والفقراء والشحاذين[2] • وكان منهم من أعتلى منصب الداى فى الجزائر خلال مرحلة الحكم الثنائى ، مثل حسن داى (١١١٧ ـ ١١١٩هـ/ ١٧٠٥ ـ ١٧٠٧م) • وكدليل على إعتزاز الأشراف بنسبهم كتب هذا الداى فى إحدى رسائله إلى الملك الفرنسى يقول" من حسن أفندى الشريف من شجرة الحسين حفيد الرسول عليه السلام"[3] •

---

(١) أنظر ص ٥٣ هامش ١ •

(٢) D'ohsson ،المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٢٧٥ •

(٣) Plantet ،المصدر السابق ،ج ٢ ،ص ٥٦ •

وحرصا على نقاء شجرة الأشراف وتنظيم شئونهم أحدث السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦–٩١٨هـ/ ١٤٨١–١٥١٢م) وظيفة نقيب الأشراف وأعطى لصاحبها حق تنظيم شئون أشراف استانبول وتعيين من يقوم بنفس المهمة نيابة عنه في الولايات العثمانية [١] . وكانت مراقبة تفرع الشجرة تتم بعين ساهرة من قبل النقباء الذين كانوا يعاقبون بشدة من يثبت عدم صدق ادعائه بالانتماء اليها [٢] .ومن ناحية المظهر كان الأشراف يمتازون عن غيرهم من المسلمين باحتكار اللون الأخضر في اللباس وخاصة العمامة الخضراء التي لم يكن الشريف يرضى بخلعها من على رأسه مهما كانت الوظيفة التي تولاها . ونظرا لأهميتها عندهم فإنه كان لا يسمح لأحد غيرهم بأن يلبسها عدا السلطان باعتباره خليفة للمسلمين وكذلك الصدر الأعظم في بعض المناسبات [٣]. ولهذا فلم يكن غريبا أن يأمر الحاج علي باشا (١٢٢٤ – ١٢٣٠ هـ/ ١٨٠٩–١٨١٥م) باحراق عدد من كبار اليهود في الجزائر بسبب لبسهم اللون الأخضر [٤].

ونظرا لعلو مقام نقيب الأشراف ، فإنه كان أول من يقدم البيعة للسلطان عند توليه الحكم [٥] . وتمشيا مع هذه القاعدة كان نقيب الأشراف

---

(١) د . ليلى عبد اللطيف ، الادارة في مصر في العصر العثماني ، ص ١١
(٢) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ .
(٣) نفس المصدر ، ص ٢٧٦ .
(٤) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١١١ .
(٥) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٧٧ – ٢٧٨ .

فى الجزائر يحضر إلى جانب علماء المذهبين اجتماع الديوان الذى يعقد عند تعيين وال جديد ويشارك فى تقديم البيعه له [(١)] • كما كان توقيع نقيب الأشراف يرد إلى جانب توقيعات هؤلاء العلماء وأعضاء الديوان فى التقرير الذى يرسله الباشا الجديد بمناسبة تعيينه إلى السلطان [(٢)] • وتعد عائلتا المرتضى والزهار من أشهر العائلات التى توارثت نقابة الأشراف فى الجزائر خلال العهد العثمانى [(٣)] • وكان أحمد الشريف الزهار ـ المولود عام ١١٩٦هـ/ ١٧٨١م وصاحب المذكرات التاريخية التى تعد من أنفس مصادر تاريخ الجزائر العثمانى فى المرحلة الأخيرة ـ آخر من تولى هذه الوظيفة •

رابعا : التقسيم الاداري

كانت أيالة الجزائر مقسمة إداريا إلى أربع مقاطعات هى : مقاطعة الشرق ، ومقاطعة الغرب ، ومقاطعة تيطرى ، ومقاطعة مدينة الجزائر • وكان يحكم المقاطعات الثلاث الأولى منها حكام بإسم " بك " أو " باى " [(٤)] • أما مقاطعة مدينة الجزائر ـ التى كان يطلق عليها مجازا أسم " دار السلطان " ـ فكانت تحت إدارة آغا السباهية [(٥)] • وكانت

---

(١) د • أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٨ •

(٢) د • عبد الجليل التميمى ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ •

(٣) د • أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٩ •

(٤) جاءت الاشارة إليهم فى السجلات الادارية لمدينة الجزائر بأسماء : " شرق بكى " و " غرب بكى " و " تطرءبكى " ، راجع : 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٦٤ ، ٦٧ •

(٥) ناصر الدين سعيدونى ، المصدر السابق ، ص ٢٩ •

كل مقاطعة مقسمة إلى وحدات إدارية صغيرة أطلق على كل منها إسم " وطن " يحكمه " قايد "،وكان كل "وطن " مقسما إلى وحدات إدارية أصغر تسكن كلا منها عشيرة أو مجموعة من العشائر برئاسة " شيخ " [١] .

وكانت الوحدات الادارية الثلاث التى كانت الايالة مقسمة اليها بالتدرج (أى، مقاطعة ، وطن ، ومشيخة إن صح التعبيرة) تعادل الوحدات الادارية الثلاث التى كانت مقسمة إليها بعض الايالات الأخرى فى الدولة العثمانية وكان يحكمها بالتدرج " سنجاق بك " و" آلاى بك" و" صو باشى " [٢] • أى أن " الباى " و" القائد " و" الشيخ " فى الجزائر كانوا يعادلون بالترتيب " سنجاق بك "و" ألاى بك " و"صوباشى " فى الدولة العثمانية •

وكان تعيين حكام تلك الوحدات فى الجزائر يتم وفق نظام يراعى فيه تسلسل مستوياتهم وتوسع مسئولياتهم ، إبتداء من الشيخ الذى يحكم أصغر وحدة إدارية إلى " الباى " الذى يحكم المقاطعة ، بل إلى الباشا الذى يحكم الايالة • وكما كان السلطان العثمانى يعين الباشا ،كان هذا الأخير يعين البايات على مستوى المقاطعات ،والبايات يعينون القواد على مستوى الأوطان ، والقواد يعينون الشيوخ على مستوى أصغر الوحدات [٣] •

---

(١) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص٢٧١ ــ ٢٧٣ •

(٢) Ly byer ، المصدر السابق ، ص١٠٣ ــ ١٠٥ •

(٣) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣ •

واذا كان رمز التعيين بالنسبة للباشا والبايات هو القفتان ، فإنه كان بالنسبة للقواد والشيوخ هو البرنوس • فمثلما كان السلطان العثماني يبعث بالقفتان إلى الباشا عند تعيينه فى منصبه ،فان هذا الأخير كان يبعث بقفاتين إلى البايات عند إسناد المناصب إليهم • وكان كل قائد مثلما يتلقى عند تعيينه برنوسا أحمر من الباى الذى يتبعه ،فإنه كان بدوره يبعث ببرنوس أخر أبيض إلى كل شيخ يعينه[1] •

وبناء على اللامركزية التى كانت تمتاز بها الادارة العثمانية بشكل عام فإن " الشيخ " فى الجزائر كان يحظى على مستوى وحدته الصغيرة بصلاحيات فى مجال الجيش والأمن والقضاء والمالية[2] ، يمكن القول بأنها كانت توازى الصلاحيات التى كان يحظى بها القائد على مستوى " الوطن " و" الباى " على مستوى المقاطعة ، والباشا على مستوى الايالة ، بل السلطان على مستوى الدولة العثمانية •

وكانت إحدى مهام الشيخ الأساسية الاشراف على توزيع الأراضى وتنظيم ملكيتها بين العائلات ومراقبة كمية ونوعية الانتاج الذى تدره على الفلاحين لضمان جمع الضرائب[3] ،وهو الجانب الذى كان العثمانيون يولونه اهتماما بارزا فى جميع أنحاء الدولة • وكانت الضريبة تقدر فى الجزائر بعدد " الزويجات "(مفردها زويجه) أو " الجابدات " (مفردها

---

(١) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص ٢٧٣ •

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٧٣ •

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٧٢ •

جابـده) التي يملكها كل فلاح[١] • و" الزويـجة " أو " الجابـدة" هـي المساحـة من الأرض التي يمكن للفلاح أن يحرثها بزوج من الثيران أو البغـال خلال موسم الحرث[٢] • وهي نفس الطريقـة التي كان العثمانيون يستعملونهـا لتقدير الضريبـة في الأيالات الأخرى ويطلقون عليها إسم " جفت" الـذي يعني في اللغة التركيـة " زوج " [٣] •

وكان البايات (أي حكام المقاطعات) يخضعون لمحاسبـات دوريـة تتم وفق قواعد تقليدية جرى الجزائريون عليها • فكان كل " بـاي " ملزما بأن يرسل في منتصف ونهاية كل سنة خليفته (أي نائبـه) إلى مدينـة الجزائـر ليقدم للباشـا تقريره عـن المقاطعة ويودع في الخزينـة الرئيسيـة ما جمعه من غرامات وضرائب من الرعيـة • وكان على الباي أن يقـوم بهذه المهمـة بنفسه عند مرور أول سنة على تعيينه ، ثم يبقى بعد ذلك يقـوم بها بنفسه مرة كل ثلاث سنوات.وهذه العمليـة هي التي كان يطلق عليهـا

---

(١) 228 MI 17 ، سجل ٤١ ، ورقة ٤٥ ، وحسب نفـس المصدر أن ضريبـة " الزويجة " الواحدة كانت تقدر بعشر كيـلات من القمح أو الشعير •

(٢) ناصر الدين سعيدونـي ، المصدر السابق ، ص ٨٨ •

(٣) Kitsikis, Dimitri, L'Empire Ottoman, p. 73.
وكما هو واضح من إستعمال الأسماء الثلاثـة " زويجه " و" جابده" و" جفت " فانها تحمل مدلولا واحداً، ويمكن أن يحل أحدها محل الآخر ، ومن المرجح أن يكون إسم " جابده " في الجزائر هـو نفسه " جفت " العثماني بلفظ محور •

إسم " دُنُوش "(١) الذى يعنى فى اللغة التركية " العودة " ، ويقصد به أن الباى كان يعود بنفسه (أو يرسل نيابة عنه خليفته) إلى مدينة الجزائر ليقدم حساباته المالية وتقاريره عن المقاطعة للباشا ، وهذه المناسبة هى التى كانت تحدد مصير الثقة التى وضعها فيه الباشا عند تعيينه ، وذلك إما بتجديدها له وإلباسه القفتان مرة ثانية ، أو سحبها منه وتعيين من يخلفه (٢) .

وبخصوص العلاقات التي كانت قائمة بين البايات فى مقاطعاتهم والسلطة المركزية فى مدينة الجزائر ، فإنها كانت تعكس فى إحدى جوانبها العلاقة التى كانت قائمة بين الباشاوات فى إيالاتهم والسلطة المركزية للدولة العثمانية فى استانبول . فمثلما كان للباشاوات ممثلون لهم فى العاصمة العثمانية يعرفون بإسم " قبوكاهيه سى " أو " قبوكتخداسى "(٣)

---

(١) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ٣٥ ـ ٣٦ ، وراجع أيضا : Esterhazy ، المصدر السابق ، ص ٢٤٠ ، وكذلك : ناصر الدين سعيدونى المصدر السابق ، ص ١٠٠ ـ ١٠١ . وقد ورد فى المصدر الأخير (ص ١٠٠) أن كلمة " دنوش " محلية معناها المحاسبة على الضرائب . ونفس المعنى ذكره توفيق المدنى فى مؤلفه : محمد بن عثمان باشا ، ص ١١٠ ، هامش ٢ .

(٢) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .

(٣) Pakalın ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٧٦ ، ولمزيد من التفاصيل راجع الفصل الرابع ص ١٩٤ .

(أى وكيل لدى الباب العالى) ، فقد كان للبايات (ومعهم قائد منطقة " سباو ") ممثلون لهم كذلك فى مدينة الجزائر يعرف كل واحد منهم باسم " وكيل "[1] • ومثلما كان " قبوكاهية سى " فى استانبول بالنسبة للباشا فإن الوكيل كان كذلك بمثابة القناة الرئيسية التى تمر بها جميع الاتصالات التى تتم بين الباى فى مقاطعته والسلطة المركزية فى مدينة الجزائر حيث كان الوكيل مكلفا بمعالجة القضايا التى تخص الباى الذى يمثله ، واستقبال الرسل الذين يرسلهم إلى العاصمة فينزلهم عنده ويتعرف على مهامهم وينظم لهم اللقاءات مع الباشا وأعضاء الديوان • ومن مهام الوكيل كذلك أنه كان مكلفا بوضع الترتيبات للباى عند قدومه إلى مدينه الجزائر لأداء " الدنوش " وتوفير الظروف المناسبة لنجاح زيارته ، خصوصا فيما يتعلق بمعرفة مواقف الباشا وأعضاء الديوان منه ، ليتخذ التدابير اللازمة لكسب ودهم قبل المثول بين أيديهم[2] •

وهكذا يتضح أن الادارة الجزائرية فى العهد العثمانى كانت مستمدة بشكل عام من الادارة فى الدولة العثمانية • ويعد ذلك أحد الجوانب الأساسية فى العلاقات التى كانت قائمة بين الايالة والباب العالى مع ملاحظة أن ثمة بعض الخصائص التى امتازت بها الادارة الجزائرية والناتجة عن تطور تلك العلاقات •

---

(١) جاءت الاشارة إليهم فى السجلات الادارية لمدينة الجزائر بإسم " قطره وكيلى " و" شرق وكيلى " و" غرب وكيلى " و" سباو وكيلى " ، راجع : 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٢٢ •

(٢) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٣٦ • وراجع أيضا : Esterhazy ، المصدر السابق ص ٢٥ ، وكذلك : محمد بن يوسف الزيانى ، دليل الحيران ، ص ١٩١ •

الفصل الثالث

نظام الجيش العثماني فى الجزائر

اولا : الجيش النظامي ((الأوجاق)) *

ثانيا : الجيش الاحتياطي ((عشائر المخزن)) *

ثالثا : البحرية *

أجمع معظم الذين كتبوا عن الجزائر فى العهد العثمانى ـ مثل القناصل والرحالة وكذلك بعض المؤرخين ـ أنها كانت " جمهورية عسكرية" [١] . ذلك أن الجيش كان يشكل القاعدة الأساسية التى بنى عليها نظام الحكم فى الايالة .

ويمكن الاشارة هنا إلى عاملين صبغا الايالة بتلك الصبغة العسكرية ، يتمثل أولهما فى الظروف الحرجة التى أسست فيها الايالة [٢]، ويتمثل الثانى فى كونها امتدادا للدولة العثمانية التى أخذت عنها الايالة خصائصها ومنها خاصيتها العسكرية [٣] . وقد رأت الايالة

---

(١) شالر وليام ، مذكرات ، تعريب : إسماعيل العربى ، ص ٤٢ ، وراجع أيضا : J. M. H. B, Iteneraire d'Alger, p. 9
وكذلك : د . أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافى ، ج ١ ص ١٣٨ ، وناصر الدين سعيدونى ، النظام المالى للجزائر فى الفترة العثمانية ، ص ٢٢ .

(٢) أنظر الفصل الأول " تمهيد " .

(٣) استمدت الدولة العثمانية خاصيتها العسكرية من سياسة الفتوحات التى شرع فى خوضها السلاطين العثمانيون منذ تأسيس نواة الدولة فى نهاية القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، انطلاقا من عاصمتهم " بنى شهير". لمزيد من التفاصيل راجع : فريد بك المحامى ، تاريخ الدولة العلية ، ص ١٨ وما بعدها ، وكذلك : د . عبدالعزيز محمد الشناوى ، الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ، ج ١ ، ص ٤٩ .

ضرورة الحفاظ على صبغتها العسكرية حتى تكون على استعداد دائم لمواجهة الهجمات التى كانت تشن عليها من قبل كثير من دول أوروبا [١] .

وكان الجيش فى الجزائر ، مثل الجيش فى الدولة العثمانية ، قائما على دعامتين هما : الجيش النظامى المتمثل فى فرق الأوجاق وفى مقدمتها الفرقة الانكشارية ، والجيش الاحتياطى المتمثل فى " عشائر المخزن " الشبيهه بالجيش الاقطاعى فى الدولة العثمانية ، ذلك فضلا عن البحرية التى كانت تشكل جانبا هاما ومميزا فى قوة الجزائر العسكرية .

أولا : **الجيش النظامى (الأوجاق)** .

عرف الجيش النظامى أو الجيش المحترف (بالمعنى الحديث للكلمة) فى الدولة العثمانية باسم " قبو قولى عسكر لرى "[٢] (أي جنود الدولة ذوى المعاشات) ، أو " أوجاق " [٣] . وكان هذا الجيش مقسما إلى قسمين ، عرف أحدهما باسم " بايا " (أى المشاة) ، وعرف القسم

---

(١) من أشهر تلك الحملات ، كانت حملات إسبانيا فى سنوات ١٥٤١ م و ١٧٧٥م و١٧٨٤م ، وحملة الدانمارك عام ١٧٧٠م ، وبريطانيا عام ١٨١٦ ، وفرنسا فى سنوات ١٦٦٥م و١٦٨٤م و ١٦٨٨ ، ١٨٣٠م .

(٢) Uzunçarşılı, İ. Hakkı, Kapukulu Ocakları, cild 1, S4.

(٣) D'hsson, Mouradgea, Tableau général de l'Empire Ottoman, TIII, P. 392.

الثانى باسم " آتلى معاشلى عسكرلرى " (أى الفرسان ذوى المعاشات) وكان كل قسم يتكون من عدة فرق [١] .

ولقد كان جيش الجزائر النظامى يتشكل على نفس النمط العثمانى إلا أنه لم يكن يوجد من القسم الأول منه (أى المشاة) سوى فرقتين هما : " يكيجرى أوجاقى "[٢] (أى الفرقة الانكشارية) ، و" طوبجى أوجاقى " (أى الطوبجية أو رجال المدفعية) . أما القسم الثانى فلم يكن يوجد منه سوى فرقة " سباه " (أى الفرسان) .

(ا) ـ الانكشارية :

تمثلت القوة الضاربة فى الجيش العثمانى فى الفرقة الانكشارية التى كانت أكثر الفرق عددا فى الجنود وأقواها نفوذا وأشدها بأسا ، سواء فى العاصمة استانبول أو فى المقاطعات ومنها الجزائر .

ويرجع تأسيس انكشارية الجزائر إلى عام ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ م حينما أرسل السلطان سليم إلى خير الدين ألفين من الجنود الانكشارية

---

(١) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص٤ .

(٢) يكيجرى أوجاقى ، تنطق الكلمة الأولى " ينيتشرى " ومعناها " العسكر الجديد " ، وأما الكلمة الثانية فأصلها " أوجاق " ، وقد قلب حرف القاف غينا بعد تحركه حسب قواعد اللغة التركية ، ومعناها فى الأصل " موقد " ، إلا أنها تطورت وأصبحت تطلق على فرق الجيش فى الدولة العثمانية ، أنظر: رد حاوص ، جميس ، كتاب معانى لهجة (قاموس عثمانى أنجليزى) .

وأتبعهم بعد ذلك بأربعة آلاف من المتطوعين من الرعية مع إعطائهم الامتيازات والحقوق المادية والأدبية التى يحظى بها الجيش الانكشارى فى استانبول (١) • ونظرا لحاجة الدولة العثمانية للجنود الانكشارية وتناقص دور " دوشيرمه "(٢) فى تغطية احتياجاتها فى هذا المجال(٣) ، أعطى للايالة حربية تنظيم عمليات التجنيد بين المسلمين فى أقاليم الدولة العثمانية وبصفة خاصة فى الأناضول ، لتلبية احتياجاتها من الجنود (٤) •

ومن ثم ففى الوقت الذى كان إنكشارية استانبول يعودون بأصولهم إلى أسر غير مسلمة ومسيحية بشكل عام ، كان إنكشارية الجزائر على العكس من ذلك يعودون إلى أسر مسلمة فى أغلب الحالات ، وكان يؤتى بهم من أقاليم الدولة العثمانية وهم ليسوا فى حاجة إلا إلى التدريب على استعمال السلاح وحفظ قوانين النظام • غير أن ما تجدر الاشارة إليه هو أنه فى الوقت

---

(١) İlter, A. Samih, Şimali Afrika'da turkler, Cild 1, S 107.

(٢) ديوشيرمه : كلمة تركية معناها " الجمع " • وكانت تطلق على العملية التى تقوم بها الدولة العثمانية لجمع الغلمان المسيحيين لتربيتهم وتدريبهم بطريقة خاصة وتسخيرهم لخدمتها فى مختلف المجالات ومن بينها الجيش • لمزيد من التفاصيل راجع : د • عبد العزيز محمد الشناوى ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ج ١ ، ص ٤٧٣ •

(٣) Djevad Bey, Ahmed, Etat Militaire Ottoman, p. 250

(٤) İlter ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ •

الذي بدأ السلاطين العثمانيون- منذ أواخر القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي- يتخلون عن " ديوشيرمه " في جلب الجنود (وذلك أمام ضعف الدولة وتوقف الفتوحات وازدياد رغبة الرعية في أداء الخدمة العسكرية) [١] ، فإن الايالة استمرت حتى الغزو الفرنسي عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م ، تعتمد على عمليات التجنيد في أقاليم الدولة العثمانية لتزويد جيشها بالعناصر الشابة مبعدة الرعية عن أية مشاركة في ذلك [٢] .

ومثلما كان الدفتردار في استانبول يفعل بخصوص " إيج أوغلر " (أي الجنود الذين يتم تدريبهم وإعدادهم للخدمة العسكرية) عند توزيعهم على وحدات الجيش المختلفة [٣] ، كان " مقاطعة جي " في الايالة كذلك يفعل بخصوص المتطوعين الذين يصلون إلى مدينة الجزائر حيث يقوم بتسجيل أسمائهم في سجل الجند الذي يطلق عليه " دفتر يكيجرى " ، وذلك بكتابة إسم كل جندي متطوع مرفوقا باسم والده وإسم البلدة التي قدم منها ، مع ذكر مهنته إذا كانت له مهنة ، وكذلك جميع المعلومات التي تتعلق بوضعه العسكري [٤] .

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٢٥٠ • وراجع أيضا : Grassi, Alfe´o, Charte Turque, TI, p. 60

(٢) حول تفاصيل جلب الجنود إلى الجزائر أنظر الفصل الرابع ، ص ١٦٧ •

(٣) Ricaut, E , Histoire ... de L'Empire Ottoman, p. 49

(٤) Deny, Jean, Les registres de Solde, in R.A. 61 / 1920 p. 30-32 وراجع أيضا : Venture de Paradis, Tunis et Alger au 18e siecle, pp. 160, 215

وكان إنكشارية الجزائر ، تمشيا مع نظام العاصمة العثمانيــــة[١]، موزعين على وحدات عسكرية أطلق على كل واحدة منها إسم " أورتــة " وأعطـى لها جميعا أرقاما متسلسلة من واحد إلى أربعمائة وعشرين ، وهو عـــدد الوحــدات التى كان يتكون منها جيش الجزائر الانكشارى[٢] ، وكان يســاوى أكثر من ضعف عــدد وحدات إنكشارية استانبول[٣] • غير أن ماتجدر الاشــارة إليــه هو أن عــدد الجنود فى وحداتالعاصــمة العثمانية[٤] كان يســاوى بشكل عام أضعاف ما كــان موجودا فى وحدات الجزائر[٥] •

وفيما يتصل بمصطلح " أوجاق " الذى كان استعماله شائعا فــى الدولــة العثمانية ، فكان يستعمل فى استانبول بمعنى " الجيش النظامى"[٦]

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، وراجع أيضا :
Thornton, Th, Etat actuel de la Turquie, TII, p. 62

(٢) Deny ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، وراجع أيضا :
Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ ، ١٧٦ •

(٣) كان الجيش الانكشارى فى استانبول موزعا على ١٩٦ وحدة • راجع :
D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٢ •

(٤) Djevad bey ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ وراجع أيضــا :
Weissman, Nahoum, Les Janissaires, p. 27

(٥) Deny ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ـــ ٤١ •

(٦) كان يقال بخصوص ذلك " أوجاق عامره " ، راجع : نفس المصــدر ص ٣٦ ، هامش ١ •

وكذلك بمعنى الفرقة العسكرية الكبيرة فى نفس الجيش[١] • أما فى الجزائر فقد كان لمصطلح " أوجا ق" ثلاثة معان • فكان يستعمل من جهة بمعنى " أورته " (أى وحدة عسكرية من وحدات الجيش الانكشارى الأربعمائة والعشرين المشار إليها) ، كماكان يستعمل من جهة ثانية بمعنى " الجيش النظامى مثلما كان فى استانبول ، ذلك فضلا عن استعماله ليدل على الايالة ذاتها[٢] •

وكان انكشارية الجزائر يسكنون داخل ثمانية معسكرات[٣]، أطلق على كل واحد منها إسم " دار الينكشارية "[٤] أو " قشله " [٥] • وكان كل معسكر يحتوى على عدد من الثكنات تعرف كل واحدة منها ، تمشيا مع نظام استانبول[٦] ، باسم " أوده " وكان هذا الاسم يستعمل فى صيغة الجمع

---

(١) وذلك مثل " يكيجرى أوجلغى " أى الفرقة الانكشارية ، و" طوبجى أوجلغى " أى فرقة المدفعية ، راجع : Uzunçarşılı , المصدر السابق ، ص٤ •

(٢) Deny ، المصدر السابق ، ص ٣٦ •

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١٧ •

(٤) Berbrugger, A., Casernes des Janissaires in R.A. 3/1858-59, pp. 136-137 ، وراجع أيضا : Venture de paradis ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ •

(٥) قشله : بنفس الشكل كتبها نور الدين عبد القادر في : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، ص ٧٨ • وهى كلمة تركية تكتب " قشلا " وتعنى المعسكر الشتوى ، أو الثكنة بشكل عام ، راجع رد حاوص ، المصدر السابق •

(٦) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ •

(أوده لـر) ليدل على المعسكر • ولكي تميز المعسكرات أحدها عن الآخـر أعطى لكل واحد منها إسم خاص ، وكذلك بالنسبة للثكنات ؛ وكان الاسمان " أسكي أوده لـر " (أي المعسكر القديم) و" يكي أودلر" [١] (أي المعسكر الجديد) المستعملان في الجزائر للدلالة على إثنين من المعسكرات الثمانية[٢]، مستعملين في العاصمة العثمانية ليدلا على مجموعتين من الثكنات تـم إنشاء إحداهما قبل الأخرى في عهد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦ هـ/ ١٤٥١ - ١٤٨٠) [٣] •

وإذا كانت وحدات انكشارية استانبول موزعة بانتظام على الثكنـات بمعدل وحدة فقط في كل ثكنـة[٤] ، فإن الأمـر كان مختلفا في الجزائـر حيث كان كثـير من الثكنات يسكنها أكثر من وحدة عسكرية مثل ثكنـة " أوغوز آغـا " الكائنـة بمعسكر " صالح رئيس " والتي كانت تسكنها وحدتـان ، وكذلك ثكنـة " إدريس آغـا " الكائنـة بنفس المعسكر والتي كانت تسكنهـا ثلاث وحدات[٥] •

---

(١) يكي أوده لر : يلفظ حرف الكاف في الكلمة الأولى نونا ، (أي ينـي)

(٢) Deny ، المصدر السابق ، ٢١٧ ، وراجع أيضا : Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ •

(٣) uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ •

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤١ - ٢٤٢ •

(٥) Deny ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣ •

وإذا كانت خدمة الانكشارية داخل ثكناتهم ـ من حيث النظافة والترتيب ـ يقوم بها فى استانبول الجنود ذوو الرتب الدنيا فى الوحدات[1]، فإن الأمر كان مختلفا فى الجزائر حيث كان يقوم بذلك عدد من الخدم يختارون من الأسرى الأوروبيين[2] .

وكان الجندى الانكشارى فى الجزائر يعرف فى السجلات الرسمية باسم " يولداش" [3] . وقد استمد هذا التقليد من مظاهر الحياة اليومية للجنود وعلاقات بعضهم ببعض داخل ثكناتهم فى استانبول حيث كان الجنود يستعملونه عند مناداة بعضهم بعضا، وذلك بمعنى " رفيق " أو" زميل "[4] .

كذلك كان الجندى المتطوع فى أحد أقاليم الدولة العثمانية يعين فور وصوله إلى الجزائر فى احدى الوحدات الانكشارية ليقضى بها مدة ثلاث سنوات يتعود خلالها على الحياة العسكرية حاملا لقب " يكى يولداش" [5](أى جندى جديد) ليصبح بعدها " أسكى يولداش"

---

(١) Pakalın, M. Zeki, Osmanlı... Sözlüğü, Cild 2, S. 198.

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق، ص ١٨٥ ، وراجع أيضا : كاثكارث ، جيمس ليندز ، مذكرات ، تعريب إسماعيل العربى ، ص ١٠٠ .

(٣) باريس، الأرشيف الوطنى الفرنسى ، سجلات الجزائر العربية والتركية، 228 MI 14 ، سجل ١٣، ورقة ٦٩، ٧٠ ، ٧٢ .

(٤) Pakalın ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٦٣٨ .

(٥) يكى يولداش: يلفظ حرف الكاف نونا فى الكلمة الأولى (أى ينى) .

(أى جنـدى قديم) ،وتفتح أمامـه أبواب التدرج فى الرتب بمختلـف مستوياتها [١] ، وذلك وفقا لقانون السلطان مراد الأول (٧٦١ ــ ٧٩١ هـ/ ١٣٦٠ ــ ١٣٨٩م) الخاص بالنظام الداخلى للجيش الانكشارى والذى جعل من الأقدميـة فى الخدمة المـقياس الوحيد الذى يقوم بـه الجندى ويمنـح بمقتضاه رتبته العسكرية [٢] . غير أن الجندى فى الجزائر كان لـه حـق التصـرف المطلق فى أقدميته سواء بالمنح أو البيع لمن هو أقل منه أقدميـة من زملائـه . ولهذا كان باستطاعـة الباشا أن يرقى من يشاء من الجنـود ويمنحه الرتبة التى يرغب فيها ، وذلك بأن يأمر بشراء أقدميـة زميله الـذى كان من المفروض أن تمنح لـه الرتبة المقررة [٣] . وهكذا ففى الوقت الذى كـان بإمكان باشاوات الجزائر أن يتحايلوا على قانون السلطان مراد بخصوص الأقدمية ، ظل السلاطين العثمانيون فى استانبول مقيدين بـه ،ولم يكن بإمكان أى منهـم أن يتجاوزه بتعيين من يرغب فيـه من الانكشارية فى الرتبـة التى لا تؤهلـه أقدميته لها بينما تؤهل غيره . وقـد ظل الوضع على هذه الحال إلى أن نجح السلطان محمود الثانى (١٢٢٣ــ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ ــ١٨٣٩م) فى القضـاء

---

(١) Esterhazy, Walsin, Dela Domination Turque, pp 232 - 233.

(٢) Thornton ، المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص٤٢ ، ٥٦ .
وحول تفاصيل القانون المذكور راجع : Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص٥٧ ومابعدها ، وكذلك: Weissman ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٣) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص١٨١ ، وراجـع أيضا : J.M.H.B ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

على النظـام الانكشـارى عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م [١] •

وفيما يتعلق بنظام الخدمـة العسكرية فى الجزائر فقد كان فى شكله العام نظاما عثمانيا محضا • أما التباين الذى يمكن ملاحظته فى بعـض الجوانب بين نظامى العاصمتين فيرجع إلى اختلاف طبيعة الخدمـة وحجـم الوحدات العسكرية فى كل منهما • وكان الجندى فى الجزائر يتدرج فى الرتـب مبتدئا برتبة (وكيل حرج) مارا برتبة (" أوده باشـى " ثم " بلوك باشـى " وبعدها " يابا باشى " و" باش بلوك باشـى " ومنتهيا برتبة " آغـا الانكشاريـة " [٢] • وتكاد هذه الرتب أن تكون هى نفسها الرتب التى كـان يتـدرج فيها الجندى الانكشارى فى استانبول [٣] •

وكانت الترقيـه تتم فى الجزائر بتعيين أقدم الجنود فى رتبـة " وكيل حرج " التى كان عـدد أصحابها كبيرا فى الايالـة [٤] • وكان لكـل

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٦٧ـ٦٨ • وقد جـاء فى نفس المصدر أن السلطان محمود الثانى لم يستطع أن يرقى الاغا حسين باشا من رتبة " جوربـاجى " إلى رتبة " آغا الانكشارية " عند مـا رآه من أنصار فكرة القضاء على النظام الانكشارى ، إلا بعد أن لجـأ إلى تنفيذ سلسلة من العزل والتعيين فى الرتبة الأخيرة حتى وصـل حسين باشا إليها •

(٢) Shaw (Dr), Voyage dans la Régence d'Alger, pp. 158 - 162

(٣) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ـ٢٣٦ •

(٤) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الثانى ، ص ٦٢ ـ ٦٣ •

وحدة انكشارية ، تمشيا مع نظام استانبول [١] ، ضابط بهذه الرتبة (أو اكثر إذا كان عدد الجنود كبيرا) ، وكانت مهمته الاشراف على المصاريف اليومية للوحدة وتوفير المواد الغذائية لجنودها . وكان لكل " وكيل حرج " في الجزائر مساعد يعرف باسم " وكيل حرج آلتى " [٢] ، وهى رتبة لا تشير المصادر إلى وجودها فى إنكشارية استانبول .

وكان أقدم وكلاء حرج يرقون إلى رتبة " أوده باشى " التى كان صاحبها أعلى ضابط على مستوى الوحدة التى ينتمى إليها ، وبالتالى هو قائدها . أما أقدم من تولى تلك الرتبة من الجنود فكانوا يرقون إلى رتبة " بلوك باشى " [٣] التى كانت تعادل فى استانبول رتبة " أوده كتخداسى " فى فرقة " جماعت " ورتبة " باش أوده باشى " فى فرقة " آغا بلوكلرى " الانكشاريتين ، وذلك بحكم أن الرتبتين كانتا تأتيان مباشرة بعد رتبة أوده باشى " فى كلتا الفرقتين [٤] . وكان الباشا فى الجزائر يعين قواد

---

(١) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٣٥ ، وراجع أيضا : D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٢) Deny ، المصدر السابق ، ص ٤٢ .

(٣) باريس أرشيف الجيش البري بوزارة الحربية ، M.R/Algerie صندوق ٣١٤ ، مذكرة ٢٦ ، مذكرة تاريخية حول أيالة الجزائر قبل الغزو الفرنسى (بالفرنسية) ، ص ٥٧ـ٥٨ ، وراجع كذلك : المصدر السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٤) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

الحاميات العسكرية الموزعة على مدن الايالة والمعروفة باسم " نوبة " من بين الجنود الذين تولوا رتبة " بلوك باشى " ويعرف كل قائد من هؤلاء القواد باسم " آغا النوبة " (١) .

وكان أقدم أربعة وعشرين " بلوك باشى " ممن تولوا وظيفة " آغا النوبة " فى الايالة يرقون إلى رتبة " باياباشى " (٢) ، وهى الرتبة نفسها التى كانت موجودة فى استانبول من حيث الاسم والدرجة فى فرقة " جماعت"، وتعادل رتبة " بلوك باشى " فى فرقتى " آغابلوكلرى" و" سكبان بلوكلرى" الانكشارية وكان أصحاب هاتين الرتبتين (أى" يايا باشى" فى فرقة " جماعت" و" بلوك باشى" فى فرقتى " آغا بلوكلرى و" سكبان بلوكلرى") يعرفان باسم " جورباجى " (٣) .

والملاحظة التى تجدر الاشارة إليها فى هذا المجال هى أنه فى الوقت الذى كانت رتبتا " يايا باشى" و" بلوك باشى " متعادلتين فى انكشارية استانبول ، فان إحداهما كانت أعلى من الأخرى فى الجزائر . ويعد ذلك أحد أوجه الاختلاف التى كانت موجودة بين نظامى العاصمتين . وكان أصحاب رتبة " يايا باشى " يعدون ضباطا سامين فى الجزائر ، حيث كان

---

(١) مذكرة تاريخية حول أيالة الجزائر ، ص ٥٧ ــ ٥٨ ، وراجع أيضا : Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ــ ١٦٢ .

(٢) نفس المصدرين .

(٣) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

الباشـا يعين من بينهم من يقوم ببعض المهام الديبلوماسية داخل وخـارج الايالـة ، وكذلك من يقود الحملات العسكرية التى ترسل كل ستة أشهـر مـن العاصمـة إلى نواحي الايالـة لتعزيز الحاميات الموجودة بها ومساعد تهـا على جمع الضرائـب من الرعيـة ، ذلك فضلا عن عضويتهم فى الديوان[١] .

وكان النظام المعمول بـه فى الجزائر يقضى بأن يرقى كل شهريـن قمريين أقدم الجنود الأربعة والعشرين الذين تولوا رتبة " يايا باشى " إلـى رتبـة " باش بلوك باشى " التى كان صاحبها فى استانبول يعد أقدم الجنود الذين تولوا رتبة " بلوك باشى " فى فرقـة " آغا بلوكلرى " الانكشاريـه[٢] . وكان " باش بلوك باشى " فى الجزائر يعد نائبا لآغا الانـكشارية ويعـرف باسم " كاهية " وكان من أهم وظائفه الاشراف على الأمن فى المدينة[٣]، وهـى الوظيفة التى كان يقوم بها " قول كاهية " فى استانبول والذى كان مؤهـلا لتولى رتبـة " آغا الانكشارية "[٤] .

وإذا كان " باش بلوك باشى " فى استانبول يرقى إلى بعـض الرتب العليا الموجودة على مستوى الجيش الانكشارى كله والأقل من رتبـة

---

(١) مذكرة تاريخية حول أيالة الجزائر ، ص ٥٧ ــ ٥٨ ، وراجع أيضـا : Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٦١ ــ ١٦٢ .

(٢) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، ٢١٧ .

(٣) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ ــ ٢١٧ .

(٤) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ ، وراجع أيضا: Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

" آغا الانكشارية " [١] ، فإن " باش بلوك باشى " فى الجزائر كان يرقى مباشرة إلى رتبة " آغا الانكشارية التى كانت الرتبة العليا الوحيدة الموجودة فى الايالة ، وهى رتبة شرفية يكافأ بها الجندى فى الجزائر [٢] . إذ أن صاحبها كان يفتقد لصلاحيات كثيرة كان النظام يخولها لنظيره فى استانبول [٣] أو حتى فى أحدى إيالات الدولة العثمانية الأخرى مثل مصر [٤] . ومن تلك الصلاحيات قيادة الجيش والاشراف على الأمن . ولما كان " آغا الانكشارية " فى الجزائر لا يستمر فى منصبه سوى شهرين قمريين فانه كان يعرف باسم " إيكى آى أغاسى " (أى آغا القمرين) ، وكان يمنح خلال تلك المدة بوصفه أقدم جندى إنكشارى ، أعلى مرتب فى الايالة . كما كان يقيم فى مقر خاص يوجد خارج دار الامارة ويعيش فيه عيشة الجندى الانكشارى الحقيقى ولا يسمح لأى أحد من أفراد أسرته ـ اذا كان متزوجا ـ أن يزوره ، كما لم يكن يسمح له (أى لآغا الانكشارية) بمغادرة مقره إلا إذا استدعى لحضور جلسات الديوان التى كان يذهب إليها فى موكب خاص يليق بمنزلته ويجلس إلى جانب الباشا من ناحية الشمال ويليه الكاهية ثم باقى ضباط

---

(١) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، ٢١١ ، ٢١٧ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ١٧٧ ومابعدها
وراجع أيضا : د . عبد العزيز محمد الشناوى ، المصدر السابق ، جـ١ ، ص ٤٨٢ ـ ٤٨٤ .

(٤) د . ليلى عبد اللطيف ، الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص ٢١٨ .

الانكشارية بالتسلسل حسب رتبهم(١) .

وبرتبة "آغا الانكشارية" ينهى الجندى الانكشارى خدمته العسكرية في الجزائر ويصبح بعدها "معزول آغا" (أى متقاعد)، ويعطى له حق الاحتفاظ بحقوقه المادية والأدبية، ويسمح له باختيار المكان الذى يراه مناسبا لاقامته وممارسة نشاطاته . وكان "معزول آغاوات" يتمتعون باحترام كبير فى الايالة، حتى أن الباشا كان يرى ضرورة استشارتهم فى بعض القضايا الخطيرة والأخذ بآرائهم لخبرتهم ودرايتهم بشئون الايالة(٢) .

النظام الداخلى للجيش الانكشارى :

كان للجيش الانكشارى، كأى جيش فى العصر الحديث، نظام داخلى واضح المعالم يبين للجنود حقوقهم على الدولة ويعرفهم بواجباتهم نحوها ويرسم لهم المنهج الذى يسيرون عليه . وقد تبلور ذلك النظام فيما

---

(١) حول آغا الانكشارية فى الجزائر راجع : مذكرة تاريخية حول إيالة الجزائر، ص ٥٩ ـ ٦٠، و Shaw، المصدر السابق، ص١٥٨ ـ ١٥٩، Venture de Paradis، المصدر السابق، ص١٧٥ ـ ١٧٦، ٢١٦، و Renaudot, M, Tableau de la Ville d'Alger, p 216

(٢) مذكرة تاريخية حول الجزائر، ص ٥٩ ـ ٦٠ وراجع أيضا : Shaw، المصدر السابق، ص١٦٠، وكذلك : Pananti, Philipo, Relation d'un séjour à Alger, p. 464.

عرف بقانون السلطان مراد [١] • وتجدر الاشارة هنا إلى المبادئ العامة لذلك القانون ومدى إلتزام انكشارية الجزائر بها ، بل ومدى تشابههم في ذلك مع انكشارية استانبول • وتدور تلك المبادئ حول حقوق الجنود الانكشارية وعلاقتهم بالطريقة البكتاشية والزواج والتربية الدينية والانضباط •

حقوق الجنود الانكشارية :

كان الجنود الانكشارية يتمتعون بجملةمن الحقوق التى لايتمتم بها غيرهم من أفراد الرعية • ولم يكن ذلك بوصفهم طبقة مميزة وإنما لوضعهم القانوني سواء في استانبول أو في المقاطعات ومنها الجزائر • وكان المرتب أول تلك الحقوق وأهمها ،ويطلق عليه مصطلح " علوفه" • وكان يقصد به المبلغ من المال الذى يتلقاه الموظف في الجيش أو الادارة ، من خزينة الدولة مقابل الخدمة التى يقدمها خلال اليوم الواحد سواء في السلم أو الحرب [٢] •

وكان الجندى الانكشارى في الجزائر مثل نظيره في إستانبول ، يتلقى نفس المرتب ، وكان يصرف له بانتظام على مدار السنة من خزينة الايالة •

---

(١) انظر ص ١٠٠ ، هامش ١ من هذا الفصل •

(٢) Baştav, Şerif, Description Grecque de la Porte , P. 19.

وقد بلغ الاهتمام بالرواتب فى الجزائر أنها كانت تعتبر أحد الالتزامات التى يتعهد الباشا عند توليه الحكم بالحرص على الايفاء بها [١] وإذا كان جندى إستانبول ينتظر – فى حالة عدم مشاركته فى إحدى المعارك – مرور ثلاث سنوات على تاريخ تقييد اسمه فى سجل الجند حتى يبدأ حساب مرتبه [٢] ، فقد كان حساب راتب جندي الجزائر يبدأ من أول يوم يصل فيه إلى الايالة ، وإذا أسعفه الحظ وصادف وصوله يوم دفع الرواتب فإنه كان يتلقى راتبه كبقية زملائه ، وإلا ينتظر الراتب التالى [٣] • وبالاضافة إلى ذلك فإنه إذا كانت الرواتب فى إستانبول توزع على الجنود كل ثلاثة أشهر [٤] ، فقد كانت فى الجزائر توزع كل شهرين [٥] • ومن ثم يمكن القول أن إنكشارية الجزائر كانوا فى الرواتب أفضل من انكشارية إستانبول •

وكان راتب الجندى فى الجزائر يحسب بوحدة نقدية وهمية يطلق عليها " صيمه " [٦] ، ويبدأ صغيرا خلال سنوات الخدمة الأولى ثم يأخذ

---

(١) Laugier de Tassy, Histoire d'Alger, p. 203

(٢) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ •

(٣) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ •

(٤) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٤١١ – ٤١٢ •

(٥) 228 MI 14 ، سجل و٣١ ، ورقة ١٥ ، ٦٤ •وحسب نفس المصدر أن الرواتب كان يشار إليها بأسماء الأشهر التى توزع فيها ، وذلك كالتالى : " محرم علوفه سى " أى راتب محرم ، و" مولود أوربيع الأول علوفة سى " أى راتب ربيع الأول ، وهكذا •••

(٦) صيمه : وردت هذه الكلمة فى (Venture de Paradis =

فى الازدياد بمرور السنين وتتالى المناسبات السعيدة (مثل الأعياد والانتصارات فى المعارك وتولى السلاطين والباشاوات والحكم وولادة الأبناء لدى الاسرة العثمانية) ،إلى أن يصل إلى الحد الأقصى الذى لم يكن باستطاعة أحد من الجنود فى الأيالة تجاوزه ،وكان " ثمانين صيمه" أوكما يعبرعنه بلفظ " سكسان "[1] (أى ثمانين فى اللغة التركية) .

===== المصدر السابق، ص ١٦٠ــ ١٦١) بشكل " ésama " وفى (Esterhazy ، المصدر السابق ، ص ٢٢٣) بشكل " Saima " ووردت فى أحد سجلات الجزائر (228 MI 14 ، سجل ١٣، ورقة ٦٢) بشكل " صيمه" . وهى كلمة تركية مصدرها فعل " صايمق " بمعنى العدوالاحصاء . (راجع : ردحاوص ، المصدر السابق) وفيما يتصل بالوحدة النقدية المشار إليها فكانت فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى تساوى خمسةموزونات(راجع : Venture de Paradis المصدر السابق ، ص١٦٠، هامش ١) وهو مايقدر بنصف " بتاك شيك" فضة تقريبا . وعندما تولى أحمد باشا الحكم سنة ١٢٢٠ هـ/ ١٨٠٥م رفع قيمتها إلى خمسين" بتاك شيك " (راجع : Boyer, P., Lavie quotidienne à Alger, p. 139) ، وهو مايساوى أحد عشر سلطانيا من الذهب ، (راجع جدول مقارنة النقود الجزائرية بالنقود الفرنسية ، فى : ناصر الدين سعيد ونى ، النظام المالى للجزائر فى الفترة العثمانية ، ص ٢٧٢) .

(١) Grammont H. de, Histoire d'Alger, p. 47.

وإذا كان النظام المعمول به في استانبول لا يسوى بين الجنود في الرواتب (التي كانت مقسمة إلى ثلاث درجات متفاوتة تتحدد أساسا برتبة الجندي وجهوده في المعارك) [١] ، فإن الأمر مختلف في الجزائر حيث كان النظام يسوى في ذلك بين جميع العناصر جنودا وضباطا . فكان رفع الرواتب مكفولا للجميع بالتساوي ودون تمييز [٢] ، أما الباشا ووزراؤه فكانت رواتبهم ترفع إلى ثمانين صيمه فور توليهم لمناصبهم ، وهو الراتب الذي لا يصل إليه الجندي إلا بعد إثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة [٣] .

وكان دفع الرواتب من الأحداث التي تحظى باهتمام كبير لدى العثمانيين بشكل عام ، وكان توزيعها على الجنود يتم وسط ديوان فخم يعكس أبهتهم الشرقية . وكان يحضر ذلك الديوان في استانبول الصدر الأعظم ووزراء الباب العالي وضباط الجيش وفي مقدمتهم آغا الانكشارية [٤] ، وكذلك كان يحضره في الجزائر الباشا ووزراؤه وضباط الجيش وفي مقدمتهم آغا الانكشارية أيضا [٥] . وإذا كان الباب العالي يحرص على أن يجتمع

---

(١) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ ، وراجع أيضا : Weissman ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٣) Nettement, A., Histoire .... d'Alger, p. 68

(٤) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٣ ، وراجع أيضا : Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ وكذلك : Weissman ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٥) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ ،=

ديوان الرواتب فى آخر يوم ثلاثاء من الشهر الثالث الذى تدفع فيه الرواتب[١] ، فإن الايالة لم تكن تعطى لذلك أى اهتمام ، وإن كانت تحرص على أن يكون فى موعده المبكر ، وذلك إما مع بداية الشهر الذى توزع فيه الرواتب أو مع نهاية الشهر الذى قبله . وعلى سبيل المثال ، كان راتب شهر محرم الذى هو أول راتب فى السنة ، يدفع فى بداية الشهر المذكور أو فى نهاية الشهر الذى قبله وهو ذو الحجة[٢] .

وكان أضخم الدواوين فى الايالة بهذا الخصوص ، هو الذى يعقد فى ربيع كل سنة خارج مدينة الجزائر وسط خيمة كبيرة يطلق عليها " أوطاق " ويترأسه الخزنجى نيابة عن الباشا ، وتستمر مدته أربعين يوما ، وكان على جميع الجنود فى الأيالة أن يحضروه حتى أولئك الذين يؤدون خدمتهم فى المدن البعيدة[٣] . وبلغ هذا الديوان درجة كبيرة من الاحترام حتى أن مرتكبى المخالفات من الجنود كانوا عندما يدخلونه يصبحون آمنين ولا تجوز معاقبتهم[٤] .

= وراجع أيضا : Pananti المصدر السابق ، ص ٤٦٧ ، وكذلك : J.M.H.B ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

(١) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٤١٢ — ٤١٤ .

(٢) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٦٤ — ٦٥ .

(٣) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ١٦٦ — ١٦٧ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦٧ .

وكان الراتب الذى يتلقاه الجنود فى هذه المناسبة يختلف عن الرواتب الأخرى . وكان يطلق عليه إسم " أقومانيه علوفه سى "[1] . ومع أنه ليس هناك مصادر توضح المقصود بهذا الراتب المميز ، فإنه يمكن القول - بناء على عبارة " مطبخ "(أ) قومانية سى " التى وردت فى أحد السجلات الادارية لمدينة الجزائر [2] - أنه من بين ما كان يشتمل عليه المواد الغذائية التى يحتاج إليها الجنود على مدار السنة وكانت الايالة مطالبة بتوفيرها لهم ، أو بتسليمهم مايعادلها نقدا ليتولوا شراءها بأنفسهم . ومايدعم هذا التفسير أن تعبير " أقومانيه " كان موجودا فى نظام استانبول ويستدل به على المبلغ من المال الذى يجمعه الجنود فيما بينهم من أجل شراء مايحتاجون إليه من مواد غذائية لم تكن الحكومة توفرها لهم سواء فى فى استانبول أو خلال سفرهم[3] .

وعلاوة على الراتب كانت الايالة مكلفة بتوفير الغذاء اليومى للجنود . وكان " أشجى باشى " (وهو الضابط المشرف على التموين فى الايالة) يتولى يوميا إعطاء كل جندى أربعة أرغفة محضرة من القمح والشعير ، وحتى الباشا نفسه كان يتلقى منه كل صباح أرغفته الأربعة كأى جندى آخر[4] . أما اللحم فكان يوزع على الجنود مرة كل أسبوع[5] ، غير أن الجندى كان

---

(١) 228 MI 14 ، سجل ١٣، ورقة ٤٢، ٦٤، ٦٥ .

(٢) نفس المصدر ، سجل ١٥، ورقة ٢ .

(٣) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ .

(٤) Venture de Paradis ، المصدر السابق، ص ١٣٠، ١٧٩ .

(٥) حمدان بن عثمان خوجه ، المرآة ، تعريب د . محمد العربى الزبيرى، ص ١٣٩ .

بامكانـه أن يشتريه من السوق متى شاء بسعر أقل بنسبة الثلث من سعـــــره الرسمى [١] • وكان جندى الجزائر فى هذا المجال أفضل من نظيره فـــى استانبول حيث لم تكن الحكومـة مكلفة بتوفير الغذاء للجنود سوى خلال السفـر، وأما اللحم فإنـه نظرا لارتفاع سعره باستمرار فان الباب العالى كان ملزمـــا ـ منذ عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ـ١٥٦٦م) ـ بتوفيره لهـم فى استانبول بمقدار ثلاث " أقجات " فقط مهما كان السعـــر الذى وصل إليه ، وذلك بدفع فارق السعرين الذى يطلق عليه " ضرر لحـــم " للجنـــود[٢] •

أما إعفاء الجندى الانكشارى من الضرائب والرسوم المتعلقة بالملكيـة والجمارك والتى كانت تفرض على الأفراد من الرعيـة ، فقد كان أهم حق تمتـع بـه ذلك الجندى فى كل من استانبول [٣] والجزائـــر[٤] •

أما فيما يتعلق بحقوق الجندى الانكشارى الأدبية فى الدولـــــة العثمانية فكان أهمها خضوعـه لنظام قضائى خاص يختلف عن نظام القضـــاء

---

(١) Pananti ، المصدر السابق ، ص ٤٦٥ •

(٢) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ •

(٣) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج٣ ، ص ٤٠٧ ، وراجع أيضـــا : Ricaut ، المصدر السابق ، ص ٣٤٣ : Grassi ، المصـــدر السابق ، ج ١ ، ص ٨٩ •

(٤) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩ ، وراجع أيضا Laugier de Tassy ، المصدر السابق ، ص ١٩٦ ـ ١٩٧ •

الذى كان يخضع لـه الأفراد من الرعيـة • فإذا كان المتهم من الرعيـة يحاكم أمام القاضى وتنفذ فيه العقوبة الجسدية على مرأى من الناس ، ويمكن أن يشهر بـه أحيانا ، فإن الجندى الانكشارى كان — تمشيا مع قانون السلطان مراد — لا يسمح بمحاكمته إلا من قبل ضباط الجيش وفى مقدمتهم آغا الانكشارية ، كما كان لا يسمح بمعاقبته ، سواء بالضرب أو الاعدام شنقا ، إلا بطريقة سرية ومن قبل الضباط كذلك[١] •

ولم يكن يجوز — طبقا لهذا القانون — القبض على الجندى الجزائرى فى حالة اتهامه إلا من قبل جاوشية الأوجاق المميزين بالقفاتين الخضراء ، أما معاقبته فكانت تتم فى مقر آغا الانكشارية.وإذا كانت التهمة الموجهة للجندى خطيرة فان الحكم عليه يصبح من اختصاص الباشا نفسه ، سواء كان ذلك فى مدينة الجزائر أو فى إحدى مدن الايالة الأخرى[٢] •

وكان التقاعد من الحقوق المهمة التى كفلها قانون السلطان مراد للجندى الانكشارى كذلك[٣] • وكان يتم سواء فى استانبول[٤]

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٦٦ — ٦٨ •

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ص ١٧٥ ، ١٩٠ وراجع أيضا : أحمد الشريف الزهار ، مذكرات ، تحقيق أحمد توفيق المدنى ، ص ٤٤ ، ١٣٦ •

(٣) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٧١ ، وراجع أيضا : Weissman ، المصدر السابق ، ص ٣٥ •

(٤) Ricaut ، المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، وراجع أيضا : D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٩ ، وكذلك : Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٥ — ٦٦ •

أو في الجزائر[1] بطريقتين : إما بانتهاء خدمة الجندي العسكرية بعد أن يكون قد مر بجميع الرتب ولم تتح له الفرصة لمواصلة عمله على مستوى أجهزة الدولة ، أو بإصابته بما يعجزه عن مواصلة خدمته . وكان الجندي المتقاعد — أو كما يعبر عنه عند العثمانيين باسم "أتوراق" — حق الاحتفاظ بحقوقه وفي مقدمتها المرتب ، كما أعطيت له حرية اختيار المكان الذي يراه مناسبا لاقامته .

الجنود الإنكشارية والطريقة البكتاشية :

إرتبط تأسيس الجيش الانكشاري ارتباطا وثيقا بالطريقة البكتاشية ، ذلك أن السلطان " أورخان " (٧٢٦–٧٦١هـ/ ١٣٢٦–١٣٦٠م) أراد عندما أسس جيشه الجديد أن يباركه ويضفي عليه نوعا من القداسة حتى يضمن طاعته له ولخلفائه من بعده . فذهب إلى " حاجي بكتاشي " الذي كان صاحب طريقة صوفية في مدينة " أماسية " جنوب شرقي إزمير ، وطلب منه ذلك ، فلبى الصوفي طلب السلطان العثماني وأشار إلى أحد الجنود بالاقتراب منه وباركه بدعاء خاص[2] .

---

(١) Devoulx, A., Ahd Aman " عهد الامان " in R.A/ 1859, p. 216 ، وراجع أيضا : Pananti المصدر السابق ، ص ٤٦٨ ، وكذلك Esterhazy المصدر السابق ، ٢٣٦ .

(٢) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٢٤ — ٢٥ .

وعندما تولى السلطان مراد الأول الحكم عام ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م أخذ بعين الاعتبار ذلك الارتباط وأدرك فعاليته فى الحفاظ على تماسك صفوف الجيش وكسب طاعته . ومن أجل هذا ضمن قانونه نصا أكد على وجوب التزام الجنود الانكشارية بتعاليم الطريقة البكتاشية فى العبادة والسلوك مع الحفاظ على أركان الدين الاسلامى (١) .

وكان انكشارية الجزائر مثل زملائهم فى استانبول ينتمون إلى هذه الطريقة، وتؤكد ذلك افتتاحيات سجلات الرواتب التى كانت أول ماتتضمنه الدعاء لحاجى بكتاش والترحم على روحه ، وذلك بنفس الطريقة التى كانت متبعة بخصوص سجلات استانبول (٢)

ولما كانت الطريقة البكتاشية وغيرها من الطرق الصوفية المنتشرة فى الأناضول والتى أثرت فى حياة العثمانيين الاجتماعية والسياسية غير ممتدة بفروعها إلى الجزائر ، فقد اتجه ميل انكشاريتها (أى انكشارية الجزائرة) نحو الطرق المحلية ، فاستقطبت اهتمامهم ونال أصحابها خطوة كبيرة بينهم . وكان احترام جنود الجزائر لأصحاب تلك الطرق الذين يعرفون غالبا باسم " المرابطين "، لايقل عن احترام العثمانيين بشكل عام لأصحاب الطرق المنتشرة فى الأناضول ، ومنها الطريقة البكتاشية نفسها . وهذا ماتوضحه الوثائق

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٦١ .

(٢) بخصوص افتتاحيات سجلات الجزائر راجع : Deny ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ، وبخصوص سجلات استانبول راجع ، Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٤٥٠ . وقد لوحظ أن الفرق الوحيد بين الافتتاحيتين هو بعض الأخطاء الموجودة فى كتابة بعض الكلمات فى سجل الجزائر .

الرسمية للايالة ومن بينها وثيقة " عهد الأمان " التى وضعت عهد محمد باشا عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م[١] .

وقد بلغ احترام الجنود لهؤلاء الصوفيين بأن مزاراتهم وزواياهم كانت بمثابة أماكن مقدسة ، وكان الجنود الفارون من العقاب يجدون ملاذهم فيها ويظلون بها إلى أن يصدر العفو عنهم دون أن يجرؤ أحد من الجاوشية على محاولة القبض عليهم . وكان مزار سيدى عبد القادر ومزار سيدى عبد الرحمن أهم المزارات الموجودة فى مدينة الجزائر[٢] . وفى عام ١٢٢١ هـ/ ١٨٠٦م أرسل حسن باى — حاكم المقاطعة الشرقية-أثناء حملته على تونس رسالة إلى المرابط الشيخ "سيدى على العريان" طلب منه مباركة حملته والدعاء له بالنصر واعدا أياه بإصلاح مسجده وإيقاف الأراضى عليه فى حالة انتصاره واستيلائه على مدينة تونس[٣] . ومن ثم فلم يكن تقرب انكشارية الجزائر إلى " المرابطين " مبنيا على سياسة مرسومة من قبل العثمانيين لتشديد قبضتهم على البلاد وإحكام سيطرتهم على السكان، وإنما كان مبنيا على اعتقاد الجنود فى هؤلاء المرابطين .

---

(١) Devoulx ، عهد الامان ، ص ٢١٤ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .

(٣) Feraud, ch, unvoeux de Hussein Bey, in R. A. 7/ 1863, pp. 91-92.

الـــــزواج :

كان الانكشارية فى الدولة العثمانية ـ كما هو معلوم ـ يجلبون ويربون بطريقة خاصة تجعل ولاءهم موجها فقط نحو السلطان العثماني والدولة العثمانية . ومن ثم نص قانون السلطان مراد صراحة على عدم السماح لهم بالزواج[١]

ولما كان ذلك القانون مخالفا للطبيعة البشرية فقد بدأ خرقه منذ عصر مبكر من تاريخ الدولة العثمانية ، وكان ذلك فى عهد السلطان سليم الأول (٩١٨ـ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ـ١٥٢٠م) الذى سمح للجنود المتقدمين فى السن بالزواج بعد أخذ موافقته شخصيا[٢] . ومعنى هذا أن انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية قد حدث فى عهد كان الزواج قد بدأ يشق طريقه وسط الجيش الانكشارى . وقد انتقل ذلك مع الجنود الذين أرسلهم السلطان المذكور إلى خير الدين فى مدينة الجزائر ، لكن بطريقة أكثر شيوعا ، وتؤكد ذلك سيرة خير الدين[٣] .

غير أن الوضع فى الجزائر كان مختلفا عن استانبول. فإذا كان الزواج فى العاصمة العثمانية يعد ظاهرة يمكن وصفها بأنها سلبية ، فإنه كان

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٧١ ، وراجع أيضا : Weissman ، المصدر السابق ، ص ٣٥ .

(٢) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

(٣) باريس ، المكتبة الوطنية ، مخطوط رقم ١٨٧٨ عربى ، سيرة خير الدين ، (مجهول المؤلف) ، ص ٥٥ .

في الجزائر يعد عاملا فعالا في ربط الجنود بالايالة التي كانوا يأتون إليها وليس لهم مايشد هم إلى أرضها ويربطهم بسكانها سوى الروح الاسلامية المشتركة ، ولا هدف لهم سوى الدفاع عنها كجزء من الدولة العثمانية • ومن أجل ذلك أبيح الزواج لانكشارية الجزائر بنص قانوني ورد في وثيقة "عهد الأمان"(١) •

وعلى الرغم من إباحة الزواج للجنود فقد ظل قانون الايالة الداخلي يحترم نظام العزوبة الذى نص عليه قانون السلطان مراد، ويتضح ذلك من عدة جوانب أهمها أسلوب حياة الباشا داخل دار الامارة بوصفه " أول " جندى في الايالة ، ثم آغا الانكشارية في مقر إقامته بوصفه " أقدم " جندى في الايالة • إذ كان على كل منهما أن يعيش عيشة الجندى الانكشارى الأعزب، ولا يسمح لأى منهما إذا كان متزوجا أن يدخل أحد أفراد أسرته الى مقر إقامته(١) • وتأتى بعد ذلك القوانين التى كانت تجعل من الجندى المتزوج جنديا من الدرجة الثانية مقارنة بزميله الأعزب • حيث كان على كل من يريد الزواج من الجنود أن يخطر آغا الانكشارية ويحصل منه على الموافقة التى بدونها لا يستطيع القاضى أن يكتب له عقد زواجه • وعندما يتم له ذلك يتوجه رفقة " أشجى باشى " المشرف على التموين ، ليشطب إسمه من على قائمة الجنود العزاب ويحرمه بذلك من حقه في

---

(١) Devoulx ، عهد الامان ، ص ٢١٢ •

(٢) بخصوص الباشا راجع : Venture de paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، وبخصوص الآغا راجع : Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ •

الحصول على طعامه اليومى والسكن فى الثكنة[١] ، وكذلك حقه فى شراء اللحم من السوق بالسعر المحدد للجنود العزاب[٢] ، فضلا عن حرمانه من تولى بعض المناصب التى كان يفضل لها الجنود العزاب مثل وظائف الخواجات[٣] ووظيفة " بيت المالجى "[٤] . أما فى حالة تطليق الجندى لزوجته فان القانون كان يخول له حق استرجاع تلك الامتيازات دون اعتراض[٥] .

وهذا الأسلوب الذى كانت الايالة تتبعه لمحاربة انتشار الزواج بين الانكشارية ، كان هو نفسه — تقريبا — الأسلوب الذى كان يتبعه الباب العالى لمحاربة انتشار نفس الظاهرة بين إنكشارية استانبول بعد خروج تصرفاتهم عن إرادته[٦] .

ولا تتمثل القضية التى تستحق الاهتمام فى ظاهرة الزواج الذى انتشر فى الجيش الانكشارى بقدر ماتتمثل فى النتيجة الحتمية التى ترتبت

---

(١) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٢) Pananti ، المصدر السابق ، ص ٤٦٥ .

(٣) Renaudot ، المصدر السابق ، ص ١١٠ — ١١١ .

(٤) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢١٥ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٨٨ .

(٦) Ricaut ، المصدر السابق ، ص ٣٤٧ ، وراجع أيضا Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .

على تلك الظاهرة وأثرت فى النظام السياسى والاجتماعى للدولة العثمانية •
وقد تبلورت تلك النتيجة فى الوضع الجديد الذى أحدثه أبناء الجنود
فى المجتمع والذين كان يطلق عليهم فى استانبول[١] كما فى الجزائر[٢]،
إسم " قول أوغللرى "[٣] (أى أبناء عبيد السلطان) •

---

(١) Uzunçarşılı ، المصدر السابق ، ص ٣٠٧ •

(٢) 14 MI 228 ، سجل ١٣ ، ورقة ٦٨ •

(٣) قول أوغللرى : مصطلح مركب من الكلمتين التركيتين " قول " بمعنى " عبد " و" أوغل " بمعنى " إبن " بالاضافة إلى أداة الجمع " لر " وعلامة الاضافة " ى " حسب قواعد اللغة التركية • وبذلك يكون معنى المصطلح لغويا " أبناء العبيد " • غير أن كلمة " قول " لا تتصل بالوضع الاجتماعى لهؤلاء الأبناء من أمهاتهم المسلمات الأحرار وإنما بوضع آبائهم الجنود الذين يعتبرون وفقا لفلسفة الحكم عند العثمانيين ، عبيدا للسلطان • ومن ثم يكون المعنى التاريخى للمصطلح المذكور هو " أبناء عبيد السلطان العثمانى " •

وقد رسم مصطلح " قول أوغللرى " فى بعض المؤلفات المعاصرة للفترة العثمانية بشكل " قرغلان " (راجع : مسلم بن عبد القادر ، أنيس الغريب والمسافر ، ص ٨٧ ، ٩٢)، ويكتب فى المراجع الحديثة بشكل " كراغلة " ومفرده " كرغلى " (راجع : نفس المصدر ، تعليق المحقق رابح بونار فى الهامش ، ص ٨٧ ، وكذلك : ناصر الدين سعيدونى ، المصدر السابق ، ص ٤٣) • وقد استُخدم المصطلح الأصلى فى المتن هنا بعد أن نزعت عنه علامة الجمع التركية " لر " ووضعت بدلها علامة الجمع العربية " ون " أو " ين " حسب موقعه فى الجملة •

وقد تمثل الوضع الجديد فى وجود فئة إجتماعية مسلمة ثالثة فى الدولة العثمانية هى أقرب – من جانب الآباء – إلى فئة " قُوللر " [١] ، منها – من جانب الأمهات – إلى فئة " الهيئة الاسلامية " (أى المسلمين الأحرار) [٢] . وقد تفهمت الحكومة العثمانية فى استانبول وضع تلك الفئة وخصصت لأفرادها منحا مالية [٣] ، وسارت الجزائر على نفس المنهج وظل " القول أوغليون " بها يتلقون تلك المنح حتى نهاية العهد العثمانى عام ١٨٣٠م [٤] .

غير أن وضع " القول أوغليين " سرعان ما تغير فى الدولة العثمانية عندما تمكنوا من الالتحاق بالجيش إبتداء من عام ٩٧٤هـ/١٥٦٦م فى عهد السلطان سليم الثانى [٥] . أما فى الجزائر فليس معروفا متى بدأ قبولهم فى الأوجاق ، إلا أنه من المحتمل أن يكون قد حدث منذ عهد مبكر من تاريخ الأيالة ، وذلك استنادا إلى ما ذكره صاحب "المرآة" من أنه

---

(١) قوللر : مصطلح عثمانى يعنى " العبيد " وكان يطلق فى الدولة العثمانية على الأشخاص الذين يؤتى بهم بطريقة " ديوشيرمه " وفى مقدمتهم جنود الأوجاق . حول تفاصيل هذه الفئة راجع : د . عبد العزيز محمد الشناوى ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٠ – ١٢٧ ، ٣٩٦ .

(٢) حول تفاصيل الهيئة الاسلامية راجع : د . عبد العزيز محمد الشناوى ، المصدر للسابق ، ج ١ ، ص ١٢٨ – ١٢٩ ، ٣٩٦ .

(٣) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٤) حمدان بن عثمان خوجه ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٥) Ranke, L. de, Histoire des Osmanlis, pp. 76-78

" عندما تأسست الايالة كانت الميليشيا تتكون من الاتراك وأبنائهم من النساء العربيات ، لأنهم كانوا يتزوجون من الأهالي " [١] • وقد بلغ من قوة " القول أوغليين" في الجزائر أنهم استطاعوا في عام ١٦٣٠ أن يقودوا انقلابا عسكريا للاستيلاء على الحكم • وقد أدى فشلهم في ذلك إلى قتل عدد كبير منهم ونفي بعضهم خارج مدينة الجزائر [٢] • وعلى الرغم من ذلك فقد ظل قبولهم في الأوجاق معترفا به في الايالة بمقتضى نص قانوني ورد في وثيقة " عهد الامان " [٣] • وحسب قائمة وردت في أحد السجلات الادارية لمدينة الجزائر فقد جند منهم بين سنتي ١٢٢٩ ــ ١٢٣٥هـ / ١٨١٤ــ١٨١٩م ، ثمانمائة وستة أشخاص ، وذلك في المدن الثلاث الجزائر وقسنطينة وتيطري [٤] •

غير أن قبول " القول أوغليين " في الأوجاق لم يكن يعني حصولهم على جميع الحقوق التي خولها النظام لفئة " قوللر" التي ينتمي إليها آباؤهم ، خصوصا في الجزائر حيث ظلوا يعتبرون جنودا من الدرجة الثانية مقارنة ببقية الجنود الذين يؤتى بهم من خارج الايالة ويسمح لهم بتولي جميع المناصب والرتب [٥] • أما " القول أوغليون " فكانوا محرومين

---

(١) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١١٨ •

(٢) نفس المصدر ، ١٥٤ •

(٣) Devoulx ، عهد الأمان ، ص ٢١٤ •

(٤) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٦٨ •

(٥) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١١٨ •

من تولي وظائف عديدة (مثل وظيفة مترجم داخل دار الامارة ، ووكلاء للأوقاف[١] ومحاسبين فى الخزينة) [٢] ، وكذلك من الالتحاق ببعض الوحدات العسكرية (مثل وحدة " النوبجية") المكلفة بحراسة دار الامارة[٣] ووحدة " الجاوشية " المكلفة بالأمن والقبض على المتهمين من الانكشارية)[٤] ، ومن تولى المناصب العليا (مثل " آغا السباهية " أو أحد وزراء الباشا الآخرين)[٥] • أما فى فرقة الانكشارية فكانت رتبة " بلوك باشى " هى آخر رتبة يمكن أن يرتقى إليها " القول أوغلى " ويحال بعدها على التقاعد ولا يسمح له بتجاوزها إلى رتبة " باش بلوك باشى " الموصلة إلى رتبة " آغا الانكشارية "[٦] • وكان المنصب السامى الوحيد الذى يمكن " للقوأوغلى " أن يتولاه هو منصب " باى" فى إحدى المقاطعات[٧] •

والدارس لقضية " القول أوغليين " بسطحية فى الجزائر يصعب عليه فهمها ، خصوصا وأن صلة النسل التى تربط الأبناء بالآباء من المفروض أن تكون أقوى من أى اعتبار يمنع " القول أوغليين " من مشاركة آبائهم الحكم • غير أن فلسفة الحكم عند العثمانيين التى جعلت من فئة

---

(١) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ •

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ •

(٣) نفس المصدر ، ص ١٨٠ •

(٤) نفس المصدر ، ص ١٩٠ •

(٥) نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٨٠ - ١٨١ •

(٧) نفس المصدر ، ص ١٨٠ •

" قوللر " العنصر الوحيد المؤهل لتولى المناصب فى الدولة، كانت أقوى من تلك الصلة .

التربية الدينية والانضباط والحركات الاصلاحية :

تنبه السلطان مراد للدور الذى تؤديه التربية الدينية فى تنظيم علاقة الجنود بعضهم ببعض وتقوية أواصر وحدتهم ، فضمن قانون الجيش الانكشارى عدة نصوص قضت بوجوب التزام الجنود بالتعاليم الاسلامية وأداء الفرائض الدينية ، وإثراء معلوماتهم حول موضوعات الشريعة وفى مقدمتها الجهاد[1]. وتمشيا مع ماكان معمولا به فى استانبول فى هذا المجال كانت كل وحدة فى الجيش الانكشارى بالجزائر تضم إماما يصلى بالجنود ومدرسا يعلمهم القراءة والكتابة وواعظا يرشدهم ويذكرهم بواجباتهم الدينية[2]. وقد امتاز الانكشارية بتربيتهم الدينية خلال العهود الأولى من تاريخ الدولة العثمانية ، ولعل أصدق دليل يؤيد ذلك بخصوص انكشارية الجزائر هو بناؤهم " الجامع الجديد " الخاص بالمذهب الحنفى فى القرن الحادى عشر الهجرى / السابع عشر الميلادى والذى لايزال يبدو فيه بشكل واضح التأثير العثمانى فى العمارة الجزائرية[3] .

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٦١ ــ ٦٤ .

(٢) Deny ، المصدر السابق ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .

(٣) د . أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافى ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩ .

وعندما أخذت الدولة العثمانية تسير نحو الضعف والانحطاط تغيرت صورة الجيش والانكشارى وأصبح الانحراف والغرور من السمات البارزة للجنود [١] . وبحكم العلاقات التى كانت تربط الجزائر بالدولة العثمانية فان مؤثرات ذلك الوضع ما لبثت أن امتدت إليها ، فتحول جيشها الانكشارى إلى معول هدم لهيكلها السياسى ووكر فساد فى كيانها الاجتماعى . فشاعت الفوضى فى الايالة وانتشرت فيها الظواهر اللاأخلاقية مثل شرب الخمر الذى أصبح الادمان عليه ظاهرة عامة بين الجنود . وقد سجل الأسير الأمريكى " كاثكارت " فى مذكراته أن عدد الحانات بمدينة الجزائر فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى كان يتراوح بين سبعة وعشرين وثلاثين حانة ، وأن الثكنات نفسها كانت تحتوى على بعض منها ، وقد اضطرت الحكومة إلى غلقها بسبب حوادث الشغب التى كان يثيرها الجنود وتؤدى إلى زعزعة الأمن داخل الثكنات [٢] .

أما فيما يتصل بالانضباط ودوره فى تنظيم صفوف الجيش فقد نص قانون السلطان مراد على وجوب طاعة الجنود للضباط والرؤساء والامتثال لأوامرهم ، كما حث الجنود على الابتعاد عن كل مايسىء إلى سمعتهم ويشوه صورتهم [٣] . وقد بدأت مخالفة الجنود الانكشارية فى استانبول

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٦١ ــ ٦٤ .

(٢) كاثكارت ، جيمس ليندز ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

(٣) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .

لهذه القاعدة في وقت مبكر عندما ثاروا على السلطان بايزيد الثاني في عام ١٥١٢م وعينوا مكانه السلطان سليم الأول[١] .

ومثلما كانت تصرفات انكشارية استانبول تجاه السلاطين العثمانيين[٢] كانت كذلك تصرفات انكشارية الجزائر تجاه الباشاوات وبصفة خاصة خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٢١٣ - ١٢٣٢ هـ/ ١٧٩٨ - ١٨١٧م والتي تولى الحكم خلالها ستت باشاوات ثار عليهم جميعا الانكشارية وقتلوهم[٣] . وكانت أعنف تلك الثورات قد حدثت عام ١٢٢٣ هـ/ ١٨٠٨م ضد أحمد باشا الذي تولى الحكم عام ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م وكون فرقة جديدة من الفرسان في أوجاق الجزائر تشبه فرقة المدفعية المتنقلة في الجيوش الأوروبية[٤]. وهو العمل الذي اعتبره الانكشارية - فيما يبدو - خروجا عن نظام الأوجاق التقليدي وأخذا بنظام أعدائهم الأوروبيين، فثاروا على أحمد باشا وقتلوه

---

(١) Djevad Bey ، المصدر السابق ، ص ٦٦ - ٦٨ .

(٢) طالع مثلا هجومهم على السلطان عثمان الأول عام ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م في : فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص٢٧٨- ٢٧٩ .

(٣) هؤلاء الباشاوات هم : مصطفى باشا وأحمد باشا وعلى بروصلي باشا (حكم أربعة أشهر فقط)، والحاج على باشا وحاجي محمد باشا (حكم خمسة عشر يوما فقط)، وعمر باشا . لمزيد من التفاصيل راجع : أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، .

(٤) Esquer, Gabriel, Reconnaissance .... d'Alger, P. 139

ومثلوا بجثته فى شوارع المدينة[١] • ويمكن القول أن تلك الثورة كانت امتدادا لثورة الانكشارية على السلطان سليم الثالث فى استانبول عام ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م والتى حدثت بسبب الاصلاحات التى أدخلها السلطان المذكور على نظـــام الجيش العثمانى [٢] ، مما يدل على وجود إرتباط فى الأحداث بيـــن العاصمتيـــن •

أما عن علاقة الجنود الانكشارية بالرعية فى الجزائر فتشيـــر المصـادر إلى أنها أصبحت فى أواخر العهد العثمانى مبنية على التعالى والظلم • فيذكر صاحب المرآة أن " تلك الميليشيا المسلحة التى لا مبدأ لهـا صارت ترتكب المخالفات ضد البدو والقبائل [٣] ، ويذكر الورثلانـى أنهـم " تمردوا وطغوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما" [٤] •

وقد تعرض الانكشارية فى الدولة العثمانية بشكل عام منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى إلى حركات إصلاحية هدفت إلى القضاء على خطرهم ودرء فسادهم [٥] ، وكانت الحركة التى قام بها على باشا فى الجزائـــر

---

(١) بـاريس ، أرشيف وزارة الخارجية ، رسالة من القنصل الفرنسى فـى الجزائر ١٧ نوفمبر ١٨٠٨ ، فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٣٩ ، ورقة ٢٠٢ ــ ٢٠٥ •

(٢) فريد بك المحامى ، المصدر السابق ، ص ٣٩٢ •

(٣) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ •

(٤) نقلا عن : د • أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥ •

(٥) ذلك بدءا بحركة السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) فـى =

عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م احدى تلك الحركات ، حيث قام الباشا المذكور بعد أن أدرك خطر سيطرة الانكشارية على الحكم ، بنقل مقر الحكومة من " قصر الجنينة " القريب من ثكناتهم إلى " قصر القصبة " الواقع فى أعلى المدينة والمحصن بالمدافع ، ثم شرع فى تصفية عناصرهم الفاسدة[١] ، ويذكر القنصل الأمريكى أن على باشا قتل من الانكشارية ألف وخمسمائة[٢] ، أما الذين تمكنوا من الفرار فيذكر أحمد الشريف الزهار أنه جهز لهم الحملات لمطاردتهم فى جميع أنحاء الايالة[٣] ، وقد تمكن كثير منهم من الفرار إلى الأناضول ولم يبق منهم فى مدينة الجزائر سوى ثلاثة آلاف وأربعمائة جندى داخل الثكنات وسبعمائة جندى آخرين محالين على التقاعد[٤] .

= إستانبول (راجع : فريد بك المحامى ، المصدر السابق ، ص٣٧١ ومابعدها) ثم حركة حموده باشا فى تونس عام ١٨١١م (راجع د . رشاد الامام ، سياسة حمودة باشا فى تونس ، ص١٩٧ ومابعدها) وبعدها حركة على باشا فى الجزائر عام ١٨١٧م ، وانتهاء بحركة السلطان محمود الثانى الشاملة باستانبول عام ١٨٢٦م (راجع فريد بك المحامى ، المصدر السابق ، ص ٤٢٩ ومابعدها) .

(١) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) شالر ، وليام ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

(٤) Öztuna, Yılmaz, Osmonlı devleti tarihi, cild 2, S 134.

وبفضل تلك الحركة الجريئة استطاع على باشا -على الرغم من أن حكمه دام أقل من سنة (١٨١٧ -١٨١٨) -أن يحقق ما عجز عنه أسلافه منذ عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨ • اذ كان أول باشا منذ ذلك التاريخ يتوفى وفاة طبيعية ويضمن انتقال السلطة لخليفته حسين باشا دون فوضى. وبفضل تلك الحركة كذلك تمكن هذا الأخير من البقاء فى الحكم مدة إثنتى عشرة سنة (١٢٣٤ - ١٢٤٦هـ/ ١٨١٨-١٨٣٠ م) •

(٢) - فرق الأوجاق الأخرى :

كانت فرقة الانكشارية أهم فرق الجيش النظامى للدولة العثمانية بشكل عام • غير أن ذلك لايعنى التغاضى عن أهمية الفرق الأخرى التى كان لبعضها دور كبير فى تعزيز القوة العسكرية للدولة • وتأتى فى مقدمة تلك الفرق فرقة الطوبجية (أى المدفعية) التى كان لها دور بارز فى حسم كثير من المعارك التى خاضها العثمانيون فى البر والبحر • وقد اعتمدت الايالة على هذه الفرقة فى الدفاع عن سواحلها التى كانت معرضة باستمرار لهجمات الأساطيل الأوروبية • وكان جنودها موزعين على القلاع التى تعرف باسم " طوبخانه" (١) •

وكانت الايالة تعتنى بصناعة المدافع التى تستعملها هذه الفرقة، وكانت فى هندستها تحاكى المدافع العثمانية ، بل كان بعضها يتم صنعه فى

(١) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ •

دور الصناعة العثمانية[١] • وكان أهم مايميزها احتواؤها على النقوش العديدة لبعض الأشجار والنباتات التى يزين بها العثمانيون صناعاتهم ومنشآتهم العمرانية ، وكذلك الأهلة المنقوشة فوق فوهاتها وبعض الأدعية المكتوبة عليها • ذلك إلى جانب تاريخ صنعها وإسم السلطان وكذلك الباشا اللذين تم فى عهدهما ذلك • وكانت صناعة المدافع (التى اعتمدت على إذابة المعادن) تتم فى الايالة فى دار صناعة خاصة أطلق عليها ، مثلما أطلق عليها فى استانبول وبعض مدن الدولة العثمانية الأخرى[٢] ، إسم " ريختكان " [٣] ويشرف على العمل فيها خبير باسم " أوسطه " [٤] •

وإذا كان الانكشارية والطوبجية يمثلون " المشاة " فى أوجاق الجزائر ، فان السباهية كانوا يمثلون " الفرسان " ، وذلك على نسق السباهية فى الدولة العثمانية • وكان عدد جنود هذه الفرقة فى الجزائر قليلا إذا قورن بعدد جنود فرقة الانكشارية ، كما كان وجودهم مقتصرا على عواصم المقاطعات فقط ، أى وهران وقسيطنه وتيطرى حيث يشكلون حرسا للبايات[٥] •

---

(١) يوجد بعض تلك المدافع فى متحف الجيش الفرنسى ، بباريس •

(٢) Pakalın ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٤٣ •

(٣) ريختكان : إسم مكون من الكلمتين الفارسيتين " ريخته " بمعنى الصب والسبك ، و" كان " بمعنى المعدن ، راجع : ردحاوص ، المصدر السابق •

(٤) يمكن ملاحظة ذلك على المدافع الجزائرية الموجودة فى متحف الجيش الفرنسى بباريس •

(٥) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٧٦ •

ونظرا للاعتبار الذى كانت تحظى بـه فرقـة السباهية عند العثمانيين، إذ كانت أقدم فـرق الجيش العثمانى ومن بينها فرقـة الانكشارية نفسها [١] ، فان الجندى الذى كان يسمح لـه فى الجزائر ليكون سباهيـا يعتبر ذلك بمثابـة إنعام خاص حصل عليه [٢] . أما قائد هذه الفرقـة فـى الايالـة فكان " آغا السباهية " المقيم فى مدينـة الجزائر ، والذى كـان يعـد من أكبر شخصيات الديوان ، وكان الباشا يوكل إليه قيادة الجيـش بقسميه النظامى والاحتياطى فى المعارك [٣] .

والى جانب الفرق الثلاث : الانكشارية والطوبجية والسباهية، كـان أوجاق الجزائر يضم بعض الفرق الصغيرة الأخرى التى تركزت مهام جنود هـا على مجالي الأمن والخدمـة داخل دار الامارة ، ومن بينها واحدة أطلق عليهـا اسم " صولاق " كان جنودها يختارون من بين أقدم الجنود بعد وكلاء الخـرج فى وحدات الانكشارية [٤] . ومثلما كان جنود هذه الفرقـة فى استانبـول بالنسبة للسلطان [٥] ، فإنهم كانوا كذلك فى الجزائر يشكلون الحرس الخـاص

---

(١) Grassi ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٩٥ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ـ ١٨٨ .

(٤) Shaw ، المصدر السابق، ص ١٦٢ ، وراجع أيضا : مذكـرة تاريخية حول أيالـة الجزائر ، ص ٥٧ .

(٥) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ٢٩١ ، وراجع أيضـا : Uzunçarşılı ، المصدر السابق، ص ٢١٨ ـ ٢٢٦ ، وكذلـك Baştav ، المصدر السابق ، ص ٢٥ .

بالباشا ، فيرافقونه أثناء خروجه على هيئة فرسان مسلحين بالبنادق ومميزين بلباس خاص[١] ، وكان أربعة منهم يقفون إلى جانبه داخل دار الامارة لتوفير الحماية له[٢] .

وتأتي بعد الفرقة المذكورة فرقة " بيكلر " التي كان جنودها يختارون من بين أقدم الجنود الانكشارية بعد جنود " صولاق " [٣] . وإذا كان جنود هذه الفرقة " (أي بيكلر) يقومون في استانبول بمهام الاتصالات الخارجية الخاصة بالسلطان ويرافقونه في مواكبه عند خروجه[٤] ، فإنهم كانوا في الجزائر يقومون بمهام المراقبة في الأحياء الصغيرة [٥] .

وتمثلت الفرقة الصغيرة الثالثة في الجاوشية التي كان جنودها يختارون من بين الانكشارية الذين يمتازون بالبنية المتينة والعضلات القوية ، وكانت مهامهم تتركز على مراقبة الجنود والقبض على المتهمين منهم . وكان يرأس هذه الفرقة ، تميشيا مع النظام الذي كان سائدا في استانبول والمقاطعات العثمانية الأخرى ، ضابط يعرف باسم " جاوش باشي" ، وكان يقف

---

(١) Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ ، وراجع أيضا مذكرة تاريخية حول أيالة الجزائر ، ص ٥٧ .

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

(٣) ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ ، وراجع أيضا مذكرة تاريخية حول أيالة الجزائر ، ص ٥٧ .

(٤) Uzunçarşılı, I Hakkı, Saray Teskilâtı, S 439-444

(٥) Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٦٢ ، وراجع أيضا : مذكرة تاريخية حول إيالة الجزائر ، ص ٥٧ .

الى جانب الباشا باستمرار على استعداد لتلقى أوامره وتعيين من ينفذ ها من الجاوشية [١] .

وعلى خلاف ما كان سائدا فى استانبول [٢] وبعض الايالات العثمانية الأخرى مثل مصر [٣] ، فإن عدد الجاوشية فى الجزائر كان محدودا لا يتجاوز الأحد عشر . وكان أحدهم يتبع آغا الانكشارية ، أما العشرة الباقون فكانوا يتبعون الباشا ويعرف أقدم سبعة منهم باسم " الجاوشية الكبار" والثلاثة الآخرون باسم " الجاوشية الصغار" [٤] أو كما كانوا يعرفون كذلك على التوالي باسم " قره قوللقجى " ثم مساعده " و" قره قوللقجى " [٥] .

وكان الجاوشية الصغار المشار إليهم يشكلون أحد أوجه العلاقات الموجودة بين نظامى أوجاق استانبول والجزائر . إلا أن ماينبغى ملاحظته هو أنه فى الوقت الذى لم يكن يوجد فى جيش الجزائر الانكشارى سوى هؤلاء الجاوشية الثلاثة ، فإنه كان غير ذلك فى إستانبول حيث يوجد إثنان منهم فى كل وحدة من وحدات الجيش الانكشارى . وكان أحدهما يعرف ـ مثلما

---

(١) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٩٠ـ١٩٣ .

(٢) د . عبد العزيز محمد الشناوي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٣٨٠ .

(٣) د . ليلى عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٤) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٥) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

كان فـي الجزائر ـ باسم " باش قره توللقجي " والثاني باسم " قره توللقجي "، أو كما يعرفان كذلك باسم " كوجوك جاوشلر "[1] (أى الجاوشية الصغار) •

أما الفرقـة الأخيرة التى تجدر الاشارة إليها فى أوجاق الجزائـر فهى فرقـة " إزبانـدود "[2] التى كانت تتكون من الجنود المغضوب عليهـم ثم صدر العفو عنهم (بعد أن تمكنوا من اللجوء الى أحد المزارات أو إلـى أوطاق دفع الرواتب) ومنعوا من العودة إلى وحداتهم فـي الجيش[3] •

ومثلما كانت بعض الوحدات فى الجيش العثمانى باستانبول (مثـل : " دال قيليج " أى السيف المسلول ، و" سردن كجتى " أى البائس، و" كونللـو " أى الغاضب) والتى كان جنودها يختارون من بين الانكشارية الذين يمتـازون بالشجاعة وروح المغامرة[4] ، فإن وحدات " إزباندود " فى الجزائر كانـت كذلك، توضع فى مقدمـة الجيش الذى يرسل إلى المعارك، وتوكل إليها مهمـة مباغتة العدو واقتحام المعارك، لكسر حاجز الرعب أمام الجنود • ومثلما كانـت الدولـة العثمانية تفعل بخصوص الوحدات المذكورة فى جيشها ، فإن الايالـة كذلك كانت تقدم لجنود " ازباندود " مكافآت تتحدد بأهمية الانتصار الـذى

---

(١) D'ohsson ، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، وراجع أيضـا : Uzuncarsili Kapukulu, s 273

(٢) إزباندود : كلمة عثمانية من أصل فارسى ، وتكتب كذلك : " إزبانـديد " و" إزبانديت " وتعنى قاطع طريق أو لص، راجع : رد حاوس، جيمـس المصدر السابق ، •

(٣) Venture de Paradis ، المصدر السابق، ص ١٦٧ ، ١٨٧ •

(٤) D'ohsson ، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٨ •

حققــوه والغنائم التى حصلوا عليها فى المعارك[١] •

ثانيا : الجيش الاحتياطى (عشائر المخزن)

اذا كان الأوجاق يمثل الجيش النظامى فى الجزائر ، فإن " عشائر المخزن " الشبيهة بالجيش الاقطاعى فى الدولــة العثمانية ، كانت تمثــل الجيش الاحتياطى • وقــد أسست تلك العشائر فى الجزائر بناء على النظرية العثمانية التي اعتبرت الخدمــة العسكرية من أهم واجبات المسلم • ووفقــا لذلك قسمت الرعية إلى فيئتين : فئــة تؤدى ذلك الواجب (فتحظــى بالاعفاء من الضرائب وتتلقى مرتبات ، سواء على شكل نقود من خزينة الدولــة مثل الأوجاق ، أوعلى شكل غلال ومحاصيل زراعية مثل رجال " التيمــار "[٢] فــى الدولــة العثمانية وعشائر المخزن فى الجزائر والذين يستغلون الاراضى التى منحتها أياهم الدولــة) ، وفئة ثانية لم تكن تؤدى الـواجب المذكــور فتدبر شئون حياتها بالاعتماد على إمكاناتها الذاتية وتدفع الضرائب[٣] •

---

(١) Esterhazy ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨ •

(٢) تيمار : كلمة فــارسية معــناها العناية بالمريض ، ويقصــد بها نوع من الاقطاع فى الدولة العثمانية •

(٣) Thornton ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٤٥ •

وكانت عشـائر المخزن فى الجزائر منتشرة فى مناطق كثيرة من الايالة[١] وتعرف بأسماء عديـدة[٢] . وكانت غالبا ما تتكون من عائلات غير متقاربـة تقوم الحكومة بتجميعها وإسكانها فى مساحات محددة من الأراضى التابعة لها وإعطائها حق استغلالها وإعفائها من الضرائب عدا الضرائب الشرعية مثل الزكـاة[٣]. ولكى تؤدى تلك العشائر وظيفتها كما ينبغى فى الحفاظ على الأمن الداخلى للايالـة ، فانها كانت غالبا ماتسكن فى المناطق الاستراتيجية التى تمكنهـا من مراقبـة أكبر عـدد من السكان لمنعهم من القيام بأيـة حركـة مسلحـة ضـد السلطة أو ضد بعضهم بعضا[٤] . وكانت الايالـة تمنح كل عشيـرة الأسلحة والخيول حسب عـدد الفرسان الذين يمكن لها أن تجندهم[٥] .

---

(١) راجع خريطة توزيع عشائر المخزن فى : ناصر الدين سعيد ونـى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٨ .

(٢) ذلك مثل : الزمول (مفردها زمالة) والدوائر (مفردها دائـرة) والبرجية . لمزيد من التفاصيل راجع : Esterhazy ، المصـدر السابق ، ص٢٦٦ .

(٣) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

(٤) Baudicourt ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .

(٥) كنموذج لذلك كانت " زمالـة الغربية " القاطنة فى " البليـدة" تملك عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م أربعين جوادا ومثلها بنـادق طويلة ومثلها بنادق قصيرة ومثلها سيوفا وتسعة وثلاثين سرجـا ، راجع : 15 MI 228 ، سجل ٢٨ ، ورقة ١٠ .

وكان على الفارس المخزني في الجزائر[1] مثل فارس التيمار في الدولة العثمانية[2] ، أن يلبي طلب الخدمة العسكرية متى وجه إليه الأمر بذلك ، ويبقى مجندا طوال المدة التي تكون الحكومة في حاجة إليه ، وعليه كذلك أن يتحمل كل المصاريف التي تتعلق بحاجاته اليومية كالطعام واللباس دون أن يتلقى من الحكومة أي تعويضات على ذلك بعد إنهاء خدمته .

وبفضل الخدمة التي كان يقدمها فارس المخزن تمكنت الايالة من الحفاظ على أمنها الداخلي طوال عهدها واستطاعت أن تخمد حركات العصيان التي تعرضت لها مقاطعاتها في بعض الفترات ، مثل حركة الدرقاوي وحركة ابن الأحرش في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي[3] .

ثالثا : البحرية

لم يكن اهتمام الجزائر بالجيش البري أكثر من اهتمامها بالأسطول الذي كان يشكل محورا أساسيا في قوتها العسكرية وجعل منها قوة بحرية

---

(١) مذكرة تاريخية حول إيالة الجزائر ، ص ٩٠ .

(٢) Thornton ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٧ ـ ٣٨ .

(٣) لمزيد من التفاصيل حول دور عشائر المخزن في مواجهة الحركتين المذكورتين راجع : مسلم بن عبد القادر ، المصدر السابق ، ص ٧ وما بعدها ، وكذلك : محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران ، تحقيق المهدي البوعبدلي ، ص ٢٠٧ وما بعدها .

من الدرجة الأولى . ولقد كان ذلك أمرا طبيعيا لصد هجمات الأساطيل الأوروبية من جهة ، وخدمة الاستراتيجية العثمانية في البحر المتوسط من جهة أخرى .

وفيما يتعلق بإدارة البحرية الجزائرية فقد كان على رأسها " يالي وكيل حرج " الذى سبقت الاشارة اليه[1] . ويأتي بعده عدد من الضباط أبرزهم " القبودان " وهو القائد العام للأسطول عند خروجه إلى عرض البحر[2] ، ويليه " ليمان رئيسي "[3] (أى قائد الميناء) وهي وظيفة كانت موجودة في البحرية العثمانية باستانبول ، وكان صاحبها يقوم بمهام المراقبة والتفتيش[4] . وكان له في الجزائر سفينة خاصة يجوب بها المياه الاقليمية لمدينةالجزائر لتفقد شواطئها ومراقبة السفن التي تدخل الميناء أو تخرج منه والتعرف على هويتها وطبيعة مهامها[5] . ومن وظائفه كذلك الاهتمام بالأخبار الدولية التي كان يتناقلها أصحاب السفن التي تأتي إلى الجزائر ، واستلام الرسائل التي يحملونها إلى الباشا أو أحد وزرائه

---

(١) أنظر الفصل الثاني ، ص ٦٢ .

(٢) Shaw ، المصدر السابق ، ص١٧٤ ، وراجع أيضا : مذكرة تاريخية حول إيالة الجزائر ، ص ٩٤ — ٩٥ .

(٣) 14 MI 228 ، سجل ١٣ ، ورقة ٨٠ .

(٤) D'ohsson ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ ، وراجع أيضا : Uzunçarşılı, Merkez, S 428

(٥) Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ ، وراجع أيضا : مذكرة تاريخية حول إيالة الجزائر ، ص ٩٥ .

وكذلك العكس ، ونظرا لتعدد مهام " ليمان رئيسى " فإن الباشا كان عادة مايستقبله فى دار الامارة مرتين أو أكثر أحيانا لتلقى تقاريره[١] ، وكانت وظيفة " ليمان رئيسى " ذات أهمية كبيرة فى الجزائر حتى أن عمر باشا أرسل صاحبها علـى رئيس عام ١٢٣١ هـ / ١٨١٦م إلى إستانبول ليحمل تقريره عن أحداث الهجوم البريطانى على مدينة الجزائر إلى السلطان محمود الثانـى[٢] .

وكان من أبرز الموظفين الآخرين فى البحرية الجزائرية " وارديان باشى " الذى كان مثل نظيره فى إستانبول[٣] يشرف على تنظيم الأعمال التى يقوم بها الخدم (أغلبهم أسرى أوروبيون) فى الميناء ، ويعين لكل رئيس سفينة العدد الذى هو فى حاجة إليـه منهم للعمل على متن سفينته[٤] .

---

(١) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣ ، وراجع أيضا : رسالة من القنصل الفرنسى ، ١٦ مارس ١٨١٦ ، فـى : C.C.C/ Alger مجلد ٤٢ ، ورقة ٢٤٨ .

(٢) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٨ سبتمبر ١٨١٦ ، فـى : C.C.C/ Alger ، مجلد ٤٢ .

(٣) D'ohsson ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٤٢ ، وراجع أيضا : Uzunçarşılı, Merkez, S 406-407

(٤) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٥٣ ، وراجع أيضا : Shaw ، المصدر السابق ، ص ١٧٢ ، وكذلك : مذكرة تاريخية حول إيالة الجزائر ، ص ٩٥ .

أما قيادة السفن فى الجزائر فكان يتولاها –على نمط البحرية العثمانية باستانبول – عدد من الروساء " (مفرد رئيس) [١] يعينهم الباشا من بين جنود الأوجاق ، أو من بين أفراد الرعية الذين يزاولون عملهم فى البحرية [٢] ، وكان لكل رئيس عدد من البحارة المساعدين من بينهم نائب له يعرف باسم " باش رئيس "، ورئيس للخدم باسم " وارديان "، وموجه للدفة باسم " دوما نجى " ، وكاتب باسم " خوجه "، وثلاثة ضباط برتبة " وكيل حرج "، وإمام لأداء الصلاة [٣] . وكانت كل سفينة تزود بوحدة من جنود الطوبجية بقيادة " طوبجى باشى "، وأخرى من الانكشارية بقيادة " بلوك باشى " ويطلق عليه إسم " آغا ". وكان من أهم وظائف هذا الأخير (أى الاغا) مراقبة مايجرى خلال الرحلة وتسجيله فى تقرير يرفعه إلى الباشا عند عودة السفينة إلى الميناء ، وعلى ضوئه يكافأ

---

(١) رئيس : كلمة عربية فصيحة (راجع إبن منظور ، لسان العرب) ، وبنفس الشكل كتبت فى بعض السجلات الجزائرية (راجع : 228 MI 15 ، سجل ١٩ ، ورقة ٥٥ ، ١٣٨) ، وكتبت فى بعضها الآخر " رئس " (بدون ياء) (راجع نفس المصدر ، ورقة ٤٣ ، ٤٧) . أما فى سجلات الادارة العثمانية باستانبول فكتبت بشكلها الأول (أى رئيس)(راجع : Uzumçarşılı, Merkiz و (S 432-433

(٢) Venture de Paradis المصدر السابق ، ص ٤٧ ، ١٧٩ ، ١٩٠ .

(٣) Devoulx, A., La marine . . d' Alger, in R. A/1869, p. 388.

الرئيس أو يسقط اعتباره[١] ، وكان هذا النظام المتبع فى تشكيل طاقم السفينة فى الجزائر مطابقا فى كثير من جوانبه للنظام الذى كان متبعا فى العاصمة العثمانية حتى أن بعض الوظائف كانت موجودة بنفس الأسماء فى كلا النظامين[٢] .

وكانت أبواب البحرية فى الجزائر على غرار ما كان معمولا به فى استانبول[٣] ، مفتوحة أمام الراغبين من الرعية ، حتى أنه من بين ألف وخمسمائة بحار كانوا يمارسون عملهم فى ميناء الجزائر عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م كان ثلثهم (أى خمسمائة) من الرعية والباقى من الأوجاق[٤] ، ومن بين تسع سفن خرجت للغزو فى أول أكتوبر ١٨٠٤م ، كان رؤساء أكبر ثلاث سفن منها من الرعية ، وهم الرئيس محمد على الذى عين قائدا عاما للسفن ، والرئيس حميدو والرئيس محمد . وكانت سفينة الأول منهم ذات ٣٦ مدفعا وسفينة الثانى ذات ٤٦ مدفعا ، وسفينة الثالث ذات ٤٤ مدفعا[٥] .

---

(١) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ١٥٥ .

(٢) D'ohsson ، المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٤٣٢ ، وراجع أيضا :
Uzunçarşılı, Merkez, S 476 - 479.

(٣) Uzunçarşılı, Merkez, S 406

(٤) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٢٤ أبريل ١٨٢٠ ، فى : C.C.C/ Alger ، مجلد ٤٥ ، ورقة ١٥٩ .

(٥) رسالة من نفس القنصل ، ١٨ اكتوبر ١٨٠٤ فى : C.C.C/ Alger ، مجلد ٣٧ ، ورقة ٢٠ .

ومما لا شك فيه أن البحرية الجزائرية كانت في أواخر العهد العثماني شأنها شأن البحرية العثمانية ، تقليدية في نظامها بالمقارنة مع معظم البحرية الأوروبية التي أصبحت بمرور السنين تعتمد على المناهج المتطورة والابتكارات العلمية المتقدمة ، ومع ذلك يمكن القول بأن الايالة ظلت حتى عام ١٢٣١ هـ / ١٨١٦م قادرة على الدفاع عن سواحلها ، وشاركت بفعالية في الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية • وبعد الهجوم الأنجليزي على مدينة الجزائر في السنة المذكورة ، بمثابة الضربة المدمرة التي تلقاها الأسطول الجزائري ، وبها شلت قوته وقضي على أسطورة " الجزائر المحروسة" [(١)] • وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها الايالة بالاعتماد على إمكاناتها الذاتية والمساعدات التي تلقتها من الباب العالي وكذلك سلطان فاس ، فإنها لم تستطع أن تملك عام ١٢٣٤ هـ / ١٨١٩ م سوى عدد قليل من السفن الكبيرة أغلبها في حالة سيئة ، وعدد آخر من السفن الصغيرة والمتوسطة [(٢)] •

وأما بخصوص أنواع السفن التي كانت مستعملة في الجزائر فقد عكست كثرتها إهتمام الجزائريين الكبير بالبحرية [(٣)] • وكان أغلب تلك الأنواع شائع الاستعمال في البحرية العثمانية سواء في استانبول أو في الايالات البحرية

---

(١) حول تفاصيل الهجوم راجع : د • عبد الجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ •

(٢) راجع قائمة السفن المذكورة في الملحق رقم ١

(٣) كأمثلة لتلك السفن يمكن ذكر : بركندة وبلاقرة وسكونة وفرقطون وبلانديره وقليوطه ، راجع : MI 15 228 ، سجل ١٩ ، ورقة ١٣٨ •

الأخـــرى مثل تونس وطرابلس ومصر[١] . وكان الجزائريون يطلقون عليهـــــا تعبير " قورصان تكنــة لري " [٢] (أى السفن الحربية ، باعتبار أن القرصنـــة كانت أنذاك نوعا من الحروب) .

وبالرغم من القيادة المستقلة للأسطول الجزائـــرى فقد كان فـــى إمكان " القبودان باشا " فى استانبول (بوصفه القائد العام لأسطول الدولـــة العثمانية) أن يستدعيه من الباشا فى الجزائر متى رأى حاجـة البــــاب العالى إليه[٣] ، ويفقد الأسطول قيادته المستقلة عندما يصل إلى استانبـــول ويصبح قسما من الأسطول العثمانى ، ولا يحق عندئذ للقبودان الجزائرى أن يتصرف إلا وفق ما يتلقاه من أوامر من القبودان باشا ، وهذا مايستشف مـــن خلال متابعة أحداث حرب اليونان التى اندلعت عام ١٨٢١م وشاركـــت فيها الجزائر . حيث حدث أن أرسل القبودان الجزائرى مصطفى رئيـــس رسالة إلى السلطان محمود الثانى شرح لـــه فيها وضع السفن الجزائريـــــة، فاعتبر السلطان تلك الطريقـــة فى التعامل معه منافية لاعتبار الأسطول الجزائرى

---

(١) حول تفاصيل تلك السفن راجع : Uzunçarşılı, Merkez , S 455 - 473 ، وكذلك : د. درويش النخيلـــى ، السفن الاسلامية على حروف العجم .

(٢) 15 MI 228 ، ، سجل ١٩ ، ورقـــة ١٣٨ .

(٣) راجع مثلا : تونس ، المكتبة الوطنية ، رسالة من القبودان دريـــا محمد خسرو باشا إلى حسيـــن باشا عام ١٢٤٤ هـ / ١٨٢٧م مـــن أجل إرسال سفن الجزائر الى البحر الأسود لمساعدة الباب العالى فى الحرب ضد روسيا فى : مخطوط رقم ٣٧، مراسلات دايات الجزائـــر، ورقة ٥٨ ــ ٦٠ .

قسما من الأسطول العثمانى ، وجاء خطه الهمايونى معبرا عن ذلك بالقول :
" أنه كان من الأنسب أن تحول رسالة القبودان الجزائرى إلى القبودان دريا " (١) .

ونظرا للطاعة التى كانت الإيالة تبديها فى تلبية دعوة الباب العالى لإرسال أسطولها إلى بحر إيجه أو البحر الأسود ، فان دول أوروبا كانت غالبا ما تدخله (وكذلك أسطولى تونس وطرابلس) فى تقاريرها عن قوة الدولة العثمانية (٢) .

ولم تقتصر استعانة الباب العالى بالجزائر على استدعاء سفنها لمساعدة الاسطول العثمانى فى حروبه . فقد اعتمد الباب العالى عليها أيضا كمدرسة بحرية ظلت طوال ثلاثة قرون تزود الدولة العثمانية بأفضل بحارتها وأكبر قادة أسطولها . وكان أبرزهم فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى/ القرن التاسع عشر الميلادى الجزائرلى على باشا الذى عاش جنديا فى الجزائر ثم توجه إلى استانبول حيث عمل وكيلا للايالة لدى الباب العالى . ونظرا للشهرة التى نالها فى العاصمة العثمانية كرجل عسكرى ، استدعاه السلطان سليم الثالث عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م ، (وذلك إبان الأزمة التى نشبت بين

---

(١) الجزائر ، مركز الدراسات التاريخية ، وثائق التاريخ الجزائر العثمانى ، خ . هـ ٣٤٣٥٨ / ١٢٤٠ .

(٢) Mantran, R., L'Evolution des Relations entre la Tunisie et L'Empire Ottoman, in C.T. 7/1959, P. 325.

الدولة العثمانية وبريطانيا التى أرسلت أسطولها لتهديد استانبول) وأوكل إليه مهمة قيادة الأسطول العثمانى • وقد عزله السلطان مصطفى الرابع من منصبه فى السنة التالية (أى عام ١٨٠٨م) ، وأعاده السلطان محمود الثانى عندما تولى الحكم ، وذلك فى شوال ١٢٢٣هـ / نوفمبر ١٨٠٨م ، غير أنه لم يلبث أن عزل منه مرة ثانية بعد أربعة أشهر فقط(١) •

وبعد على باشا يأتى طاهر باشا الذى كان أيضا جنديا فى أوجاق الجزائر وجذبته العاصمة العثمانية حيث التحق بالبحرية وعمل فى فرقة المدفعية • ونظرا للخبرة العسكرية التى اكتسبها فى الجزائر ثم فى استانبول ومعرفته للغات الأجنبيه •، فان إسمه مالبث أن انتشر بين رجال البحر العثمانيين وفتح له أبواب تولى المناصب العليا فى الأسطول العثمانى ، خصوصا خلال حرب اليونان التى أبلى فيها بلاء حسنا • وفى عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م (أى بعد احتلال الجزائر) رقى إلى منصب " قبودان دريا " ودام كذلك إلى سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م • وبعد وفاة السلطان محمود الثانى عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م ومجئ السلطان عبد المجيد عين مرة ثانية فى نفس المنصب وذلك فى عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م ، واستمر فيه حوالى سنتين ، حيث عزل فى عام ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٣م وتوفى بعد ذلك بأربع سنوات(٢) •

---

(١) Danişmend, I. Hami, Osmanlı ... Krono-lojisi, cild 5, S 222-223.

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٨ ـ ٢٣٠ • وعن دور طاهر باشا فى حرب اليونان راجع : Kurtoğlu, Fevzi, Yunan Istiklal harbi ve nararin muhare-besi , cild 1-2.

وهكذا يتضح أن نظام الجيش فى الجزائر كان مستمدا من النظام العثمانى مشكلا بذلك جانبا آخر لا يقل أهمية عن بقية الجوانب فى العلاقات بين الايالة والباب العالى • ولم يكن تأثر الجيش فى الجزائر بالجيش فى الدولة العثمانية تأثرا ايجابيا فقط ، بل كان كذلك تأثرا سلبيا • إذ أنه عندما ضعفت الدولة العثمانية وتضعضع جيشها انعكس ذلك على جيش الجزائر ، وخاصة عندما تمت هزيمته أمام الجيش الفرنسى فى عام ١٨٣٠م •

الفصل الرابع

العلاقات العامة بين الجزائر والباب العالي

اولا : تبادل الهدايا *

ثانيا : تجنيد المتطوعين فى الاقاليم العثمانية *

ثالثا : الراية الجزائرية وعلاقتها بالراية العثمانية *

رابعا : الاتصالات الديبلوماسية *

خامسا : علاقات عامة أخرى *

تعتبر الفترة الواقعة بين عامي ١٧١١ـ١٨٣٠م مرحلة متميزة من تاريخ العلاقات بين الجزائر والباب العالى ، إذ توقف فيها إرسال الباشاوات إلى الايالة من استانبول وأصبح تعيينهم يتم من بين جنود الأوجاق في مدينة الجزائر • وبذلك تخلصت الايالة إلى حد ما من نفوذ الباب العالى عليها وصارت تتمتع بقدر من السيادة الذاتية فى إدارة شئونها الداخلية والخارجية، مما أكسبها وضعا خاصا فى الدولة العثمانية جعل منها قوة حليفة للباب العالى أكثر منها قوة تابعة له • غير أن ذلك التحالف ظلت تشده جمله من الاعتبارات كانت أقوى من بنود أية معاهدة اتحاد أو تحالف استراتيجي يمكن أن توقع بين دولتين • وقد تمثلت تلك الاعتبارات فى عناصر عديدة يمكن عرضها فى خمس نقاط •

أولا : تبادل الهدايا

كان تبادل الهدايا بين الجزائر واستانبول يشكل الأرضية الصلبة التى بنى عليها جسر العلاقات السياسية والعسكرية التى ظلت قائمة بين الجانبين حتى سقوط مدينة الجزائر فى أيدى الفرنسيين فى عام ١٨٣٠م.
وكانت الهدية التى يرسلها باشاوات الجزائر بمناسبة تعيينهم فى الحكم إلى السلطان العثمانى من أهم الهدايا التى كانت الايالة ترسلها إلى الباب العالى الذى كان يرد عليها بهدية مثلها • وفى ضوء " الاستقلال " الذى أصبحت الايالة تتمتع به منذ عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م يمكن تقدير الأهمية التى كان السلاطين فى استانبول والباشاوات فى الجزائر يولونها

لعمليـة تبادل الهدايا التى لا يمكن تحديد بعدها الأدبى إلا بعد تأصيل جذورها التاريخية . ويرجع ذلك ـ كما سبقت الاشارة ـ[1] الى عام ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م عندما أرسل خير الدين إلى السلطان سليم الأول (٩١٨ـ ٩٢٦ هـ / ١٥٢٠ ـ ١٥٢٢ م) أربع سفن تحمل عددا من الهدايا المتنوعـة تعبيرا عن رغبته فـى انضواء الجزائر تحت رايـة دولته لكسب دعمها السياسى والعسكرى فى الحرب التى كانت بين أهل الجزائر والاسبان .

ومنذ عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م اتخذ تبادل الهدايا بين الايالـة والباب العالى أهميته التاريخية وترسخ كتقليد على كل وال جديـد أداؤه تجـاه السلطان العثمانى تعبيرا عن الولاء لـه واعترافا بتبعية الجزائر للدولـة العثمانية . ولما كانت ظروف الايالـة الاقتصادية والسياسية وشخصية الوالـى الجـديد تتحكم فى مسألة إرسال الهديـة إلى الباب العالى ، فان انجازهـا كان يختلف من عهد إلى آخر. وكان إرسـال الهدية يرتبط بالتعبير عن الـولاء للسلطان أكثر مما يرتبط بالحصول على الترسيم منه . فإذا كان بعض الـولاة يقوم بذلك بعد بضعة أشهر فقط من توليهم الحكم ، فإن بعضهـم الآخـر كـان ينتظر مرور أكثر من سنتين على تعيينهم لارسال الهدية ، كذلك لم يكـن السلطان يعبط لذلك أى إهتمام ، فكان يرسل إلى هؤلاء الولاة فرمـان الترسيم قبل أن يقوموا بـإرسال هداياهم إليـه .

---

(١) انظر الفصل الأول (تمهيد) ص ٣٠ .

ولكي يتضح ذلك فإن مصطفى باشا الذي تولى الحكم فـــي ٢٨ذي القعدة ١٢١٢هـ/ ١٤ مايو ١٧٩٨م قـد حصل على ترسيمه من السلطان سليـم الثالث (١٢٠٣-١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩-١٨٠٧م) بعد ستة أشهر فقـط مـن تعيينـه في المنصب [١] ، أما هديته فلم يرسلها إلى السلطان المذكور إلا في ١١ جمادى الثانية ١٢١٥هـ/ ٣٠ اكتوبر ١٨٠٠م،أي بعد مرور سنتين ونصـف على تعيينه [٢] . وقـد تم إرسال الهدية في وقت كانت العلاقات بين الايالـة والباب العالي متوترة بسبب معاهدة الصلح التي عقدها مصطفى باشـا مـع فرنسا التي كانت تحتل مصر وفي حرب مع الدولة العثمانية [٣] . ذلك فضـلا عن الأزمـة الاقتصادية التي تعرضت لها الايالـة (بسبب تدهور الانتـاج الزراعـي) وأجبرتها على إرسال سفنها إلى البحر الأسود لشراء المـواد الغذائيـة لانقاذ السكان من المجاعـة [٤]

وبخصوص خلفيته أحمد باشا الذي تولى الحكم في جمادى الثانيـة ١٢٢٠هـ/ سبتمبر ١٨٠٥م فقد أرسـل هديته إلى نفس السلطان بعد مـرور

---

(١) باريس، أرشيف وزارة الخارجية، رسالة من القنصل الاسباني في الجزائر إلى الحكومة الفرنسية، ٣٠ديسمبر ١٧٩٨، في: C.C.C/Alger مجلد ٣٤، ورقة ٣١٠ .

(٢) رسالة من القنصل الفرنسي في الجزائر، ٦فبراير ١٨٠١، في C.C.C Alger ، مجلد ٣٥، ورقة ٢٠٢ .

(٣) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الخامس ، ص ٢٠١ ومابعدها .

(٤) حمدان بن عثمان خوجه ، المرآة ، تعريب محمد العربي الزبيري، ص ١٦٠ .

سبعة أشهر فقط على تنصيبه ، وذلك فى ١٨ محرم / ٧ أبريل من السنة التالية[١] • ولم تكن هذه السرعة فى إنجاز الهدية ـ كما يبدو ـ سوى تعبير عن رغبته فى تدعيم موقفه لدى السلطان ووزرائه وتبرير الثورة التى تزعمها ضد سلفه مصطفى باشا الذى طالما أزعج الباب العالى بمواقفه غير الثابتة •

وأما حسين باشا (آخر الولاة العثمانيين فى الجزائر) الذى تولى الحكم فى أواخر ربيع الثانى ١٢٣٣هـ/ أوائل مارس ١٨١٨م ، فقد تلقى فرمان الترسيم من السلطان محمود الثانى (١٢٢٣ـ ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ـ ١٨٣٩م) بعد ستة أشهر فقط من تعيينه ، وذلك فى ٣ شوال / ١٦ أغسطس من نفس السنة[٢] ، بينما لم يرسل الهدية إلا بعد مرور ستة عشر شهرا عليه فى الحكم ، وذلك فى شوال ١٢٣٤هـ/ يوليه ١٨١٩م[٣] •

وفيما يتعلق بمحتويات الهدايا التى كان ولاة الجزائر يرسلونها إلى السلاطين العثمانيين ، فكانت تتمثل بوجه عام فى أشياء عديدة تشتهر الجزائر بصناعتها ويدخل معظمها فى الاستعمالات اليومية للسلطان ووزرائه، وتأتى فى مقدمتها المنسوجات الصوفية • إلا أن ذلك لا ينفى احتواءها على بعض الأشياء الثمينة التى كانت تكلف خزينة الايالة مبالغ باهظة ، خصوصا

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسى ، ١٠ أبريل ١٨٠٦ ، فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٨ ، ورقة ٣٥ •

(٢) باريس ، الأرشيف الوطنى ، سجلات الجزائر العربية والتركية ، 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ١٠ •

(٣) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٢٣ فبراير ١٨٢٠ ، فى : C.C.C/Alger مجلد ٤٥ ، ورقة ١٢١ •

المصنوعة من الذهب الخالص والمرصعة بالجواهر ، مثل البنادق والسيوف والسروج ، ذلك فضلا عن الغلمان والامات وبعض أنواع الطيور والحيوانات .

وكنموذج لمحتويات الهدايا التى كان يرسلها باشاوات الفترة المتأخرة من العهد العثمانى ، فإن هدية عمر باشا عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م ، كانت تشتمل على عدد من الغلمان وثلاثة خيول بسروجها وشكائمها المرصعة بالذهب والأحجار الكريمة ، وعدد من البنادق المرصعة بالذهب والمرجان وحلية ثمينة لامعة محمولة وسط صحن من الفضة الخالصة ، وعدد من المسابح المصنوعة من المرجان والكهرمان ، وعدد من الجواهر،وثمانية أسود وأربعة نمور وست نعامات ، وعدد كبير من الببغاوات وعشرة أزواج من جلود النمور والفهود وعدد من الألبسة والأغطية الجزائرية الصنع ، وعدد كبير من السجاجيد المزركشة والمصنوعة فى فاس [(١)] ،علاوة على خمسين أسيراأوروبيا [(٢)] .

ومع أنه لاتوجد تفاصيل دقيقة حول تلك الهدية ، فيمكن القول بأنها فاقت كثيرا من الهدايا قيمة ، وقلما أرسل أحد الباشاوات مثلها طوال العهد العثمانى إلى الباب العالى . وقد بلغت قيمتها حوالى مليونا ونصفا من القروش الجزائرية [(٣)] (أى مايعادل خمسة ملايين ونصف من الفرنكات) [(٤)] .

---

(١) الجريدة الرسمية للحكومة الفرنسية : Le Moniteur
عدد ٢٤٧ ، ٣ سبتمبر ١٨١٦م ، ص ٩٩٣ .

(٢) 228 MI 13 ، سجل ٨ ، ورقة ٧٢ ــ ٧٣ .

(٣) Le Moniteur ، العدد السابق ، ص ٩٩٣ .

(٤) وذلك باعتبار أن القرش(عمله فضية)يساوى ٢٫٧٣ فرنك ،=

وبذلك يكون عمر باشا قد أرسل إلى السلطان محمود الثانى هدية تعادل قيمتها خمسة أضعاف قيمة الهدية التى أرسلها إليه سلفه الحاج على باشا عام ١٢٢٤ هـ/ ١٨٠٩م والتى قدرت بحوالى مليون فرنك[1] .

أما عن حجم الهدية (هدية عمر باشا) فكان كبيرا حتى أن الباب العالى خصص لها فى استانبول ثلاثمائة من الخدم لنقلها من الميناء إلى قصر السلطان[2] . وقد جذبت تلك الهدية انتباه الجزائريين فكتب عنها الشريف الزهار أن " هذه الهدية التى بعث بها هذا الأمير لم يقدم مثلها أمير قبله ولا أمير بعده"[3] . وأما الحكومات الأوروبية فقد اعتبرتها سلوكا غير مألوف لدى باشاوات الجزائر ، وفسرت ذلك برغبة عمر باشا فى كسب تأييد السلطان العثمانى للايالة فى سياستها الدولية ومساعدتها على مواجهة تهديدات الدول الأوروبية وفى مقدمتها بريطانيا التى تزعمت

= راجع جدول مقارنة العملات الجزائرية بالعملات الفرنسية فى : ناصر الدين سعيدونى ، النظام المالى للجزائر فى الفترة العثمانية ، ص ٢٧٢ .

(٢) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٦ يناير ١٨١٠م ، فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٤٠ ، ورقة ٦ .

(٢) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، رسالة من السفير الفرنسى باستانبول ٢٥ يولية ١٨١٦ ، فى : C.P / Turquie ، مجلد ٢٣٠ ، ورقة ٩٧ .

(٣) أحمد الشريف الزهار ، مذكرات ، تحقيق أحمد توفيق المدنى ، ص ١٢١ .

تنفيذ قرارات مؤتمر فيينا (عام ١٨١٤ ـ ١٨١٥) بخصوص محاربة القرصنة[1] .

وكانت محتويات الهدية توزع على السلطان ووزرائه وأفراد حاشيته بحصص متفاوتة حسب مركز كل منهم[2] ، وذلك وفقا لقائمة كانت تعد لهذا الغرض فى الجزائر وترفق بالهدية التى يحملها إلى استانبول وفد يختار أعضاؤه من بين الشخصيات البارزة فى الايالة ، وكان عددهم يختلف من مناسبة إلى أخرى . وكمثال على ذلك كان الوفد الذى حمل هدية أحمد باشا عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ، يتكون من أربعين عضوا من بينهم رئيس الوفد ونائبه وجاوش وكاتب ، أما بقية الأعضاء فيشكلون الأتباع أو المعية[3] . وكان الوفد

---

(١) Le Moniteur ، عدد ٢٥٥ ، ١١سبتمبر١٨١٦ ، ص١٠٢٦ ، نقلا عن " التايمز " اللندنية ،. وحسب نفس المصدر فقد علقت صحف أخرى عديدة فى أوروبا على الهدية المذكورة .

(٢) لم أتمكن من الاطلاع على نموذج للقوائم الخاصة بالجزائر ، غير أننى تمكنت من الاطلاع على قائمة مشابهة لها خاصة بهدايا بايات تونس ، وكانت تشتمل على أربعة وعشرين شخصية فى الباب العالى وكان فى مقدمتهم السلطان ثم الصدر الأعظم وشيخ الاسلام وآغا دار السعادة والقبودان باشا وآغا الانكشارية ورئيس الكتاب وغيرهم . راجع : تونس ، أرشيف دار الباى ، صندوق ٢٢١ ، ملف ٣٥٢ ، وثيقة ٧ .

(٣) لندن ، دار المحفوظات البريطانية ، قائمة بأعضاء الوفد الجزائرى إلى استانبول عام ١٨٠٦ ، فى : F.O.3 ، مجلد ١١ ، ورقة ٨٨ .

الذى حمل هدية حسين باشا عام ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩م يتكون من عشرين عضوا فقط ، وكان رئيسه " يالى وكيل حرج حاجى يوسف" الذى كان هو نفسه رئيس الوفد الذى حمل هدية مصطفى باشا عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م [١] .

وكان يطلق على الهدية فى الجزائر إسم " بشكش" [٢] . (وهو كلمة عثمانية من الأصل الفارسى " بيشكش " بمعنى الهبة التى تقدم لأحد الرؤساء أو أصحاب المنزلة لكسب مودته) [٣] . ويمكن مقابلة ذلك الاسم بتعبير " الجائزة الهمايونية " أو " جائزة المنصب " الذى كان يطلق فى مصر على الهدية التى يرسلها ولاتها بمناسبة تعيينهم إلى السلطان العثمانى [٤] .

ومن الاسم المذكور اتخذ رئيس الوفد الذى يحمل الهدية الاسم الذى يعرف به وهو " بشكش أغاسى " ، وأما نائبه فيعرف باسم " كتخدا " [٥] . وكانت وظيفة هذا الأخير ضرورية للغاية ، وقد اتضح

---

(١) رسالة من السفير البريطانى باستانبول ، ٩ سبتمبر ١٨١٩ ، فى : F.O. 78 ، مجلد ٩٢ ، ورقة ٢٣٧ .

(٢) أورد د. أحمد الشريف الزهار فى مصدره السابق ، ص١٤٥ بشكل " باشكاش" .

(٣) راد حاوص جيمس ، كتاب معانى لهجة (قاموس عثمانى أنجليزي) .

(٤) د. ليلى عبد اللطيف ، الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، ص٩٩ .

(٥) 228 MI 14 ، سجل ١٩ ، ورقة ١٠ .

ذلك عام ١٢٣٤ هـ/ ١٨١٩م عندما توفى رئيس الوفد الحاج يوسف فى استانبول قبل أن يكمل مهمته ، فخلفه نائبه الحاج حافظ(١) .

وقد جرت العادة أن ترسل الهدية والوفد الحامل لها على متن سفينة حربية تابعة لدولة أجنبية حتى يضمن وصولها وعدم التعرض لهما من قبل أعداء الايالة فى البحر المتوسط وعلى رأسهم فرسان القديس يوحنا . وكانت الدولة التى يقع اختيار الايالة عليها لتتولى نقل الهدية إلى استانبول ، تعتبر ذلك شرفا كبيرا لها . ويتضح ذلك من رسالتين متبادلتين بخصوص نفس الموضوع بين والى الجزائر حسن باشا والملك الفرنسى " لوى السادس عشر" عام ١٧٩١م(٢) .

وقد فازت بذلك الشرف دول عديدة ، منها الولايات المتحدة الأمريكية التى دخلت فى أواخر القرن الثامن عشر إلى ساحة العلاقات الدولية كدولة حديثة قليلة التجارب ، خصوصا فيما يتصل بعلاقاتها مع الشرق الاسلامى . وكان اختيار مصطفى باشا لسفينتها " جورج واشنطن" لتنقل هديته إلى السلطان سليم الثالث عام ١٢١٥ هـ/ ١٨٠٠م مجردا من أى اعتبار يتعلق بعلاقات الولايات المتحدة مع الايالة ، وإنما جاء لأنها كانت دولة بعيدة عن الصراع المحتدم فى البحر المتوسط بين القوى الأوروبية بزعامة فرنسا من جانب ، وبريطانيا والدولة العثمانية من جانب آخر، وهو الصراع الذى كانت الايالة تشكل أحد أطرافه بحكم تبعيتها للدولة

---

(١) 228 MI 14 ، سجل ١٩ ، ورقة ١٠ .

(٢) راجع نص الرسالتين فى : Plantet, Eugene, correspondance des Deys d'Alger, TII, pp. 406-409.

العثمانيــة من جهة وعلاقاتها بفرنسا وبريطانيا من جهة ثانية . وقــد تم عمــل الولايات المتحدة وسط ظروف صعبة وحرجة ، سواء على مستوى علاقاتها بالايالة أو علاقاتها بالدولــة العثمانية التى لم تكن تربطها بها أيــة معاهدة . ذلك أن تكليف سفينتها " جورج واشــنطن " التى كانت راسية فى ميناء مدينــة الجزائر بنقل وفد الايالــة إلى استانبول ، قــد حدث دون إجراء اتصــالات بالرئيس الأمريكى للحصول على موافقته كما كان يقتضى الأمر وإنما حدث تحــت ضغط مارســه مصطفى باشا على قنصلها فى الجزائر ، وتهديده بقطع العلاقات مع بلاده اذا رفض إعطاء الاذن لربان السفينة المذكورة للقيام بتلك المهمــــة . وفى ظل تلك الظروف اعتبر الأمريكيون الأمر مساسا بشرف بلادهم ، خصوصــــا وأن السفينة كانت تحمل إسم رئيس الولايات المتحدة " جورج واشنطن" [١] .

إلا أن نتائج تلك الرحــلة أثبتت فائدة كبرى فى توطيد علاقــــات الولايات المتحدة بالدولة العثمانية"[١] . ولذلك لم يتردد الأمريكيون فى تلبيــة

---

(١) Bemis, S.F., A diplomatic history of the United States, p. 179 ، وراجع أيضا : د . أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء فى تاريخ الجزائر ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ .

(٢) ذلك ما تكشفه تقارير الربان " بينبريدج " قائد السفينة عن الرحلة ، ويذكر فى أحدها (مؤرخ فى ٢٢ ديسمبر ١٨٠٠م) " أن الظروف مواتية تماما للولايات المتحدة إذا أرادت أن تعقد معاهدة تجارية مع الباب العالى" راجع : F.O. 78 ، مجلد ٣١ ، ورقــة ٩١ . وأوضح فى تقرير آخر (مؤرخ فى ٢٦ ديسمبر ١٨٠٠م) أن القبودان باشا موافق على مــد جسر العلاقات بين الباب العالـــى والولايات المتحدة ، راجع : نفس المصدر ، ورقة ٨٧ .

طلب الايالة بعد ذلك عام ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م بنقل الهدية التى قررعلى باشا إرسالها إلى السلطان محمود الثانى [٢] .

وتأتى بريطانيا بعد الولايات المتحدة . وقد قامت بتلك المهمة مرتين : الأولى عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ، وهى المناسبة التى تلقى فيها وزير خارجيتها رسالة من الصدر الأعظم إسماعيل حافظ باشا إعتبر فيها قيام بريطانيا بنقل البعثة الجزائرية الى استانبول ، ترجمة صادقة للعلاقات الودية القائمة بين الحكومة البريطانية والباب العالى [٢] . ووجه له فى نفس الوقت الشكر على " العناية الفائقة والمعاملة الكريمة اللتين حظى بهما وفد الجزائر التى تعد إحدى إيالات الدولة العثمانية ، على متن السفينة" [٣] . أما المرة الثانية التى تولت فيها بريطانيا نقل هدية الايالة الى استانبول ، فكانت عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م ، وهى المناسبة التى أرسلت فيها الجزائر أكبر هدية لها إلى السلطان العثمانى ، وخصصت لها بريطانيا سفينتها " تاجوس Tagus " [٤] .

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٦ يناير ١٨١٠ ، فى : C.C.C/Alger مجلد ٤٠ ، ورقة ٦ . كذلك رسالة من السفير الفرنسى ، ١٥ يونية ١٨١٠ : فى C.P/Turquie ، مجلد ٢٥ إضافى ، ورقة ٢٥ .

(٢) رسالة مؤرخة فى ١٤ مايو ١٨٠٦م ومترجمة الى الإنجليزية ، فى : F.O. 78 ، مجلد ٥٠ ، ورقة ٥٤ .

(٣) نفس رسالة الصدر الأعظم .

(٤) رسالة من السفير البريطانى فى استانبول ، ٩ سبتمبر ١٨١٩ ، فى : F.O. 78 ، مجلد ٩٢ ، ورقة ٢٣٧ .

وأما الدولة الثالثة التى قامت بنفس المهمة فكانت الدانمارك التى تعد إحدى الدول القديمة فى علاقاتها مع الجزائر وكان ذلك عام ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م[١] • وكانت الهدية التى حملتها سفينة الدانمارك هى آخر هدية أرسلتها الايالة إلى الباب العالى •

وقد كانت السفينة المختارة لنقل الهدية تحظى باهتمام كبير من قبل الجزائريين ، فتزين بالريات وتودع وسط طلقات المدافع • وبعد ثلاثة أسابيع[١] من الابحار تصل إلى العاصمة العثمانية وترسو فى القرن الذهبى فيبلغ خبرها إلى السلطان الذى يأمر بانزال البعثة التى تحمل الهدية وتخصيص مراسيم الاستقبال لها ثم تحديد برنامج لقاداتها مع السلطان نفسه ووزراء الباب العالى لتوزيع الهدايا عليهم ومناقشة أوضاع الايالة معهم[٢] •

واذا كان ولاة الجزائر قد اعتادوا أن يكسبوا رضاء السلطان عليهم وكذلك ود وزرائه فى هذه المناسبة ، فإن مصطفى باشا أصيب بخيبة أمل كبيرة فى عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م • إذ بلغ غضب السلطان سليم الثالث عليه أن رفض استقبال بعثته وقبول هديته (التى أرسلها على متن السفينة الأمريكية) بسبب توقيعه على معاهدة صلح مع فرنسا التى كانت تحتل مصر،

---

(١) يمكن تحديد ذلك فى ضوء رحلة السفينة الأمريكية التى غادرت الجزائر في ١٩ أكتوبر ١٨٠٠ ، ووصلت إلى استانبول فى ١١ نوفمبر من نفس السنة •

(٢) رسالة من حاجى مصطفى رئيس بعثة عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م إلى أحمد باشا ، ٢٦ صفر/ ١٥ مايو من نفس السنة ، مترجمة إلى الانجليزية فى : F.O. 3 مجلد ١١ ، ورقة ٩٢ •

فبعد مرور شهرين على ذلك التوقيع ، أى فى ٢٣ جمادى الثانية / ١١ نوفمبر من السنة المذكورة رست السفينة الأمريكية " جورج واشنطن " فى القرن الذهبى بين مظاهر الاستنكار والغضب . ولم تستقبل البعثة الجزائرية استقبالا رسميا بحجة غياب " القبودان دريا " (كوجوك حسين باشا) ، ورفض طلب رئيسيها حاجى يوسف بوضع برنامج لقاءاته مع السلطان ووزرائه [١] . وبعد بضعة أيام دخل " القبودان دريا " إلى استانبول فتوجه إليه حاجى يوسف وهو لا يزال على سفينة القيادة حيث دار حوار عنيف بينهما عبر خلاله " كوجوك حسين باشا " عن سخط السلطان على الايالة بسبب موقفها السلبى تجاه فرنسا والذى اعتبره منافيا لروح الروابط العقائدية التى تربط الجزائر بالدولة العثمانية . وكان رد حاجى يوسف على ذلك الاتهام بقوله أن ماعقدته الايالة مع فرنسا لم يكن معاهدة صلح كما يعتقد الباب العالى وإنما مجرد هدنة ، وأن سفارته تعد أصدق دليل على تعلق الايالة بالدولة العثمانية وحفاظها على علاقاتها التاريخية معها [٢] .

وعلى الرغم من الجهود التى بذلها حاجى يوسف فى الدفاع عن موقف الايالة ، الا أنه لم يفلح فى اقناع " القبودان دريا " الذى أصر على موقفه بعدم استقبال البعثة ، وطلب من الربان الأمريكى أن ينزل من على

---

(١) تقرير من ربان السفينة الأمريكية إلى حكومته ، ٢٢ ديسمبر ١٨٠٠ فى : F.O. 78 ، مجلد ٣١ ، ورقة ٩٠ — ٩١ .

(٢) نص الحوار مترجم إلى الأنجليزية وملحق برسالة السفير البريطانى ، ٢٩ نوفمبر ١٨٠٠ ، فى : F.O. 78 ، مجلد ٣٠ ، ورقة ٢٥٨ .

سفينته الراية الجزائرية ويرفع بدلها الراية الامريكية ، وأشار عليه بعدم رفعها مرة ثانية مادامت سفينته فى المياه الاقليمية للدولة العثمانية ، فلبى الربان طلبه[1] ، ثم أمر " القبودان دريا " بعدم السماح لأعضاء البعثة الجزائرية بالخروج من مقر إقامتهم ، وأعطى فى نفس الوقت لحاجى يوسف مهلة شهرين ليتصل خلالها بالجزائر ويخبر مصطفى باشا بقرار الباب العالى بعدم استقبال بعثته وقبول هديته مالم يقم بإلغاء الصلح مع فرنسا وإعلان الحرب عليها ، وكذلك الاستجابة لأمر السلطان باطلاق سراح الأسرى البريطانيين والنمساويين واليونانيين فى الجزائر وتعويضهم عن الخسائر التى لحقتهم من جراء احتجاز سفنهم ومصادرة بضائعهم. وقد وصلت تهديدات " القبودان دريا " إلى حد منع الايالة من القيام بعمليات التجنيد فى الأناضول والتهديد باعدام كل من يتطوع فى أوجاق الجزائر من الرعايا العثمانيين[2] ، كما أمر باحتجاز أموال التجار الجزائريين وطردهم من محلاتهم ووضع الأختام على أبوابها لمنعهم من العودة اليها[3] .

وبعد يومين طلب حاجى يوسف مقابلة ثانية مع " القبودان دريا " وحاول خلالها إغراءه بالحصة التى خصصت له ضمن الهدية وسلمه قائمة

---

(١) نفس تقرير ربان السفينة الأمريكية فى : F.O. 78 ، مجلد ٣١ ، ورقة ٩٠ – ٩١ .

(٢) نفس التقرير .

(٣) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

بمحتوياتهـا ، فاستلمها منه ومزقها قطعا ورمى بها على الأرض دون أن يلقى نظرة واحدة عليها ،وعبر عن غضبه قائلا " لا يسمح لأحـد من وزراء حضـرة السلطان بقبول أيـة هدية من شخص تصرف بأسلوب مخالف لارادتـه" (١)

وعقب تلك المقابلة أدرك حاجى يوسف خطورة الموقف ورأى وجـوب إرسال نائبه حاجى مصطفى على متن السفينة الأمريكية إلى الجزائر لاطـلاع مصطفى باشا على الصعوبات التى تواجهها بعثته فى استانبول بعد أن قـرر الباب العالى عدم استقبالها (٢) • وقـد وصلت السفينة الأمريكية إلى الجزائـر فى ٦ رمضان ١٢١٥هـ/ ٢١ يناير ١٨٠١م ،وتبعـتها سفينة بريطانية عليهـا مبعوث عثمانى ومعه فرمان من " القبودان دريا" إلى مصطفى باشا بخصـوص نفس الموضوع • وفور نزول حاجى مصطفى وبعده المبعوث العثمانى فى الميناء اجتمع الديوان وأصدر قرارا بنقض معاهدة الصلح مع فرنسا وقطع علاقـات الايالـة معها ،وأتبع ذلك بقرار إطلاق سراح أربعمائة أسير من جنسيـات مختلفـة تلبية لأمر الباب العالى (٣) • ثم أرسل مصطفى باشا إلى القنصـل البريطانى يطلب منه أن يكتب إلى " القبودان دريا" فى استانبول ليخبـره

---

(١) رسالة من السفير البريطانى ، ٢٩ نوفمبر ١٨٠٠ فى : F.O. 78 مجلد ٣٠ ، ورقة ٢٥٨ •

(٢) نفس تقرير ربان السفينة الأمريكية فى : F.O. 78 ، مجلد ٣١، ورقة ٩٠ — ٩١ •

(٣) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٦ فبراير ١٨٠١، فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٥ ، ورقة ٢٠٤ •

بتنفيذ أوامره فى الجزائر ويلتمس منه استقبال وفد الأيالة وتسهيل مهمته(١) . ولكى يحيد مصطفى باشا للباب العالى ثقته به أرسل مبعوثا عنه الى إستانبول على متن سفينة دانماركية يحمل رساله منه إلى " القبودان دريا " أخبره فيها بالاستجابة لأوامره(٢) .

وكانت دول أوروبا تدرك مدى حرص الجزائر على نجاح بعثتها فى أداء مهمتها فى العاصمة العثمانية ، وتعتبر سرعة استجابة مصطفى باشا لأوامر الباب العالى عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م ، دليلا كافيا على ذلك الحرص. ولهذا تبين لتلك الدول أنه إذا أرادت الحصول من الايالة على تنازلات سياسية أو تجارية، فإن عليها أن تستغل مناسبة إرسال بعثاتها إلى استانبول ، وتتوسط لدى الباب العالى لعرقلة مهامها حتى تستجيب الايالة لمطالبها (أى مطالب تلك الدول) . وهذا ما طلب القنصل الفرنسى " دوبوا تانفيل " من بلاده أن تفعله عام ١٨٠٨م للضغط على الجزائر (التى كانت تتفاوض مع بريطانيا لتعين إحدى سفنها لنقل الهدية التى قررت أن ترسلها إلى الباب العالى) من أجل إرغامها على التنازل على بعض الامتيازات التجارية التى كانت فرنسا تدعى حقها فيها(٣) .

---

(١) رسالة من القنصل البريطانى فى الجزائر ، ٣٠ يناير ١٨٠١ ، فى : F.O. 3 ، مجلد ٩ ، ورقة ٢ ـ ٤ .

(٢) نفس الرسالة.

(٣) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٥ يناير ١٨٠٨، فى : C.C. / Alger ، مجلد ٣٩ ، ورقة ٣ .

وكان باشاوات الجزائر يحصلون مقابل هداياهم إلى السلطان العثمانى على رموز الولاية[1] المتمثلة فى " القليج " وهو نوع من السيوف العثمانية ، و " القفتان " ، اللباس الرسمى لرجال الدولة العثمانية ، وهو عبارة عن ثوب أحمر اللون مصنوع من القطن ، له كمان عريضان ومتدليان عند اليدين ، ومطرز بألوان مختلفة من الأمام ومزين بالحرير الأصفر اللامع ، ولا يتجاوز ثمنه ــ كما يذكر " فونتير دوبارادى " ــ خمسةعشر قرشا[2] ، ويطلق عليه فى الجزائر " الخلعة السلطانية " [3] . أما الرمز الثالث والمهم فكان يتمثل فى " الفرمان " وهو رسالة من السلطان موشحة بالطغرا (أى توقيع السلطان) يعهد فيها للباشا بالولاية ويمنحه رتبة " بكلربكى "[4] .

وفضلا على رموز الولاية كان الباب العالى يرد على الهدية الجزائرية بهدية مثلها أو أكثر منها قيمة فى بعض الأحيان ، وتتمثل محتوياتها فى جميع الأوقات فى المعدات والتجهيزات العسكرية التى تكون الايالة فى حاجة إليها لتقوية وسائل دفاعها وفى مقدمتها الأسطول . وكنموذج لذلك فقد رد السلطان سليم الثالث على هدية مصطفى باشا عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م بهدية تمثلت فى خمسة وسبعين جنديا وأربعين مدفعا من النحاس وخمسمائة

---

(١) وردت تلك الرموز فى مصادر عديدة ، راجع مثلا : 14 228 MI سجل ١٢ ، ورقة ١٠ .

(٢) . Venture de Paradis, Tunis et Alger, p. 201

(٣) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص٤٣ ، ٩٥ .

(٤) حول تفاصيل ذلك راجع الفصل الثانى ، ص ٣٨ ــ ٣٩ .

برميل من البارود ، وألف قنطار من الكبريت وأربعة آلاف قذيفة ، وخمسمائة رزمة من الأشرعة ، وألف بريميل من القطران وأجهزة أخرى مختلفة خاصة بالسفن علاوة على عدد من القفاتين وهدايا أخرى للباشا ومساعديه[1] .

وبالاضافة إلى هدايا الولاية ، كان باشاوات الجزائر يرسلون فى بعض المناسبات هدايا أخرى إلى وزراء الباب العالى ومساعديهم وفى مقدمتهم القبودان دريا الذى كانت له يد قوية على الايالة . وقد كتب القنصل الفرنسى " دوبواتانفيل " فى عام ١٨٠٧م بهذا الخصوص " أن أحمد باشا قد أرسل إلى الشرق أجمل سفينة تملكها الايالة بقيادة الرئيس حميده[2] الذى كلف بمهام عديدة من بينها حمل هدية إلى القبودان

---

(١) رسالة من القنصل الأمريكى ، نوفمبر ١٨٠١ فى : Swanson , Claude, Naval Documents , Vol. I, p. 617.
وللاطلاع على نماذج أخرى لتلك الهدايا راجع هدية السلطان محمود الثانى إلى على باشا عام ١٨١٠م فى : Ahmed Cevdet, Tarihi cevdet , cild 5, S 2362
وكذلك هديته إلى عمر باشا عام ١٨١٧م فى : F.O. 78 مجلد ٨٨ ، ورقة ١٣٨ ـ ١٤٠ .

(٢) حميده : هكذا ورد فى الرسالة . ويشار إليه بنفس الشكل أحيانا فى السجلات الجزائرية (راجع : 15 228 MI ، سجل ١٩ ، ورقة ١٣٨) ، وأحيانا أخرى بشكل " حميدو " ، (راجع : 14 228 MI ، سجل ١٣ ورقة ٧٠) . وكان بحارا جزائريا شهيرا فى أوائل القرن التاسع عشر ، وقتل فى إحدى المعارك التى قادها ضد الأسطول الأمريكي فى البحر المتوسط عام ١٨١٥م .

باشا الجديد (الجزائرلى على باشا) الذى تهابه الجزائر وتسعى إلى كسب موقفه لصالحها " (١) •

ثانيا : تجنيد المتطوعين فى الأقاليم العثمانية

اعتبر الجيش الركيزة الأساسية التى بنى عليها نظام الحكم العثمانى فى الجزائر شأنها فى ذلك شأن الايالات العثمانية الأخرى ، حتى أن مصطلح " أوجاق " الذى اطلق على الفرق العسكرية فى الجيش العثمانى ، كان يستعمل للدلالة على الأيالة ذاتها كذلك(٢) • ونظرا لعلاقة الجيش باستمرار نظام الحكم العثمانى فى الجزائر ، فإن ولاتها كانوا يحرصون على تجديد عناصره بتجنيد المتطوعين فى أقاليم الدولةالعثمانية الواقعة فى آسيا (بصفة خاصة) وأوروبا وأفريقيا وجزر البحر المتوسط ، وجلبهم إلى مدينة الجزائر وضمهم إلى وحدات الجيش • وعلى الرغم من الهزات العنيفة التى تعرض لها نظام الحكم فى الايالة ومساترتب عليه من آثار خطيرة على علاقاتها بالباب العالى ، فإن التجنيد ظل يعتبر طوال ثلاثة قرون ونيف أحد الحبال المتينة التى تشدها إليه • ومن أجل هذا ظل الجانبان يرعيانه ويعطيانه اهتماما كبيرا •

---

(١) الرسالة مؤرخة فى ٣ مايو ١٨٠٧م،فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٨ ،ورقة ٢٢٤ • وللاطلاع على نموذج لتلك الهدايا راجع الهدية التى أرسلتها الايالة فى إحدى المناسبات إلى القبودان دريا محمد خسرو باشا وعدد من مساعديه فى : 228 MI 14 سجل ١٥ ،ورقة ٣ •

(٢) انظر الفصل الثالث ، ص ٩٧ •

وقد كان من الصعب على الايالة الاستغناء عن هؤلاء الجنود المتطوعين . حتى أنها لم تكن تتورع عن التورط فى أزمات مع الدول الاخرى إذا هدد تدفقهم عليها أى عائق مثلما حدث مع الدانمارك عام ١٧٩٦م[١] .

ولم يكن حرص الباب العالى على تدفق المتطوعين يقل عن حرص الايالة ، خصوصا وأنه كان يدرك مدى دورهم فى تدعيم قدرة الايالة العسكرية فى مواجهة الاعتداءات الخارجية . ولهذا كان يعمل بقدر المستطاع على استمرار وصولهم إليها مهما كان مستوى العلاقات بينهما . وقد حدث خلال حرب اليونان ، وبالتحديد فى شوال ١٢٤١هـ/ مايو ١٨٢٦م أن رفع القبودان دريا محمد خسرو باشا تقريرا إلى السلطان محمود الثانى أخبره فيه بانفصال السفن الجزائرية عن الأسطول العثمانى وعودتها إلى الجزائر بدون إذن مسبق منه ، واقترح التقرير معاقبة الجزائريين على عملهم بايقاف وصول المتطوعين إلى ايالتهم[٢] ، إلا أن السلطان اعتبر من غير اللائق أن يُمنع الجزائريون من الامدادات العسكرية التى تصل إليهم من " ازمير " بسبب ذلك الخطإ ، خصوصا وأنهم أمام عدو لدود مثل الأنجليز . وأمر السلطان بالاكتفاء بتوجيه اللوم إلى الجزائريين ونصحهم

---

(١) حول تفاصيل الأزمة أنظر : كاثكارت ، جيمس ليندز ، مذكرات ، تعريب إسماعيل العربى ، ص ٢٤٩ ــ ٢٥٢ .

(٢) الجزائر مركز الدراسات التاريخية ، وثائق تاريخ الجزائر العثمانى ، خ . هـ ٣٩٣١٥ / ١٢٤١ .

بعدم تكرار ذلك الخطأ مرة أخرى[1] .

ولم يكن الباب العالى وحده الذى يدرك أهمية وصول المتطوعين إلى الجزائر ، بل كانت الدول الأوروبية أيضا تدرك تلك الأهمية ، كما كانت تهتم بمعرفة جميع العناصر المؤثرة فى قوة الايالة وبتفاصيل سير النظام القائم فيها . وقد استطاعت بريطانيا أن تقنع الباب العالى بمنع الجزائريين من تنظيم عمليات التجنيد فى الأناضول عام ١٢١٥ هـ / ١٨٠٠ م من أجل الضغط عليهم لاطلاق سراح الأسرى البريطانيين فى الايالة وإعلان الحرب على فرنسا ، كذلك طلب القنصل الفرنسى " دوبوا تانفيل " من بلاده أن تلجأ إلى نفس العمل عام ١٨٠٨م من أجل الضغط على الايالة لتعيد إليها امتيازاتها فى الشرق الجزائرى[2] . وقد وصل الأمر فى هذا المجال أن طلب " السير سيدنى سميث " (رئيس منظمة فرسان القديس يوحنا لمحاربة إسترقاق الأوروبيين فى الايالات المغربية) فى تقريره الذى قدمه لمؤتمر فيينا عام ١٨١٤ م ، من الدول الأوروبية أن تستغل نفس الجانب فى العلاقات بين الجزائر والباب العالى ، واقترح عليها ممارسة ضغط جماعى على السلطان لمنعه من مواصلة مد الايالات المغربية الثلاث وفى مقدمتها الجزائر بالمتطوعين ، ومنع الجزائريين من تنظيم عمليات التجنيد فى الأناضول

---

(١) نفس التقرير فى: وثائق تاريخ الجزائر العثمانى ، خ ٠هـ ١٥ ٣٩٣/ ١٢٤١ .

(٢) رسالة من القنصل المذكور ، ٥ يناير ١٨٠٨ فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٩ ، ورقة ٣ .

أو أى إقليم آخر فى الدولة العثمانية[1] .

أما فيما يتصل بعملية التجنيد نفسها فإنها كانت تتركز فى الأناضول ، وبصفة خاصة فى مدينة " إزمير " حيث كانت الايالة تمتلك بناء ضخما يطلق عليه إسم " خان " ويتكون من عدد من الغرف ، بعضها أرضى والآخر علوى ، وبه مسجد ومخازن ، ويشرف على إدارته وكيل يعينه الباشا فى الجزائر ويعرف بإسم " باش دائى " أو " باش داى " ، ويعمل تحت أوامر هذا الوكيل عدد من الموظفين يعرف كل واحد منهم بإسم " دائى " . وكانت مهمتهم جميعا تتركز على تنظيم عمليات التجنيد التى كانت تتم بنصب خيمة كبيرة يطلق عليها اسم " أوطاق " والتى ما أن يراها الراغبون فى التطوع حتى يتوافدوا عليها لتسجيل أسمائهم . وكان المسجلون منهم ينقلون إلى الخان حيث يجدون كل حاجياتهم اليومية متوفرة لهم . ويبقون كذلك إلى أن يتم جمع عدد كبير منهم وتأتى سفينة تابعة للايالة أو تؤجر لهم سفينة تابعة لدولة أجنبية لتحملهم إلى الجزائر[2] .

---

(١) راجم نص التقرير فى : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، M.D/ Afrique ، مجلد ٥ ، ورقة ٢٣٨ .

(٢) تونس ، المكتبة الوطنية ، رسالة من وكيل الجزائر بإزمير الحاج محمد إلى أحمد باشا عام ١٢٢٢ هـ فى : مخطوط رقم ٣٧ ، مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ١٠ ، ورسالة أخرى من الحاج خليل أفندى إلى حسين باشا ، ٣ شوال ١٢٣٦ هـ فى : نفس المصدر ، ورقة ١٤ — ١٥ . وقد ورد فى هذه الرسالة إسم " ضاى " بدلا من " داى " ، وكذلك رسالة من الحاج حسين باش داى الجزائر إلى حسين باشا ، ٢٨ جمادى الثانية ١٢٤٣ هـ ، فى : نفس المصدر ، ورقة ٤٢ — ٤٣ ، =

وكانت عمليات التجنيد تكلف خزينة الايالة مبالغ باهظة ٠ فعلاوة على مصاريف إقامة الجنود الذين كانت النفقات تجرى عليهم فى الخان بسخاء لاغرائهم ، كانت الايالة تدفع مرتبات الدايات والامام والعاملين فى الخان ، وكذلك مصاريف الترميمات والاصلاحات الدورية التى تجرى على الخان ، وإيجار الأرض التى يقام عليها الأوطاق[١]. ومن أجل تغطية هذه المصاريف وغيرها أرسل أحمد باشا مبلغ ثلاثة عشر ألف قرش إلى "الباش داى" رفقة الرئيس حميدو خلال رحلته إلى إزمير فى عام ١٢٢٢ هـ / ١٨٠٧ م [٢] ٠ وحسبما ورد فى أحد السجلات الادارية فقد بلغت مصاريف الخان خلال الفترة الواقعة بين رجب ١٢٤٠ و١٥ ربيع الأول ١٢٤٤ هـ (من ١٩ فبراير ١٨٢٥ إلى ٢٥ ديسمبر ١٨٢٨م) مبلغ ٥٨٧٠ (خمسة آلاف وثمانمائة وسبعين قرشا) [٣] ، أى بمعدل مائة وثلاثين قرشا تقريبا فى كل شهر ٠

= وجاء فى هذه الرسالة إسم " سرداى " بدلا من" باشداى ". وراجع أيضا : 14 MI 228 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥٤ ٠ حيث وردت قوائم بعض الجنود الذين أرسلهم الباشداى من إزمير ٠

(١) رسالة من الحاج محمد بإزمير إلى أحمد باشا عام ١٢٢٢ هـ فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ١٠ ــ ١١ ٠

(٢) نفس الرسالة ٠

(٣) 14 MI 228 ، سجل ١٦ ، ورقة ١٣ ٠

وبالاضافة إلى مصاريف الخان كانت الايالة تبعث من حين لآخر ببعض الهدايا الثمينة إلى عدد من رجال الباب العالى مثل القبودان باشا ومساعديه ، وكذلك إلى حكام المدن التى تنظم فيها عمليات التجنيد كأسلوب لاغرائهم والحصول على مساعداتهم فى ذلك [١] .

ولم يكن حاكم إزمير يسمح لباش داى الجزائر بتنظيم عمليات التجنيد إلا بإذن من الباب العالى . وللحصول على ذلك كان على الباش داى أن يقدم تقريرا إلى القبودان باشا يشرح له فيه وضع الايالة ويخبره بحاجتها إلى الجنود . وبعد أخذ رأى السلطان فى الموضوع يصدر الفرمان الذى يرسل إلى حاكم إزمير من أجل السماح للباش داى بنصب الأوطاق والشروع فى تسجيل المتطوعين . وكان يشترط على الباش داى احترام إرادة السلطان فى العمل من حيث عدم ممارسة أى ضغط على الأشخاص لاجبارهم على التطوع ، وضمان أمن المتطوعين والالتزام بتقديم تقرير مفصل للباب العالى حول عدد الجنود الذين تم تسجيلهم [٢] .

---

(١) كنماذج لتلك الهدايا راجع: 228 MI 14 ،سجل ١٥، ورقة ٣ ، وكذلك : Colombe, Marcel, Contribution ā L'étude .... de L'odjak, in R.A./1943, p. 175.

(٢) تقرير من القبودان دريا محمد خسرو باشا إلى السلطان محمود الثانى حول إعطاء الاذن لحاجى سعيد (باش داى الجزائر) لتنظيم عمليات التجنيد فى إزمير عام ١٢٣١ هفى : وثائق تاريخ الجزائر العثمانى ، خ . هـ ١٦٨٧٢ / ١٢٣١ .

وعلاوة على نشاط الخان فى إزمير كانت هناك طرق أخرى بعيدة عن مراقبة الباب العالى إستعملتها الجزائر لجلب المتطوعين ، ومنها طريقة الجنود أنفسهم . إذ أن عددا كبيرا منهم كانوا بعد قضاء مدة طويلة فى الجزائر يجمعون خلالها مبالغ من المال ، يعودون إلى أوطانهم لزيارة ذويهم وأقاربهم ، فيحدثونهم عن حياة الرخاء والترف التى يعيشونها فى الجزائر ويشجعونهم على العودة معهم إلى الايالة حيث يقدمونهم إلى " مقاطعة جى " الذى يسجلهم فى دفتر الجند ، ثم يتولون بأنفسهم تعليمهم قواعد النظام(١) .

كما كان هناك من يأتى منهم على متن سفن التجار و الحجيج أو يرسلهم وكلاء الايالة الموجودون فى مختلف مدن الدولة العثمانية مثل استانبول والاسكندرية وتونس وغيرها . إلا أن عدد هؤلاء الجنود كان قليلا إذا قورن بالأعداد التى تصل منهم من إزمير . وكأمثلة على ذلك فقد ورد فى بعض القوائم أن أربعة جنود قدموا عام ١٢٣١ هـ من الاسكندرية على متن سفينة تابعة لبعض التجار(٢) ، وفى ١٢ ربيع الأول ١٢٤٥ هـ وصل إثنا عشر جنديا رفقة حاجى محمود الذى قدم من مصر(٣) ، وفى ٢٥ رجب ١٢٣٢ هـ عادت سفينة الحجيج وعلى متنها جنديان(٤) ، وفى ٢٩ ذى القعدة

---

(١) حمدان بن عثمان خوجه ~~أحمد الشريف الزهار~~ ، المصدر السابق ، ص ١١٩ .

(٢) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥٥ .

(٣) نفس المصدر ، ورقة ٦٩ .

(٤) نفس المصدر ، نفس الورقة

قـدم ستة جنود من تونـس[١] .

ولم تكن الايالـة تكتفى بما كان يصلها من الجنود بهذه الطـرق، فكانت ترسل من حين لآخر وفودا خاصـة إلى بعض المناطق فى الدولـة العثمانيـة لجمع المتطوعين ،فأرسلت فى ٢٠ جمادى الأولى ١٢١٥ هـ/ ٢١ سبتمبر ١٨٠٠ وفـدا برئاسـة ضابط برتبة " بلوك باشى " إلى جزيرة رودس ، وعاد فى أوائل ربيع الأول من السنة التالية ومعه مائة وسبعة عشر(١١٧) جنديا، كما أرسلت وفدا آخر عام ١٢١٥ هـ يتكون من إثنين وعشرين شخصا إلى إزميـره وعاد فى السنة التالية ومعه مائتان وتسعة وسبعون (٢٧٩) جنديا، وفـى ٢ رمضان ١٢٢٠هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨٠٥م توجـه وفـدا آخر إلى جهـة غيـر معلومة لنفس الغرض[٢] .

وفيما يتعلق بأصل هؤلاء الجند و فكانوا ـ كما هو واضـح ـ يأتون إلى الجزائر من مناطق عديدة شملت معظم أنحاء الدولـة العثمانيـة ومختلف الأجناس المكونـة لها وخارجها أحيانا . ففى أوروبا نجد " يـنى شهير " وفى غربى الاناضول نجد " آلا شهير " و" آيدين " و" إزميـر " و" إزميت "،وفى وسطه نجد " أسكى شهير " و" أنقره " و"كوهاتيه" و" قونيـه"، وفى شرقيه نجد " سيواس " و" أماسيا " و" صامصون " وقره حصار" و" قره بـاغ " و"دياربكر " و" جبل الأكراد " . ومن جزر بحر إيجه نجد " يـوزجه أطـه" (أو تنيدوس) و" مدللى " و" رودس" وفى جزر البحر المتوسط نجد " كريـت" وكذلك " مالطة "،وفى أفريقيا نجد مصر وطرابلس وتونس ،وبصفة عامة فقـد

---

(١) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ٦٩ .

(٢) Colombe ، المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

كان منهم الأرنؤوطي واليوناني ، ومنهم التركي والكردي والتاتار والفارسي والأوروبي وكذلك العربي (١) .

وكانت الايالة في عهودها الأولى تختار من المتطوعين ممن تتوفر فيهم صفات الشجاعة والأمانة والاستقامة ، وبصفة عامة الخصال الحميدة التي يشترطها الاسلام ويتطلبها النظام الداخلي للأوجاق . أما في الفترة المتأخرة فقد تخلت عن ذلك وأصبحت تجمع حتى المتشردين والمتسكعين في المدن ، بل حتى اليهود واليونانيين المسيحيين الذين يقومون بتختين أنفسهم ليتظاهروا بالاسلام ويقبل تجنيدهم (٢) . وبلغ الخطر مداه عندما أصبح الباب العالي نفسه يشجع تجنيد مثل هؤلاء الأشخاص وارسالهم إلى الجزائر لابعادهم عن مواطنهم الأصلية لخطورتهم على الأمن العام . وهذا ما يمكن استنتاجه من تقرير رفع إلى السلطان سليم الثالث عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م طلب فيه منه الموافقة على إرسال ما يقرب من خمسين شخصا (تمردوا في مدينة

---

(١) كان العثمانيون في الجزائر يهتمون بإلحاق أسماء مواطنهم بأسمائهم الشخصية ، فيقال مثلا : " يوزجه آطه لي مصطفى خوجه " نسبة إلى جزيرة " يوزجه آطه " و" قره بغلي قائد إبراهيم " نسبة إلى مدينة " قره باغ " و" مالطز مصطفى رئيس " نسبة إلى جزيرة مالطة وهكذا ... (راجع هذه الأسماء وغيرها في : 228 MI 14 سجل ١٣ ، ورقة ٥٧ ، ٧٠ ، ٨٠) . ويمكن استخراج قائمة طويلة بأسماء تلك المدن والجزر ، وقد ذكر " مارسيل كولومب (في دراسته السابقة ، ص ١٧٢ ، هامش ١٧) أكثر من ستين مدينة وبلدة . وقد عينت بعض تلك المدن وبعض المدن الأخرى المستخرجة من نفس السجلات على خريطة . أنظر ملحق رقم (٢) .

(٢) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١٥٠ ، وراجع أيضا =

" درمنجلبر" بجزيرة رودس وألحقوا الأذى باهلها) إلى الجزائرعلى متن سفينة تابعة للايالة أتت إلى الجزيرة المذكورة لجمع المتطوعين • وكما ذكر التقرير أن تجنيد هؤلاء الأشخاص يعد وسيلة لاصلاح نفوسهم وتهذيبها لما سيقدمونه من أعمال جهادية فى سبيل الدفاع عن الدولة العثمانية (١) •

ولم يكن التجنيد خاضعا لنظام معين ، لا من حيث الزمن الذى تنظم فيه عمليات التجنيد ولا من حيث عدد الأشخاص المطلوب تجنيدهم • إذ كان المتطوعون يصلون إلى الجزائر على موجات متقطعة ، فى أوقات مختلفة وبأعداد متباينة تبعا لظروف الايالة العسكرية وحالتها الاقتصادية • وحسب الدراسة التى أعدها " مارسيل كولومب" فقد بلغ عدد المتطوعين الذين وصلوا إلى الجزائر خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن التاسع عشر الميلادى ثمانية آلاف وخمسمائة وثلاثة وثلاثون (٨٥٣٣) متطوعا • وقد وصل منهم ٢٢٦٤ متطوعا خلال العقد الأول ، و٤١١٥ متطوعا خلال العقد الثانى ، و٢١٥٤ متطوعا خلال العقد الثالث (٢) •

غير أن القوائم التى وردت فى بعض سجلات مدينة الجزائر ومراسلات القنصل الفرنسى " دوفال " حول وصول المجندين إلى الجزائر ، تنتهى إلى نتيجة مختلفة نسبيا عما جاء فى دراسة " مارسيل كولومب" • فقد

= حمدان بن عثمان خوجة ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ •

(١) وثائق تاريخ الجزائر العثمانى خ • هـ ٣٣٧٤ / ١٢١٩ •

(٢) Colombe ، المصدر السابق ، ص ١٨٠ •

بلغ عـدد المجندين الذين وصلوا خلال السنوات الخمس عشرة الأخيـــرة فقط والممتدة بين عامي ١٢٢٩ ـ ١٢٤٦هـ (١٨١٤ ـ ١٨٣٠م) ستــة آلاف و خمسمائة وسبعة (٦٥٠٧) من الجنود [١] • وبنظرة متفحصـة إلـى الرسم البياني الملحق [٢]، يتضح أن هذا العـدد كان موزعا على مرحلتين، وقد امتدت المرحلة الأولى بين عامي ١٢٢٩ ـ ١٢٣٦هـ (١٨١٤ ـ ١٨٢٠م) ووصل خلالها (٥٠٣٤) جنديا ، وذلك بمعدل ٦٢٩ جنديا في السنـة • غير أن هذا الرقم لا يمثل كل الحقيقـة ، فهو يرتفع في بعض السنوات إلـى أكثر من الضعف مثلما حدث عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٦ـ ١٨١٧م ، وهو العـام التالي للحملة البريطانية على مدينة الجزائر ، وكذلك عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩ ـ ١٨٢٠م ، وهو العـام الذي بدأت فيه الدول الأوروبية تصعد من تهديداتهـا للايالـة من أجل إرغامها على تبني قرارات موءتمر فيينا عام ١٨١٤ ـ ١٨١٥ م والمتعلقة بالقرصنة [٣] • كما ينخفض الرقم في سنوات أخرى إلى مادون الثلـث مثلما حدث عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٧ ـ ١٨١٨م ، وهو العام الذي واكـب اصلاحات علي باشا والتي تمثلت أساسا في القضاء على سيطرة الجيش الانكشاري على السلطة والتخلص من عـدد كبير من عناصره [٤] • أما المرحلة الثانيـــة

---

(١) بمقارنة ماورد في مراسلات القنصل (C.C.C / Alger مجلد ٤٥، ورقة ٩٩، ٢٤٦، ٢٧٤، ٣١١)بما ورد في سجلات الجزائر (228 MI 14 ، سجل ١٣، ورقة ٥٤، ٥٥، ٦٩، ٧٠، ٧٢) تبين أن ماذكرته المـراسلات لم يرد في السجلات •

(٢) أنظر ملحق رقم (٣) •

(٣) لمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع الفصل الخامس ، ص ٢١٩•

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر الفصل الثالث ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ •

فقـد امتدت بين عامى ١٢٣٧ ــ ١٢٤٦ هـ (١٨٢١ ــ ١٨٣٠م) ، ووصـل خلالها ١٤٧٣ جنديا ، أى أقل من ربع العدد الاجمالى (الذى كـان ٦٥٠٧) ، وذلك بمعدل ١٦٣ جنديا فقط فى السنة • مما بين تدهـور التجنيد والعجز العسكرى الذى أصبحت الايالـة تعانى منه نتيجة لذلك فـى أواخر العهد العثمانى • وذلك ما عبرعنه حسين باشا فى رسالته إلى السلطان محمود الثانى فى جمادى الأولى ١٢٤٣ هـ / ديسمبر ١٨٢٧م ، حيث أخبـره بأن الايالـة لم يصلها المتطوعون منذ سنوات على الرغم من حاجتها الماسـة إليهم ، والتمس منـه إصدار الأمر بإرسال أعداد وفيرة منهم من إزميـر والمناطق الأخرى(١) •

ولقد وقع خلال العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميـلادى حدثان كبيران كانا وراء تدهور التجنيد خلال هذه المرحلة ، تمثل أحدهمـا فى الحرب اليونانية العثمانية التى حولت البحر المتوسط إلى ساحة قتال دائـم بين اليونانيين والعثمانيين • وقـد انعكس هذا الوضع على الجزائر وعسر عليها اتصالاتها بالأقاليم العثمانية فى الشرق ، وبصفة خاصة مدينة إزمير التى كانـت المصدر الرئيسى للمتطوعين • وهذا ماعبرعنه الباش داى الحاج حسيـن (بالمدينة المذكورة) فى إحدى رسائله إلى حسين باشا فى مدينة الجزائـر عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م حيث أخبره بأنـه تجمع لديه فى الخان مابيـن خمسين وستين جنديا ، وقـد طلب من أصحاب السفن أن ينقلوهم إلى الجزائـر

---

(١) Kuran, Ercument, La Lettre du dernier Dey d'Alger, in R.A/1952, p. 192.

فرفضوا جميعا خوفا من تعرض اليونانيين لسفنهم خلال رحلتها [١] . كما عبر عنه كذلك وكيل الايالة فى تونس محمد بن أمين السكة فى إحدى رسائله إلى نفس الباشا عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧م حيث أخبره بتعرض القراصنة اليونانيين لسفينة بريطانية كانت متوجهة من الجزائر إلى إزمير ، ونهب البضائع التى وجدوها على متنها والتابعة لبعض التجار الجزائريين [٢].

أما الحدث الثانى فقد تمثل فى القضاء على الجيش الانكشارى من قبل السلطان محمود الثانى عام ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م . وفى الواقع أن الالغاء فى حد ذاته لم يؤد إلى منع الايالة من مواصلة التجنيد ، لأن السلطان نفسه أمر فى خطه الهمايونى على رسالة حسين باشا (المشار إليها) بالسماح للمتطوعين بالسفر إلى الجزائر [٣] . ومن ثم يمكن القول أن تدهور التجنيد كان إحدى النتائج غير المباشرة لذلك القرار ، لأن الأشخاص الذين كانت لهم الرغبة فى الخدمة العسكرية بين سكان الأناضول ، أصبحوا لا يكلفون أنفسهم مشقة السفر إلى بلد بعيد مثل الجزائر لا يعرفون فيه مصيرهم بعد أن فتح لهم النظام الجديد الذى أحدثه السلطان محمود الثانى ، أبواب الخدمة العسكرية فى مواطنهم الأصلية ، وبصفة خاصة فى المدن الكبرى مثل استانبول وازمير . وهذا ما عبر عنه الحاج حسين مرة ثانية فى إحدى رسائله إلى حسين باشا عام ١٢٤٢ هـ / ١٨٢٦ م حيث أخبره

---

(١) راجع نص الرسالة فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٢٨ .

(٢) راجع نص الرسالة فى : نفس المصدر ، ورقة ٣١ .

(٣) Kuran ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

بأن تسجيل الجنود فى النظام الجديد وبناء الثكنات لهم يجريان على قدم وساق فى جميع أنحاء الأناضول والرومللي ، وأن إقبال الناس على النظام يزداد يوما بعد يوم[١] . وبخصوص تأثير ذلك على التجنيد بالنسبة للجزائر أضاف الحاج حسين فى رسالته أن صعوبات كثيرة أصبحت تواجهه ، وأن عدد المتطوعين قد قل بدرجة كبيرة لأن " جملة أهل الاسلام محبتهم الآن العسكر المحمدى" [٢] (أى النظام الجديد) .

ومع ازدياد مشاكل الدولة العثمانية الخارجية ، وتصاعد الأزمة بين الجزائر وفرنسا بين عامى ١٨٢٧- ١٨٣٠م ، تضاعفت العقبات أمام مباشرة عملية التجنيد فى الأناضول وأطراف الدولة للعثمانية الأخرى ، وأصيبت بالركود إلى أن توقفت نهائيا قبيل الحملة الفرنسية . وقد وصف الحاج حسين فى رسالة له إلى حسين باشا فى ٢٧ جمادى الثانية ١٢٤٣ هـ / ١٥ يناير ١٨٢٨ م ، ذلك الوضع بقوله أنه بذل كل مافى وسعه من أجل جمع المتطوعين وإرسالهم إلى الايالة ، واستطاع أن يجمع بضع عشرات منهم ، ولما رفض أصحاب السفن الذين اتصل بهم نقلهم إلى الجزائر ، اضطر إلى إلغاء تسجيلهم وإطلاق سراحهم ، خصوصا وأنه لم يستطع تحمل مصاريفهم المتزايدة . وذكر له فى آخر الرسالة رغبته فى إنهاء وظيفته فى الخان والعودة إلى الجزائر [٣]

---

(١) راجع نص الرسالة فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٢٨ .

(٢) نفس الرسالة .

(٣) راجع نص الرسالة فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٤٣ .

ووسط تلك الظروف انتهت وظيفة الباش داى فى إزمير ووضع حد نهائى لنشاط الخان[1] • وكانت آخر دفعة من الجنود وصلت إلى الجزائر هى التى كتب عنها الحاج أحمد باى " (حاكم المقاطعة الشرقية) إلى حسين باشا فى ٢٧ ذى القعدة ١٢٤٥ هـ/ ٣٠ يونية ١٨٣٠ م ، حيث أخبره بأن الحاج عمار وكيل الجزائر فى تونس قد أرسل إليه يعلمه بوصول ابن مصطفى رئيس ومعه تسعة وعشرون جنديا ، وأنه سيرسل إليهم البغال لنقلهم من تونس إلى الجزائر[2] ، ويبدو أن هؤلاء الجنود قد جلبوا من مصر لأن سجلات الجزائر تذكر أن المدعو باشالى مصطفى رئيس قد سبق أن أرسل تسعة عشر جنديا من هناك (أى من مصر) فى رمضان ١٢٤٥ هـ/ مارس ١٨٣٠ م[3] •

ثالثا : الراية الجزائرية وعلاقتها بالراية العثمانية

كانت الراية ولاتزال الرمز الأساسى الذى تستعمله الدول للتعبير عن تمايزها وتباينها فيما بينها ، والدولة التى تستعمل راية معينة إنما تعبر

---

(١) أنظر قائمة جرد محتويات الخان : 14 MI 228 ، سجل ١٦ ، ورقة ١١ •

(٢) الجزائر ، المكتبة الوطنية ، مخطوط ١٦٤٢ ، مجموعة رسائل الحاج أحمد باى ومحمد باى ، رسالة ٣ •

(٣) 14 MI 228 ، سجل ١٣ ، ورقة ٥٤ •

عن ذاتها المستقلة وشخصيتها المميزة • وقد عرفت الدولةالاسلامية الراية منذ تأسيس نواتها الأولى فى المدينة[1] • وقد توارثت الدول الاسلامية المتلاحقة فى المشرق والمغرب ، استعمال الريات بعضها عن بعض • غير أن العثمانيين تفوقوا عن غيرهم من المسلمين فى الاهتمام بذلك ، حتى أصبحت الرايات أو السنجاقات (مفردها سنجاق كما يعبر عنها عندهم) مظهرا بارزا من مظاهر الحضارة الاسلامية •

وقد استعمل الجزائريون طوال العهد العثمانى رايات متعددة، منها ما اشتركوا فيه مع العثمانيين بحكم انتمائهم للدولة العثمانية، ومنها ما انفردوا به لاعتبارات خاصة بهم • وهذا ماعبر عنه الأسير الأمريكى " كاثكارت " فى مذكراته فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى عندما ذكر أن الجزائريين " يرفعون يوم العيد العلم التركى على القصر ، والعلم الجزائرى على التحصينات " [2] • وأضاف فى مكان آخر " أن القصر تغطيه شرفة بها سياج من القضبان المذهبة ، فى وسطها أعمدة للعلم الجزائرى وعلم الباشا ، أما العلم الاسلامى فيرفع يوم الجمعة والأعياد " [3] • وإذا كان " كاثكارت " قد صنف الرايات التى استعملها الجزائريون فى العهد العثمانى ، فانه لم يصف أية واحدة منها •

---

(١) Djevad Bey Ahmed, Etat Militaire Ottoman, p. 180

(٢) كاثكارت ، جيمس ليندز ، المصدر السابق ، ص ٣٢ •

(٣) نفس المصدر ، ص ٩١ •

ولقد كان " العلم التركى " هو نفسه " العلم الاسلامى "، ويقصد بـه الراية الخضراء • وقد أطلقت عليها لآنسة " بروغتون Brogton " (إبنه القنصل الأنجليزى " فرانكلى ") فى مذكراتها عام ١٨٠٩م، إسم " راية الكعبة " وذكرت أنها كانت ترفع فوق دار الامارة عند تعيين وال جديد [٢]، وكذلك فوق المساجد أيام الجمعة والاعياد بدل الراية البيضاء التى كانت ترفع فى الأيام الأخرى [٢] وكانت الراية الخضراء إحدى الشعارات الرسمية للدولة العثمانية، وذلك منذ عهد السلطان مراد الأول (٧٦١–٧٩١هـ / ١٣٦٠ – ١٣٨٨ م) [٣]، وظل العثمانيون يرفعونها فوق الحصون حتى القرن التاسع عشر [٤] •

أما الراية الأخرى التى كان استعمالها ملحوظا فى الجزائر فهى الراية الحمراء، وكان يوجد منها أربعة أشكال، اشترك الجزائريون فى إثنان منها مع الباب العالى وبعض الايالات العثمانية الأخرى، وانفردوا بالشكلين الآخرين كعلامتين خاصتين بهم •

---

(١) Bardoux, J., Lavie d'un Consul, in R.A., 4, p. 284

(٢) Venture de Paradis ، المصدر السابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ •
وراجع أيضا : Emerit, Marcel, Memoire sur Alger, A.I.E.O. 11/1953, p. 18

(٣) أحمد تيمور، تاريخ العلم العثمانى، ص ١٠ •

(٤) يستنتج ذلك من الراية الخضراء التى وجدها الفرنسيون مرفوعة فوق حصن المورة عندما دخلوه عام ١٨٢٨م، وقد غنموها وهى الآن محفوظة فى متحف الجيش الفرنسى بباريس، خزانة رقم ٢٨ •

وقـد تمثل الشكل الأول فى الرايـة الحمراء العادية ، التى تذكر بعض المصادر أنها كانت الرايـة الرسمية للايالة[١] ، وكانت هى نفسها التى ترفرف فوق حصن الأمبراطور (قرب مدينة الجزائر) عندما استولى عليـه الفرنسيون فى ٤ يونية ١٨٣٠م[٢] • ومما ينبغى ملاحظته هو أن هذه الرايـة كانت هى نفسها التى رفعتها سفن الأيالات المغربية الثلاث عام ١٧٩٨ م ، بحيث لا يمكن التمييز بينها[٣] • بل هى الرايـة نفسها التى كانت سفـن الأسطول العثمانى ترفعها بينما كان يجرى إعدادها فى ميناء الاسكندريـة عام ١٨٢٧م للتوجه إلى نافارين[٤] •

وتمثل الشكل الثانى فى الراية الحمراء المزينة بسيف ذى الفقـار والتى استعملها الجزائريون خلال القرن الثامن عشر الميلادى ، واستعملهـا الحاج أحمد باى قبيل استيلاء الفرنسيين على قسنطينة[٥] • ويرجع استعمـال هذه الرايـة فى الدولـة العثمانية إلى القرن السادس عشر الميلادى ، اذ تشير المصادر إلى أنها كانت إحدى الرايات التى رفعتها السفن العثمانية فى معركة

---

(١) نور الدين عبد القادر ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر ، ص ٨٧ •

(٢) Temimi Aodeljelil , le Bey lik de constantine, p. 76

(٣) Hugon, H. Les Emblemes des Beys de Tunis, p. 55.

(٤) Cattaoui, R. Le Regne de Mohamed Ali, TII, Doc 80

(٥) Temimi ، المصدر السابق ، ص ٧٦ •

ليبانتى عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م[(١)] •

أما الشكلان الآخران للراية ا لحمراء فقد انفردت بهما الأيالــــة وتمثل أحد هما فى راية حمراء رسم فى زاويتها العلوية من جهة الصارى وباللون الأبيض ، رأس بحار وكانت خاصة بالباشا • وتمثل الشكل الثانى فـــــى رايـــة رسم وسط لونها الأحمر ــ وباللون الأ بيض كذلك ــ ذراع بحـــــار مرفوع يحمل سيفا وبجانبه جمجمة وكانت خاصة بالأسطول[(٢)] •

بالاضافــة إلى الرايات المذكورة ، كان لتجار الجزائر ــ مثلهـــم مثل تجار المدن العثمانية الأخرى كاستانبول وإزمير ــ رايات خاصة بهم يمكـــن حصرها فى ثلاثة أشكال : الراية الأولى زرقاء رسم عليها ذراع بحار مرفـــوع يحمل سيفا[(٣)] ، والثانية مقسمة أفقيا إلى خمسة أقسام مصبوغة بثلاثة ألـوان هى : الأزرق والأحمر والأخضر ، ومرتبة كما يلى : أزرق أحمر ، آخضر ، ثم الأحمر والازرق مرة ثانية • وقــد اشترك الجزائريون فى هذه الراية مع التونسيين[(٤)] • أمـــا الراية الثالثة فكانت خاصة بالسفن التجارية التابعة للحكومــة وكانت مقسمة أفقيـا

---

(١) Kurtoĝlu, Fevzi, Sancgımız, S 22

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩ •

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٩ • وتوجد هذه الرايةمرسومة فى " البــــوم" محفوظ فى متحف البحرية التركية بإستانبول،خزانة رقم ٩٨٦ ، وفـى البوم آخر يرجع الى عام ١٧٧٥ • (ملك خاص) •

(٤) Kurtôglu ، المصدر السابق ، ص ٣٩ وراجع أيضــــــا : Hugon ، المصدر السابق، ص ٥٥ •

إلى ثلاثة أقسام مصبوغة من أعلى إلى أسفل كما يلى : أبيض ، أخضر ، أحمر ، ورسم فى القسم الأسفل منها (أى الأحمر) سيفان متقاطعان (١) .

ويمكن إضافة رايتين أخريين إلى تلك الرايات المتعددة ، إحداهما ذات لون كرزى وكانت (مثل الراية الحمراء المزينة برأس بحار والمشار إليهما) خاصة بالباشا كذلك (٢) . ويبدو أن إحدى هاتين الرايتين هى التى ذكر " كاثكارت " بأنها كانت تزين شرفة دار الامارة ونعتها بعبارة " علم الباشا " (٣) . أما الراية الأخرى فهى التى حملها الجزائريون فى معركة " أوستة والى " التي دارت بينهم وبين الغزاة الفرنسيين فى ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٥هـ/ ١٨ يونية ١٨٣٠م . وكانت مقسمة أفقيا إلى أربعة أقسام ملونة من أعلى إلى أسفل كالتالى : أحمر ، أخضر ، أبيض ، ثم أحمر مرة أخرة ، ورسم بالأبيض وسط لونها الأخضر مستطيل ممتد إلى جهة الصارى على شكل سهم وكتب داخله بالأبيض كذلك : " الله ولى التوفيق " (٤) .

---

(١) Kurtoğlu ، المصدر السابق ، ص ٣٩ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٩ .

(٣) كاثكارت ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(٤) غنم الفرنسيون تلك الراية من الجزائر عام ١٨٣٠م ، وهى موجودة الآن فى متحف الجيش بباريس ، قاعة الرايات .

رابعا : **الاتصالات الديبلوماسيـــة**

كانت اتصالات الباب العالى بالجزائر تتم بارسال الرسائل الـتى يطلق عليها إسم " فرمان " وذلك على غرار الايالات العثمانية الأخرى ٠ويمكن تصنيف تلك الفرمانات ـ بناء على مصادرها ـ إلى نوعين : فرمانات همايونيـة يصدرها السلطان ، وأخرى عادية يصدرها كبار الوزراء وفى مقدمتهم الصـدر الأعظم والقبودان باشا وأمين الترسانة ٠ وكان أهم مايميز فرمانات النـوع الأول احتواؤها على توقيع السلطان الحاكم (أى الطغرا) المرسوم بخط جميل ومتشابك ، فى القسم العلوى من الفرمان كدليل على علو مركز المرسل إليه ٠ ومن أجل هذا كان يشار إليها فى سجلات مدينة الجزائر بعبارة " فرمان همايون " أو " فرمان عاليشان " [1] ٠ كذلك كانت تتميز بعبارتها التى تأتى بصيغـة الأمر والالزام ، كما أن اصدارها لم يكن يحدث سوى فى الحالات القصـوى والمناسبات غير العادية ، كان يكون من أجل معالجة امر خطير ،أو لترسيم وال جديد ٠ وكنموذج لهذا النوع من الفرمانات تجدر الاشارة إلى الفرمان الـذى أرسله السلطان محمود الثانى إلى على باشا فى أوائل محرم ١٢٢٨هـ/أوائـل يناير ١٨١٣م لتسوية أحد الخلافات بين الايالـة وفرنسا ، حيث يقول :

" إن الجزائر هى أحـد أقاليم دولتى ٠٠٠وفرنسا هى أقـدم صديق مخلص لبابى العالى ، لذلك فإنه من الواجب أن يعامل رعاياهـا

---

(١) 228 MI 14 سجل ١٣ ، ورقـة ٦٢ ٠

برفق ••• وعليك (أى باشا الجزائر) أن توجه عنايتك واهتمامك لمنع حدوث كل ماهو مخالف للمعاهدات ، وتقدم للفرنسيين جميع المساعدات وتوفر لهم الحماية ، واحرص على الا يصدر منك أى سلوك مخالف لهذا الفرمان"[1].

وأما فرمانات النوع الثانى فكانت تأتى فى الدرجة الثانية من حيث الأهمية بعد الفرمانات الهمايونية •ومن أجل هذا لم يكن يشار إليها فى السجلات الادارية سوى بلفظ " قطعه " أو " مكتوب " أو " قائمه" [2] • وأهم ماكانت تتميز به هو عباراتها التى تأتى بأسلوب أقرب إلى الرجاء والالتماس منه إلى أسلوب الأمر ، ممايدل على ضعف سلطة المرسل على المرسل إليه . وكنموذج لهذا النوع من الفرمانات تجدر الاشارة إلى الفرمان الذى أرسله القبودان باشا سيد على الجزائرى فى منتصف محرم ١٢٢٣هـ/ ١٣ مارس ١٨٠٨م إلى أحمد باشا بخصوص تسوية خلاف وقع بين الايالة وفرنسا كذلك حيث يقول :

" إلى سعادة بكلربكى الجزائر حاليا ، الأمجد الأكرم الأسعد ولى النعمة سيدى وأخى الباشا صاحب المقام العالى :

" إن إيالة الجزائر تحظى بفضل مجاهديها فى سبيل الاسلام باحترام وتقدير الباب العالى وباقى الدول •• وأن الدولة الفرنسية التى تعد

---

(١) راجع نص الفرمان مترجما الى الفرنسية فى C.C./Alger مجلد ٤١ ، ورقة ٥٩ ، وراجع كذلك فرمان سليم الثالث إلى مصطفى باشا ، محرم ، ١٢١٥هـ فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٦ ــ ٨ •

(٢) 228 MI 14 ، سجل ١٣ ، ورقة ، ٤٩ ، ٧٢ •

أقــدم صديق للدولة العثمانية هى اليوم حليفة لها ، ومؤيدة للباب العالـى فى جميع القضايا، لهذا يجب توفير الأمن والحماية للقائم بالأعمال الفرنســى فى الجزائر وجميع أعضاء بعثته ... وتقديم المساعدة لهم لأداء مهامهم .

" إننا ندعوكم لتنفيذ هذه الأوامر بأمر صادر من السلطان ... وننصحكم ببذل كل جهدكم لتفوزوا برضائه ... ونتمنى أن تعلنوا طاعتكـم لهذا الأمر بحماس" .

وأما توقيع القبودان باشا على الفرمان فجاء بعبارة " صديقكـم المخلص سيد على الجزائرى " (١) .

وكانت الدول الأوروبية تقدر تماما مدى فعالية كل من هذين النوعين من الفرمانات على باشاوات الجزائر ، خصوصا فيما يتعلق بتسوية خلافاتها مـع الأيالـة . وهذا ماعبر عنه القنصل الفرنسى " دوبوا تانغيل " فى إحدى رسائله المؤرخة فى ١٩ نوفمبر ١٨٠٩م إلى حكومته عندما رفضت الايالـة الاستجابـة

---

(١) راجع نص الفرمان مترجما إلى الفرنسية فى : C.P/Turquie مجلد ٢١٦، ورقة ١٧٥ . وراجع كذلك فرمان القبودان دريا محمد خسرو باشا إلى حسين باشا ، صفر ١٢٤١ هـ فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقـة ٢٥ ـ ٢٦ ، وفرمان أمين الترسانة محمد صـادق إلى نفس الباشا ، ربيع الثانى ١٢٤٤، فى : نفس المصدر ، ورقـة ٦٠ ـ ٦١ .

لفرمان القبودان باشا بخصوص إطلاق سراح أحد رعايا فرنسا من مدينة " راقوسا " كان الجزائريون قد احتجزوا سفينته بسبب عدم تجديد رخصة سفره لدى الباب العالي والتي تعود إلى عهد السلطان سليم الثالث (أي قبل ١٨٠٧م) ، حيث ذكر:

" أن رفض الايالة الامتثال لأمر القبودان باشا يؤيد المقولة التي كنت أنادي بها والمتمثلة في عدم جدوى الفرمانات العادية عند الجزائريين ، إنني لم أوص بفرمانات القبودان باشا ، وإنما بفرمانات السلطان نفسه . ذلك لأن الفرمانات الموشحة بالخط الشريف (أي الطغرا) هي الوحيدة التي تحدث ضغوطا على الجزائريين وتؤثر عليهم . انني عندما عرضت فرمان القبودان دريا - على أحمد باشا - قوبلت بنفور شديد ، وقد بلغت لامبالاة الباشا به أنه رد علي بقوله : إن فرمان القبودان دريا لا يحتوي فقط على أوامر ملفقة ، بل هو فرمان مزور في حد ذاته ، وأضاف قوله (أي أحمد باشا) بأنه لا يجهل الأسلوب الذي يتم به الحصول على مثل تلك الفرمانات التي لا تكلف سوى بضعة قروش ليضع عليها خاتمه دون أن يكون هو نفسه (أي القبودان دريا) على علم بذلك " (١) .

وختم القنصل رسالته مخاطبا وزير خارجية بلاده قائلا : " إنني أطلب منكم أن ترسلوا أوامركم إلى سفيرنا في استانبول ليعمل على إصدار فرمان

---

(١) راجع نص الرسالة في : C.C.C/Alger ، مجلد ٣٩ ورقة ٣٩١ - ٣٩٢ .

يحمل الخط الشريف ... وهذا هو الأسلوب الوحيد الذي يجب أن نتبعه في تسوية خلافاتنا التي يتدخل فيها الباب العالي ، مع الايالة" [١] .

وفيما يتصل بإرسال الفرمانات إلى الجزائر ، فإن القبودان دريا كان يعد المسئول الأول عن ذلك ، ولم يكن يجوز لغيره من وزراء الباب العالي أن يكلف بهذا العمل . وقد حدث عام ١٨٢٣م أن تمكن السفير الفرنسي في استانبول من اقناع الصدر الأعظم علي باشا باصدار فرمانات إلى الايالات المغربية الثلاث يطلب من ولاتها عدم التدخل في الخلاف الذي نشب بين فرنسا وإسبانيا . ولضمان وصول الفرمانات ـ حسب اعتقاد السفير الفرنسي ـ طلب السفير المذكور من الصدر الأعظم أن يسلمها إليه ليتولى إرسالها بنفسه ، فرد عليه هذا الأخير بان القبودان باشا هو المسئول الوحيد عن العلاقات مع الايالات المغربية والمشرف على الاتصالات بينهما وبين الباب العالي ، ولذلك فلايحق لغيره أن يتولى ارسال الفرمانات إليها [٢] .

وكان الرسل المكلفون بحمل الفرمانات من استانبول إلى الجزائر غالبا ما يختارون من فئتين من حرس الباب العالي ، وذلك إما من الجاوشية [٣] (وهم جنود يختارون من الفرقة الانكشارية لتوكل إليهم مهمة نقل الأوامر إلى

---

(١) نفس الرسالة في : C.C.C/Alger ، مجلد ٣٩ ، ورقة ٣٩١ ـ ٣٩٢ .

(٢) رسالة من السفير الفرنسي ، ٣ نوفمبر ١٨٢٣ ، في : C.P/Turquie ، مجلد ٢٣٧ ، ورقة ٢٧٢ .

(٣) 228 MI 14 ، مسجل ١٣ ، ورقة ٤٩ .

قادة الجيش خلال المعارك ، وإلى حكام المقاطعات زمن السلم ، وكان للصدر الأعظم والقبودان باشا عدد منهم) [١] ، أو من " القبوجية " [٢] (وهم حرس خاص بالسلطان ويستخدمون كرسل فى الحالات المستعجلة) [٣] .

وكان يحدث أحيانا أن تعترض علاقات الايالة بالباب العالى قضايا صعبة لايستطيع أحد هؤلاء الرسل أن يعالجها ، فيرسل الباب العالى سفارات تضم عددا كبيرا من الموظفين والضباط على متن إحدى سفن الأسطول الهمايونى إلى الجزائر . وذلك مثلما حدث عام ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م بخصوص السفارة التى ترأسها سليم ثابت أفندى والمكونة من إثنين وثلاثين شخصا [٤] .

هذا فيما يتعلق باتصالات الباب العالى بالايالة ، أما فى حالة العكس ، فإن الباشا فى الجزائر كان ملزما بتحرير تقارير مفصلة (يطلق عليها " عرض حال ") عن كل مايحدث فى الايالة ويطرأ على وضعها السياسى أو العسكرى أو الاقتصادى أو الأمنى . وكانت تلك التقارير ترسل إلى

---

(١) D'ohsson, Mouradgea , Tableau général de l'Empire Ottoman, TIII , p. 396.

(٢) 228 MI 14 ، ، سجل ١٣ ، ورقة ٧٢ .

(٣) Gibb, H. R. and Bowen, H., Islamic society and the West , Vol I, part I, pp. 83-87

(٤) تابع القنصل الفرنسى " دوبوا تانفيل " أحداث هذه السفارة منذ قدومها إلى الجزائر حتى عودتها إلى استانبول ، وذكر تفاصيل دقيقة حولها فى رسالته المؤرخة فى ٢١ أغسطس ١٨١٢ ، فى C.C.C/ Alger ، مجلد ٤٠ ، ورقة ٢٥٧ ـ ٢٥٩ .

الصدر الأعظم والقبوادن باشا اللذين يقومان بإطلاع السلطان عليها [1] .

وكانت الاتصالات تتم فى الحالات العادية بارسال مثل تلك التقارير المفصلة (عرض حال)، أما فى الحالات التى تستوجب محادثات ومشاورات مع وزراء الباب العالى وأحيانا مع السلطان نفسه ، فإن الباشا كان يضطر إلى إرسال سفارات إلى استانبول للقيام بذلك . ومن أهم سفارات الجزائر إلى الباب العالى فى أواخر العهد العثمانى كانت السفارة التى أرسلها عمر باشا فى أواخر شوال ١٢٣١ هـ / أوائل سبتمبر ١٨١٦م ، وترأسها قائد الميناء (على رئيس) لتحمل إلى السلطان محمود الثانى تقرير الباشا حول أحداث الحملة البريطانية على الجزائر فى نفس السنة [2] . ثم السفارة التى أرسلها حسين باشا فى أواخر جمادى الأولى ١٢٣٦هـ / أوائل مارس ١٨٢١م وترأسها حسين قبودان ، استجابة لأمر السلطان بخصوص مناقشة قضية العوائد التى كانت الجزائر تطالب تونس وطرابلس بدفعها إليها ، مما أدى إلى نشوب نزاع خطير بينها (أى الجزائر) وبين الايالتين المذكورتين (أى تونس وطرابلس) [3] .

---

(١) كنماذج لتلك التقارير راجع تقرير حسين باشا إلى الصدر الأعظم فى جمادى الأولى ١٢٤٣هـ/ ديسمبر ١٨٢٧م فى : Kuran المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، ١٩٥ ، وكذلك تقرير عمر باشا إلى القبودان دريا فى ٥ رجب ١٢٣٠هـ/ ١٦مايو١٨١٦، فى د . عبد الجليل التميمى ، بحوث ووثائق فى التاريخ المغربى ، ط١، ص ٢٤٥ـ ٢٤٧ ، وشكل ٣٢ .

(٢) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٨سبتمبر ١٨١٦، فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٤٢ .

(٣) رسالة من نفس القنصل ، ٣مارس ١٨٢١ فى : C.C.C/Alger مجلد ٤٥ ، ورقة ٢٩٥ .

خامسا : علاقات عامة أخرى

وعلاوة على العناصر السالفة الذكر يمكن اضافة عناصر أخرى لا تقل عنها أهمية فى موضوع العلاقات بين الجزائر والباب العالى ، ومن بينها الوكلاء الذين كانت الايالة تحتفظ بهم فى المدن العثمانية المهمة • وكان أهمهم جميعا وكيلها فى العاصمة استانبول الذى يطلق عليها " قبو كتخداسى " أو " قبو كاهيه سى " (أي وكيل الباشا لدى الباب العالى)، وذلك مثلها مثل جميع المقاطعات العثمانية الأخرى [1] • وكان والى الجزائر مثل بقية الولاة – هو الذى يتولى تعيين هذا الوكيل [2] الذى كانت مهامه تتمثل فى مراقبة قضايا الايالة التى تطرح على مستوى الباب العالى وتقديم التوضيحات الممكنة بشأنها للوزراء والموظفين الذين يهمهم الأمر • ولهذا كان الباشا يحرص على إفادته بالمعلومات المتعلقة بالأوضاع فى الايالة • وعلى ضوء معلومات بعض المصادر يمكن فهم أن المراسلات كانت مستمرة بينه وبين الباشا ، وكان سليم ثابت أفندى (الذى سبق ذكره) آخر من تولى تلك الوظيفة [3] .

---

(١) Mantran, Robert, inventaire des documents d'archives turcs de Dar Elbey , p. XXXVI

وراجع أيضا : Thornton, Th, Etat actuel de La Turquie, TI, pp. 401-402.

(٢) Pakalin ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٧٦ •

(٣) رسالة من الحاج خليل فى إزمير إلى حسين باشا ، ٢٢ شعبان ١٢٤٤ هـ فى : مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٦٥ ، وراجع أيضا رسالة أخرى ، ٢٥ ذى الحجة ١٢٤٤ ، فى : نفس المصدر ، ورقة ٧٣ =

وفيما يتصل ببقية الوكلاء الموزعين على المدن الاقليمية فى الدولة العثمانية ، فقد كانت مهامهم متشابهة مع مهام قناصل الدول الأوروبية . وتمثلت تلك المهام فى إدارة مصالح الايالة التجارية وحمايتها والاشراف على الشئون المتعلقة بها فى المدن التى يقيمون فيها . وعلى سبيل المثال فقد اشترك وكيل الايالة فى مدينة (خانية) بجزيرة " كريت " (والمدعو حسين) ، مع وكيلى تونس وطرابلس فى توقيع رخصة سفر منحت لأحد البحارة (ويدعى مصطفى قبودان) حتى لا يتعرض له رؤساء البحر التابعين للايالات الثلاث فى حالة تصادفه معهم فى البحر المتوسط[١] . وفى ٣ رجب ١٢٤٢ هـ / ٣١ يناير ١٨٢٧م أرسل وكيل الايالة فى نفس المدينة (وهو على خوجه) إلى حسين باشا يخبره بمحاصرة اليونانيين للمدينة المذكورة ويرجوه إرسال مساعدات غذائية لسكانها لانقاذهم من خطر المجاعة[٢] .

وكان هؤلاء الوكلاء ملزمين بإرسال تقارير إلى الباشا فى الجزائر يعرضون فيها القضايا المتعلقة بمهامهم والأخبار التى تصل إليهم حول الأحداث فى الدولة العثمانية والتى كان الباشاوات يولونها اهتماما كبيرا . ويستطيع الباحث أن يطلع من خلال تلك التقارير على أخبار تاريخية مهمة مثل أخبار حرب اليونان وإصلاحات السلطان محمود الثانى والحرب الروسية العثمانية فى العقد الثالث من القرن التاسع عشر الميلادى[٣] .

= وكذلك : 14 MI 228 ، سجل ١٣ ، ورقة ٦١ ، ٧٢ ، وأيضا : Kuran ، المصدر السابق ، ١٨٨ .

(١) أرشيف دار الباى ، صندوق ٢٢٣ ، ملف ٣٨٥ وثيقة ٣٦ / ٣٧ .

(٢) مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٢٩ .

(٣) راجع مراسلات هؤلاء الوكلاء فى : مراسلات دايات الجزائر .

أما أهم المدن التي كان يوجد بها هؤلاء الوكلاء فهي :
إزميروخانية والاسكندرية والقاهرة وطرابلس الغرب وتونس والمورة وجزيرة رودس .
ويستنتج من مراسلاتهم أن وكلاء الايالة في تونس والاسكندرية وإزمير، كانوا يشكلون خطا بريديا مهما يضمن لها إتصالاتها بأطراف الدولة العثمانية وبصفة خاصة استانبول . وكان دور هذا الخط يبرز أكثر خلال الأحداث الخطيرة التي تجتاح البحر المتوسط من حين لآخر وتؤثر على الملاحة فيه ، مثلما حدث خلال حرب اليونان .

ويتمثل العنصر المهم الآخر في " صرة الحرمين الشريفين " التي خصها الجزائريون كغيرهم من المسلمين في الدولة العثمانية ، بأوقاف كثيرة[١]. وكانت عوائد تلك الاوقاف تجمع كل سنة (من قبل وكلاء الأوقاف الموجودين في مختلف أنحاء الايالة ويتبعون " وكيل الحرمين " المقيم في مدينة الجزائر) [٢] وترسل إلى " شريف مكة " رفقة وفد خاص يعين لهذا الغرض ويرافق قافلة الحجيج التي تتوجه إلى الحجاز ، ويطلق على رئيسه " أمين الصرة " الذي غالبا مايكون أحد وزراء الباشا مثل " بيت المالجي " [٣] . وكان يقوم مقام " صرة أميني " في استانبول [٤] ، و" أمير الحج في مصر " [٥] .

---

(١) Chaillou, L'ancien, L'Algerie en 1781, p. 31
وكذلك : Devoulx, A, Notes his Toriques sur Les mosquées .... d'Alger, in R.A. 4/1859, pp 470-471

(٢) ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق، ص ١٤٦ .

(٣) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٤) Pakalın ، المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٨٣ .

(٥) د . ليلى عبد اللطيف ، المصدر السابق ، ص ١٣٤ـ ١٣٥ ، ١٤٠ .

وكانت محتويات الصرة تقيد فى قائمة وتسلم الى " أمين الصرة " ليحملها معه ، وعليه أن يعيدها -عند رجوعه من الحجاز- إلى الباشا وعليها توقيع " شريف مكة " كدليل على استلامه لمحتوياتها كاملة غير منقوصة (١).

وكانت الصرة فى حقيقتها أحد مظاهر التضا من الاسلامى فى العهد العثمانى ، وكان الجزائريون يعدونها واجبا لا يمكن التخلى عنه حتى فى الظروف الصعبة ، مثلما حدث قبيل الهجوم الفرنسى على مدينة الجزائر عام ١٨٣٠م (٢) .

ويمكن فى هذا المجال إضافة عناصر أخرى لا تقل أهمية عن سابقاتها ، وتتعلق بالسلطان العثمانى الذى كان الجزائريون يعتبرون الولاء له بمثابة القوة التى تشدهم سياسيا إلى العالم الاسلامى وتقوى انتماءهم إليه . وكان من أبرز تلك العناصر الدعاء له فى خطب الجمعة والأعياد . وكان إصرار أهل الجزائر على الاستمرار فى الدعاء للسلطان فى المساجد بعد سقوط مدينة الجزائر فى يدى الجيش الفرنسى ، هو الذى أدى بالجنرال " كلوزيل " إلى عزل بعض العلماء من مناصبهم فى المساحد والمحاكم ونفيهم إلى المشرق ، وكان من بينهم المفتى الحنفى سيدى محمد بن العنابى والمفتى المالكى سيدى محمد بن الكبابطى اللذان لجآ إلى الاسكندرية (٣) .

---

(١) ناصر الدين سعيدونى ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٢) أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص ١٧٠ ،

(٣) على رضا باشا ، مرآت الجزائر ، ص ٨٩ - ٩٠ . ولم يكن الدعاء للسلطان العثمانى فى المساحد مقتصرا على مدينة الجزائر =

كما ظلت العملة الجزائرية كذلك تضرب باسم السلطان العثماني وقد لوحظ ذلك على عدد من النقود الفضية يرجع بعضها إلى عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣ ـ ١٢٥٥ هـ/ ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩) • وقد كتب على إحداها " سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان بن السلطان محمود خان عز نصره " وكتب على وجهها الثاني " ضرب في جزاير ١٢٣٨ " ، واكتفى على وجه قطعة أخرى صغيرة بعبارة " محمود خان عز نصره " وكتب على وجهها الثاني " ضرب في جزاير ١٢٢٧ "[١] •

وإلى جانب ذلك نجد مراسلات الباشاوات مع ملوك ووزراء الدول الأوروبية والتي كانت تتم كذلك باسم السلطان في أغلب الأحيان • وكان يراعى في كتابة الرسائل ترتيب دقيق بخصوص ذكر الأسماء ، حيث يأتي في البداية إسم الجلالة ثم إسم السلطان وبعده إسم المرسل وهو الباشا ، وفي النهاية إسم المرسل إليه • ويزين أعلى الرسالة بتوقيع الباشا الشبيه في شكله بتوقيع السلطان[٢] •

= والمدن القريبة منها فقط ، بل كان يشمل حتى المدن البعيدة في الجنوب ، مثل " ورقلة " راجع د • مولاى بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، ص٨٤ •

(١) ناصر الدين سعيدوني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ •

(٢) لوحظ ذلك على رسالة باللغة العثمانية من حسين باشا إلى ملك بريطانيا في ٢٥ شعبان ١٢٠٨ هـ/ ٢٨ مارس ١٧٩٤ م ، في : F.O. 95 ، مجلد ١/ ٣ ، ورقة ١٩٢ • كما لوحظ =

وهكذا فانه على الرغم من الطابع الاستقلالى الذى تميزت به علاقات الجزائر بالباب العالى ، فقد كانت هناك بعض العناصر الأساسية التى حدت من ذلك الاستقلال وجعلته يتحرك داخل إطار الدولة العثمانية .

= على رسالة أخرى باللغة العربية ويختلف توقيعها عن توقيع الرسالة الأولى ، أرسلها حسن باشا إلى وزير خارجية فرنسا فى شوال ١٢٣٧ هـ / يولية ١٨٢٠م ، فى : C.C.C/Alger ، مجلد ٤٦، ورقة ٩٨ .

الفصل الخامس

العلاقات الخارجية ((السياسية والعسكرية))
بين الجزائر والباب العالي

اولا : الجزائر والاحتلال الفرنسي لمصر ١٧٩٨ – ١٨٠١م.*

ثانيا : الباب العالي والجبهة الاوربية ضد الجزائر *

ثالثا : الباب العالي والنزاع الفرنسي الجزائري ١٨٢٧ – ١٨٣٠ م *

تناولت الدراسة فى كل ماسبق ما يمكن أن يطلق عليه اسم " العلاقات الداخلية " بين إيالة الجزائر والباب العالى • إلا أن ثمة جانبا مهما من العلاقات بين الجانبين من الضرورى الالتفات إليه ومعالجته ويقصد بذلك العلاقات العسكريةوالسياسية التى يمكن أن يطلق عليها تجاوزا إسم " العلاقات الخارجية " • ولما كان الهدف الجوهرى من الدراسة هو التعرف على عناصر العلاقات بين الايالة والباب العالى فقط ، فان هذا الجانب من العلاقات الخارجية اقتصرعلى حيز أقل فى هذه الدراسة نظرا لتورط أطراف أخرى فيه غير الباب العالى والجزائر • وقد تناولت تلك العلاقات النقاط التالية :

أولا : الجزائر والاحتلال الفرنسى لمصر ١٧٩٨ – ١٨٠١م

مهما تباينت الدوافع التى كانت وراء حملة نابليون على مصر (فى ١٧محرم ١٢١٣ هـ/ ٢ يولية ١٧٩٨م) ، واختلفت وجهات النظر حولها فإنها كشفت فى جميع الحالات عن قرب انتهاء الدولة العثمانية كقوة عظمى وضعف دورها فى صنع العلاقات الدولية الذى شرع ينتقل إلى الدول الأوروبية • كما أثبتت الحملة عجز الدولة العثمانية عن حماية أراضيها من خطر التنافس الاستعمارى الذى أخذ يحتدم بين تلك الدول • وعلاوة على ذلك فإن الحملة كانت بمثابة امتحان للباب العالى حول مدى متانة علاقاته بالايالات المغربية وقدرته على إملاء إرادته على ولاتها • وإذا كان ذلك شأن الاحتلال الفرنسى لمصر بالنسبة للدولة العثمانية ، فقد كان بالنسبة للايالات المغربية تهديدا مباشرا لاتصالاتها بالعاصمة العثمانية

ولحرية تنقل رعاياها نحو المشرق ، كما كان دليلا كافيا لاثبات المجال الواسع الذى احتلته تلك الايالات على خريطة المخططات الاستعمارية للدول الأوروبية ، ومن ثم تتضح أهمية تضامنها مع الباب العالى من أجل تخليص مصر من الاحتلال الفرنسى •

وقد حكمت ثلاثة عوامل رئيسية دور الجزائر فى إطار التضامن مع الباب العالى ، تمثل أول تلك العوامل فى علاقة الجزائر بالدولة العثمانية نفسها باعتبارها (أى الجزائر) إحدى إيالاتها • وتمثل العامل الثانى فى موقع الجزائر الجغرافى الذى جعلها قادرة على التحكم فى الحركة البحرية بين شرقى وغربى البحر المتوسط ، وبالتالى قدرتها على التأثير فى الوجود الفرنسى فى مصر • أما العامل الثالث فقد تمثل فى العلاقات التى كانت بين الجزائر وفرنسا ، إذ كانت الجزائر دائنة لفرنسا بمبالغ مالية ضخمة ، علاوة على رفض الافراج عن بعض سفنها التجارية التى استولى عليها القراصنة الفرنسيون ، وهما القضيتان اللتان طلب والى الجزائر مصطفى باشا من الحكومة الفرنسية تسويتها مع الايالة قبل أن يتوجه نابليون بحملته الى مصر ببضعة أيام فقط[1] • أما فرنسا فقد كانت لها مصالح واسعة على السواحل الجزائرية كانت تعمل على المحافظة عليها لحماية شركاتها من الأضرار التى يمكن

---

(١) راجع رسالته الى الحكومة الفرنسية فى : Plantet, Eugene, Corresppndance des deys d'Alger TII, pp. 476-478.

أن تلحــق بها فى حالــة تهديد تلك المصالح [١] •

وقــد أدرك الباب العالى بعد تقويمه لتلك العوامل ، أهمية الدور الذى يمكن للجزائر أن تؤديه فى الحرب الدائرة بينه وبيــن فرنسا ، غيــر أن تقويمه للعامل الثالث منها كان غير مكتمل عندما اقتصر — فيما يبدو — علــى الجانب الثانى منه فقط والمتمثل فى المصالح الفرنسية فى الجزائر ، والتى رأى أن ضرب الجزائريين لها يعد حربا اقتصادية مؤثرة على فرنسا • وهذا ماجعل رؤيــة الباب العالى غيــر مطابقة لرؤية مصطفى باشا الذى كان اهتمامــه منصبا على الجانب الأول المتمثل فى المصالح الجزائرية فى فرنسا والتى كــان للتاجرين الجزائريين اليهوديين " بكرى " و " بوشناق " نصيب كبير فيها •

ومهما كان الأمر فقد أرسل الباب العالى إلى والى الجزائر فرمانــا مؤرخا فى أواخر صفر ١٢١٣ هـ / منتصف أغسطس ١٧٩٨ م ، أخبره فيــه بــأن احتلال نابليون لمصر قــد قوض قواعد السلم الذى كان قائما بين الدولــة العثمانيــة وفرنسا ، ومن أجل ذلك قرر السلطان أن يعلن الحرب عليها [٢] • وحتى يبعده عن مصيدة الدعايــة الفرنسية المضللة ، نصحه بالالتزام باليقظــة

---

(١) حول نشاط الشركات الفرنسية فى الجزائر راجع : د • محمــد العربى الزبيرى ، التجارة الخارجية للشرق الجزائرى ، ص ١٩٣ — ٢٥٤ •

(٢) يوجد قسم من الفرمان فى : İlter , A. Samih, Şimali Afrika'da Turkler, Cild 2, S 74-75 ، وأما نصه الكامــل فيوجد مترجما الى الانجليزية فى : لندن ، دار المحفوظــات البريطانية ، F.O. 78 ، مجلد ٢١ ، ورقة ٢٩٦ — ٢٩٨ •

وعدم تصديق الادعاءات التى تروج لها فرنسا والرامية إلى بث البلبلة والفوضى فى الولايات العثمانية ، كما كشف له عن خطة فرنسا الاستعمارية الرامية إلى احتلال الجزائر أيضا [١] .

أما بالنسبة للاجراءات العسكرية التى رأى الباب العالى ضرورة قيام الايالة بها فقد تضمن الفرمان الأمر بتعزيز الحصون وإعداد الجنود من أجل تقوية الدفاع عن الايالة ، وكذلك إرسال السفن الحربية إلى عرض البحر المتوسط لاعتراض السفن الفرنسية المتنقلة بين مينائى " تولون" والاسكندرية [٢] ،وفى النهاية طلب الباب العالى من مصطفى باشا أن يرسل إليه تقريرا عن الايالة ويبين له فيه مدى استعدادها للحرب [٣] .

وقد وصل فرمان الباب العالى إلى الجزائر فى ٢٩ جمادى الأولى / ١٠ أكتوبر من نفس السنة [٤] ، أى بعد شهرين من تاريخ كتابته ، إلا أنه لم يحدث أى تأثير على موقف مصطفى باشا إزاء فرنسا . والدليل على ذلك أنه حدث فى أواسط جمادى الثانية / أواخر اكتوبر أن تمكنت سفينة

---

(١) نفس الفرمان السابق .

(٢) نفس الفرمان .

(٣) نفس الفرمان .

(٤) باريس ، أرشيف وزارة الخارجية ، رسالة من القنصل الفرنسى فى الجزائر ، ١٢ اكتوبر ١٧٩٨ ، فى : C.C.C/ Alger مجلد ٣٤ ، ورقة ٢٣٨ .

فرنسية من الفرار من قبضة سفن القرصنة البريطانية والتجأت إلى ميناء عنابة (شرقى الجزائر) ، فوضعها قائد الميناء تحت حراسة مشددة ومنع حتى نائب القنصل الفرنسى من الصعود إليها لعلمه (أى قائد الميناء) بتوتر العلاقات بين فرنسا والدولة العثمانية [1] . ولما أخبر القنصل الفرنسى (مولتيدو) الباشا بالحادثة ، أرسل يأمر قائد الميناء بعدم التعرض للفرنسيين وإعطائهم حرية التنقل العادية فى عنابة . وفى نفس الوقت أرسل يخبر " موليتدو " بأن الايالة لن تعلن الحرب على بلاده ما لم تتعرض لها بسوء [2] .

وبعد أن قرر الباب العالى إعلان الحرب على فرنسا وإرسال الجيش العثمانى إلى مصر لتخليصها بالقوة من سيطرة نابليون ، تخوفت فرنسا أن تحذو الجزائر (ومعها تونس وطرابلس) حذوه وتعلن الحرب هى الأخرى عليها . ومن ثم أرسلت وزارة الخارجية الفرنسية فى ١٩ ديسمبر منشورا إلى القناصل الفرنسيين فى الايالات الثلاث دعتهم فيه إلى إبلاغ ولاتها بأن إعلانهم للحرب على فرنسا إلى جانب الباب العالى سيجرهم حتما إلى التحالف مع بريطانيا وروسيا اللتين تسعيان للسيطرة على البحر المتوسط ، مما يقلص نفوذ الايالات المغربية ويحرمها من مصادر دخل غنية وفى مقدمتها القرصنة ،

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسي ، ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ ، فى C.C.C / Alger ، مجلد ٣٤ ، ورقة ٢٤٣ ـ ٢٤٤ .

(٢) نفس الرسالة .

وأن حياد هم سيؤدى إلى تحويل القسم الأكبر من تجارة البحر المتوسط إلى الموانىء المغربية ، لأن الحرب مع الدولة العثمانية ستقضى على نشاط اليونانيين التجارى وتحوله إلى رعايا الايالات الثلاث[١] .

ولقد جاء التحرك الفرنسى متزامنا مع تحرك الباب العالى الذى وصل مبعوثه إلى الجزائر فى نفس اليوم الذى كتب فيه المنشور الفرنسى (أى ١٩ ديسمبر) [٢] . وفى الفرمان الذى حمله المبعوث العثمانى أمر الباب العالى والى الجزائر بإعلان الحرب على فرنسا والقبض على قنصلها وجميع رعاياها وسجنهم[٣] . وذكر الفرمان أن الهجوم على مصر يعد اعتداء صارخا على الدولة العثمانية وانتهاكا لحقوق رعاياها المسلمين الذين أصبح عدد كبير منهم أسرى فى أيدى الفرنسيين ، ولهذا فان الايالة ملزمة بالمشاركة فى الحرب التى تخوضها الدولة العثمانية ومعها بريطانيا ضد فرنسا ، وذلك بإرسال سفنها الحربية إلى البحر المتوسط لمشاركة الأسطولين العثمانى والبريطانى فى البحث عن السفن الفرنسية واحتجازها

---

(١) أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، C.P./Turquie ، مجلد ١٩٩ ورقة ٤٢ .

(٢) رسالة من وكيل إسبانيا فى الجزائر الى الحكومة الفرنسية ، ٣٠ ديسمبر ١٨٩٨ ، فى : C.C.C/Alger ، مجلد ٣٤ ، ورقة ٣١٠ ـ ٣١١ .

(٣) راجع نص الفرمان فى : دوفول ، البير ، الرايس حميدو ، ترجمة د . محمد المغربى الزبيرى ، ص ٣٢ ـ ٣٤ .

أو إحراقها [١] . ولكي يعبر السلطان سليم الثالث (١٢٠٣ ـ ١٢٢٢ هـ / ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧م) لمصطفى باشا عن ثقته بـه ويشجعه على التراجع عـن موقفه " الموالي " لفرنسا أرسل إليه رموز الولايـة ، مع أنـه (أى مصطفى باشا) لم يكن قـد قام بعد بإرسال الهدية إليه [٢] .

وعند مناقشة الفرسان فى الديوان طلب بعض الأعضاء وفى مقدمتهم الخزنجى و" يالى وكيل حرج " باتباع سياسية الحياد فى النزاع بين الدولـة العثمانية وفرنسا ، إلا أن المبعوث العثمانى وجـه إليهم اللوم وهدد بنقـل خبرهم إلى السلطان باعتبارهم خونـة . وعقب هذه الوقفة المتشددة مـن المبعوث العثمانى صدر قرار بقطع العلاقات مع فرنسا وإعلان الحرب عليهـا تنفيذا لأمر الباب العالى [٣] . فقبض على القنصل " مولتيدو " والرعايـا الفرنسيين فى مدينة الجزائر وأغلقت منازلهم ، كما أرسلت الأوامر إلى المـدن الساحلية لاتخاذ نفس الاجراءات ضـد الفرنسيين المقيمين فيها [٤] . وفـى ٢٥ ديسمبر خرجت ست سفن من ميناء الجزائر للبحث عن السفن الفرنسيـة

---

(١) نفس الفرمان السابق ، فى : دوفول ، المصدر السابق ، ص ٣٢ ـ ٣٤ .

(٢) رسالة وكيل إسبانيا السابقة ، فى : C.C.C/Alger مجلد ٣٤ ، ورقـة ٣١٠ ـ ٣١١ .

(٣) رسالة من شقيقة مستشار القنصل الفرنسى ، ٢٣ ديسمبر ١٧٩٨ ، فى : نفس المصدر ، ورقـة ٣٩٥ .

(٤) رسالـة وكيل إسبانيا السابقة ، فى : نفس المصدر ، ورقة ٣١٠ ـ ٣١١ .

مع أمر من الباشا بالقبض على جميع الفرنسيين حتى وإن وجدوا على متن سفن تابعة لدول أخرى غير فرنسا ، كما وجه مصطفى باشا رسائل إلى كل من والى تونس ووالى طرابلس وكذلك سلطان فاس طلب منهم فيها أن يتضامنوا مع الدولة العثمانية ضد فرنسا [1] .

ومع مطلع عام ١٧٩٩م انتشر خبر إعلان الجزائر للحرب على فرنسا في مدينة مرسيليا و" أثار ذعرا شديدا بين التجار ... وأصبح من المتعذر على السفن الخروج من الميناء (أى ميناء مرسيليا) خوفا من السفن الحربية الجزائرية التى أصبحت تغير على السواحل الفرنسية" [2]. وفى شهر أبريل ١٧٩٩م اعترضت السفن الجزائرية سفينة فرنسية كانت قادمة من جزيرة " كورفو " (الواقعة غربى المورة) إلى ميناء " تولون " وعلى متنها عدد من الضباط والجنود مع عائلاتهم ، واقتيدت بمن عليها إلى تونس ومنها إلى الجزائر [3] . وازدادت بعد ذلك الضغوط على فرنسا حتى قلت المواد فى موانئها الجنوبية وصعبت اتصالاتها بقواعدها العسكرية فى مالطة

---

(١) نفس رسالة وكيل إسبانيا السابقة ، فى C.C.C/Alger ، مجلد ٣٤ ، ورقة ٣١٠ — ٣١١ .

(٢) رسالة من الوكيل التجارى لمدينة مرسيليا ، ٣١ يناير ١٧٩٩، فى نفس المصدر ، ورقة ٣٠٩ — ٣١٩ .

(٣) رسالة من القنصل الفرنسى فى تونس ، ٣٠ أبريل ١٧٩٩، فى :
Plantet, Eugene, Correspondance des Beys de Tunis, TIII, doc 730, p. 387.

ومصر [١] • أما فى الجزائر فإن الناس أصبحوا يترقبون باستمرار وصول أنباء انهزام الفرنسيين فى مصر • ولما وصل فى ١٥ رجب ١٢٢٤هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٩م خبر محاصرة الجيش العثمانى للجيش الفرنسى فى القاهرة ، أمر مصطفى باشا باطلاق المدافع تعبيرا عن الابتهاج [٢] •

ولكن سرعان ما أصبحت الأمور مواتية لفرنسا لاصلاح علاقاتها مع الايالة عندما تأزمت علاقاتها (أى علاقات الايالة) مع الباب العالى بسبب رفض الباشا أمر السلطان بالافراج عن بعض السفن اليونانية المحجوزة فى الجزائر [٣] • وفى ١٩ يولية ١٨٠٠ م ، تمكنت فرنسا من عقد " هدنة غير محدودة Armistice Illimité " مع الجزائر [٤] • وفى سبتمبر عقدت بين الجانبين معاهدة صلح أعادت الايالة بمقتضاها للشركات الفرنسية مراكزها التجارية وسمحت للرعايا الفرنسيين بممارسة نشاطاتهم العادية فى الجزائر ، كما أوقفت جميع العمليات العسكرية ضد فرنسا وأعادت الاعتبار

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسى الأسبق فى الجزائر (فالليير) ، مايو ١٧٩٩ فى : C.C.C/Alger ، مجلد ٣٤ ، ورقة ٣٦٠ •

(٢) Féraud , Charles, Ephemaire d'un secretaire, in R.A. 18/1874, p. 306

(٣) تقرير إلى نابليون ، يناير ١٨٠٠ ، فى: C.P/Turquie ، مجلد ٢٠١ ، ورقة ٢٧٧ •

(٤) راجع نص الهدنة فى الصحيفة الرسمية للحكومة الفرنسية Le Moniteur ، عدد ٣٤٤ ، ٣١ أغسطس ١٨٠٠ ، ص ١٣٨٢ •

لوكيلها فى مدينة الجزائر[١] .

وقد استاء الباب العالى للمعاهدة وأرسل فى أواخر يناير ١٨٠١م إلى والى الجزائر يهدده بمنع وصول المجندين إلى الايالة واحتجاز سفنها فى الموانئ العثمانية مالم يقم بالغاء تلك المعاهدة واعلان الحرب على فرنسا[٢] . فاستجاب مصطفى باشا لأمر الباب العالى وألغى المعاهدة المذكورة وطرد الوكيل الفرنسى " دوبوا تانفيل " وجميع رعايا بلاده من الجزائر[٣] ، كما أطلق سراح مائتين وأربعة وستين أسيرا بريطانيا وعددا من السفن التابعة لهم والتى احتجزها الجزائريون بين سنتى ١٧٩٧ ــ ١٨٠٠م[٤] ، وفى نفس الوقت أرسل يخبر القبودان باشا فى استانبول بتنفيذ أوامره[٥] .

---

(١) Deheran, Henri, La Mission du .... Bubois Thainville, in R.H.C / 1926, P. 94-95.

(٢) راجع نص الفرمان فى : دوفول ، ألبير ، المصدر السابق ، ص ٣٦ ــ ٤١ .

(٣) Berbrugger, A ndré, La Régence d'Alger, in R.A. 16/1872, p. 130.

(٤) راجع قائمة تلك السفن فى : F.O. 3 ، مجلد ٩ ، ورقة ٥ .

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع الفصل الرابع ، ص ١٦٠ ــ ١٦٣ .

غيــر أن اجراءات مصطفى باشا ضــد فرنسا كانت فى الواقع إعلانا بقطع العلاقات السياسية معها أكثر منها إعلانا بالحرب عليها ، أو كما وصفهــا وزير الخارجيــة الفرنسى بأنها كانت " حربا بدون عمليات عسكرية " (١) .

واستمرت العلاقات بين الجزائر وفرنسا على ذلك المستوى مــــن القطيعة حتى تم جلاء الجيش الفرنسى عن مصر والتوقيع على المشروع التمهيدى لمعاهدة الصلح بين فرنسا والباب العالى فى ٩ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٨ اكتوبر ١٨٠١م (٢) . وقــد كتب التاجران " بكرى " وبوشناق " فــــى رسالــة لهما إلى " دوبوا تانفيل " الذى كان مقيما فى مدينة " اليكانـــــت " باسبانيا ، يقولان أن مصطفى باشا أبدى فرحا شديدا عندما سمع بعقد الصلح بين فرنسا والباب العالى ، وأنــه طلب منهما أن يخبرا الحكومة الفرنسيــــــة برغبته فى عقد معاهدة صلح جديدة معها (٣) . وإذا كانـــت هذه الرسالـــة تعبـر فى ظاهرها عن ميل مصطفى باشا نحو فرنسا ، فانها تعبر فى باطنهــا ـ كما يبدو ـ عن مدى نفوذ التاجرين المذكورين عليه شخصيا ودرجة تحكمهمــا فى القرارات التى كان يصدرها .

وقد استجابت فرنسا للدعوة ، ووقعت فى ٢٢ شعبان ١٢١٦ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠١م مع الجزائر معاهدة صلح احتوت على أربع عشرة مــــادة

---

(١) Berbrugger ، المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

(٢) Le Moniteur ، عدد ٢٦ ، ١٩ أكتوبر ١٨٠١ ، ص ٩٩ .

(٣) رسالة بدون تاريخ ، فى : C.C.C/Alger ، مجلد ٣٥ ، ورقة ٣٢٣ .

أكدت جميعها المعاهدات السابقة بين الطرفين [1] .

وهكذا يمكن القول أن موقف الجزائر من الاحتلال الفرنسي لمصر كان متأرجحا بين " التأييد " للباب العالي تبعا لقوة الضغوط الممارسة منه على الوالي مصطفى باشا ،و" الحياد " بالنسبة لفرنسا تبعا لنشاط دبلوماسيتها نحو الايالة .

ثانيا : الباب العالي والجبهة الأوروبية ضد الجزائر

كانت القرصنة ظاهرة عادية مارستها كل الدول البحرية تقريبا شرقا وغربا ضد بعضها البعض [2] . ومع ممارسة كل الأطراف للقرصنة إلا أن وجهات نظرها قد اختلفت . فأوروبا مثلا كانت ترى في الجزائر مركزا لمجموعة من النهابين وقطاع الطرق ولصوص البحر يجب تحطيمه . أما القراصنة الأوروبيون فكانوا في نظرها محاربين في سبيل الوطن والايمان وجنود الله والمسيح واجبهم محاربة المسلمين [3] .وهذا ماجعل الدول الأوروبية تقوم

---

(١) راجع نص المعاهدة في : C.C.C/Alger ، مجلد ٣٦ ، ورقة ٩ ــ ١٢ .

(٢) ألغيت القرصنة رسميا بين الدول في مؤتمر باريس الذي جمع بريطانيا وفرنسا وروسيا والدولة العثمانية في عام ١٨٥٦م، راجع :
Pakalın, M.Z., Osmanlı .... Sözlüğü , cild 2 , S 296.

(٣) Belhamissi, Moulay, Histoire de la Marine Algerienne, p. 16 - 17.

بحملاتها العسكرية المستمرة على الجزائر ، وقد أدى فشل تلك الدول في تحقيق أهدافها بشكل انفرادى إلى سعيها منذ عام ١٨١٥م، لتوحيد جهودها فى جبهة واحدة ضد الجزائر • وقد ولدت هذه الفكرة فى مؤتمر فيينا باقتراح من " السير سيدنى سميث " مؤسس " جمعية الفرسان المحررين للرقيق الأبيض فى أفريقيا " التى عقدت أول اجتماعاتها فى يناير من نفس السنة(١) • وقد اقترح رئيس الجمعية على المؤتمر فى فيينا طريقتين رآهما متكاملتين لاجبار الجزائر بصفة خاصة والايالات المغربية بصفة عامة ، على التخلى عن القرصنة • تمثلت الطريقة الأولى فى تكوين قوة بحرية مشتركة بين الدول الأوروبية لمحاصرة السواحل المغربية ومنع السفن الحربية من الخروج من موانئها ، وتمثلت الطريقة الثانية فى قيام سفراء تلك الدول فى استانبول بتحميل الباب العالى مسئولية أعمال الايالات المغربية فى حالة استمراره فى السماح لها بتنظيم عمليات التجنيد فى أقاليم الدولة العثمانية(٢) •

وقد اعتبر الباب العالى تعرض مؤتمر فيينا لقضية الايالات المغربية تدخلا مباشرا فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية ، ورأى أن أى قرار بشأن تلك الايالات يعد من صلاحياته وحده • وتخوف السلطان محمود الثانى من تعرض الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا ، للايالات الثلاث

---

(١) Reynal, G.T., Histoire Philosophique , T I, p. 155, N 1.

(٢) نفس المصدر ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥ •

فأمر بضرورة التشاور مع القبودان باشا وأعضاء الديوان الهمايونى حول إرسال مبعوث عثمانى إلى الجزائر وتونس وطرابلس لتنبيه ولاتها للأخطار المحدقة بهم نتيجة المؤامرات التى تحيكها دول أوروبا ضد أيالاتهم (١) .

وقد أرسل الباب العالى (فى نهاية ١٨١٥م أو مطلع ١٨١٦م) أحد مبعوثيه (وهو أحمد آغا) على متن سفينة همايونية إلى الايالات الثلاث (٢) . ولما كان الجزائريون قد علموا بالمخطط الأوروبى وأدركوا مدى حاجتهم إلى مساعدة الباب العالى ، فإنهم رحبوا بالمبعوث العثمانى وأظهروا الطاعة للأوامر التى حملها إليهم والمتمثلة فى احترام سفن الدول الأوروبية التى لها علاقات مع الباب العالى ، كما لبوا طلبه بإطلاق سراح خمسين أسيرا يونانيا (٣) .

وإذا كان مشروع الجبهة الواحدة الذى اقترحه " سيدنى سميث " يبدو فى ظاهره أوروبيا ، فانه كان فى حقيقته بريطانيا . ذلك أن حكومة لندن التى كانت قد قطفت ثمار الانتصار على فرنسا النابليونية ، لم ترض بأن تكون سيدة أوروبا فقط ، بل كانت تخطط لتكون سيدة على العالم بأسره .

---

(١) الجزائر ، مركز الدراسات التاريخية ، تقرير رئيس الكتاب إلى السلطان عام ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥م فى : وثائق تاريخ الجزائر العثمانى ، خ . هـ ٤٨٨٧/ ١٢٣٠ .

(٢) Le Moniteur ، عدد ١٠٨ ، ٢٧ أبريل ١٨١٦ ، ص ٤٤٣ .

(٣) نفس المصدر .

ولهذا تحمست أكثر من غيرها للمشروع وأرسلت فى أواسط جمادى الثانية ١٢٣١هـ/ أواسط مايو ١٨١٦م أسطولها إلى الجزائر بقيادة "اللورد إيكسموث" الذى قدم إلى والى الجزائر عمر باشا (١٢٣٠ – ١٢٣٢ هـ / ١٨١٥ – ١٨١٧م) عددا من القرارات زعم أنه تم الاتفاق بشأنها بين الدول الأوروبية والباب العالى وتمثلت تلك القرارات فى ضرورة التخلى عن القرصنة والتوقف عن استرقاق الأوروبيين وإطلاق سراح الأسرى الأوروبيين فى الجزائر وتسليمهم اليه (١) .

وقد ناقش أعضاء الديوان مطالب الأميرال الانجليزى وأبلغوه أن وضع الجزائر السياسي كإيالة تابعة للدولة العثمانية لا يسمح لهم بالبت فى تلك المطالب ما لم يتم التشاور مع الباب العالى (٢) ، وبعد مفاوضات حادة مع قائد الأسطول البريطانى ، تم الاتفاق على أن تقوم الايالة بمشاورات مع الباب العالى وتبلغ جوابها الرسمى لبريطانيا خلال ستة أشهر ، وفى حالة عدم التوصل إلى اتفاق معه ، فإنها (أى الايالة) تقوم بإرسال مبعوث عنها إلى لندن للتفاوض حول إيجاد وتثبيت القواعد التى تحل بها المسألة (٣) .

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٢٢ مارس ١٨١٦، فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٤٢ ، ورقة ٢٨٣ – ٢٨٦ .

(٢) نفس الرسالة .

(٣) نفس الرسالة .

وفى مطلع رجب / نهاية مايو من نفس السنة ، أبحرت السفينة البريطانية التى يقودها الربان " دورداس Durdas " من الجزائر وعلى متنها السفارة التى أرسلها عمر باشا إلى استانبول للتفاوض مع الباب العالي[١] . ومهما كان أمر تفاصيل المشاورات فى العاصمة العثمانية ، فإن أعضاء الديوان الهمايونى انقسموا ـ عند مناقشة قضية الايالات المغربية ـ إلى قسمين ، قسم اعتبر الاعتداء على أية أيالة من الأيالات الثلاث اعتداء على الدولة العثمانية ، وقسم ثان اعتبر الايالات المذكورة مستقلة عن الدولة العثمانية ولا دخل للباب العالى فى نزاعها مع الدول الأوروبية[٢] . وأما السلطان فقد رأى أن الأمر سهل إذا تعلق بالبحث عن حل وسط بين الطرفين ويحقق لبريطانيا بعض المصالح ، أما اذا كان يتعلق بالهجوم على الايالات الثلاث للقضاء عليها فإن المشكلة تصبح أكثر صعوبة[٣] .

ولم يدخر الباب العالى جهدا فى تنبيه الايالات المغربية للأخطار التى تحيط بها ، فأرسل مرة أخرى ينصح ولاتها بالالتزام باليقظة والاستعداد لمواجهة أى هجوم عسكرى قد تقوم به إحدى الدول الأوروبية . وهذه المهمة هى التى قدم من أجلها المبعوث العثمانى " حسين " إلى الجزائر فى

---

(١) رسالة من القنصل الفرنسى ، ٣٠ مايو ١٨١٦ ، فى: / C.C.C Alger ، مجلد ٤٢ ، ورقة ٢٨٩ .

(٢) تقرير رئيس الكتاب إلى السلطان عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م ، فى : وثائق تاريخ الجزائر العثمانى ، خ. هـ A/ ٢٣٥٣٧/ ١٢٣١ .

(٣) نفس التقرير .

نهايـة شهر مايو ١٨١٦م[1] . وحول مـدى أخذ الايالـة بنصائح البـاب العالى ذكر عمر باشا فى الرسالة التى بعث بها إلى السلطان فى ٥ رجـب ١٢٣١ هـ / أول يونية عام ١٨١٦م " أننا سوف نستعمل كل طاقاتنا واهتمامنا للدفاع عن هذا الشعب المسلم الذى هو تحت كفالتنا ، وأننا على استعـداد للتضحية بأنفسنا دفاعا عن ذلك" [2] .

وفى أواخر أغسطس ١٨١٦م اجتمع وزير الخارجية البريطانـى " اللورد كاسلريه " بسفراء روسيا وبروسيا والنمسا وفرنسا فى لندن ، وبحث معهم مشروع تكوين حلف عسكرى لمدة سبع سنوات لمقاومة الايالات المغربيـة . غير أن فرنسا التى كانت تدرك أبعاد السياسـة البريطانية ، رأت ضرورة دعـوة الباب العالى للمشاركة فى الحلف باعتبار أن الايالات المستهدفة جزء مـن الدولـة العثمانية . وأمام إصرار فرنسا على أخذ اقتراحها بعين الاعتبـار ، صعب على المؤتمر الوصول إلى قرار نهائى فعلق اجتماعه[3] .

ولم يكن هدف بريطانيا من وراء عقدها لمؤتمر لندن سوى كسـب تأييد أوروبى لحملتها العسكرية التى كانت تعد لها وقررت إرسالها إلى الجزائر،

---

(١) د . عبد الجليل التميمى ، بحوث ووثائق فى التاريخ المغربى ، ص ٢٣٩ .

(٢) نفس المصدر ، وثيقة ٥ ، ص ٢٥١ .

(٣) تقرير حول المشروع الأوروبى لمواجهة القرصنة المغربية فى : أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية ، M.D/Alger ، مجلـد ١٠ ، ورقـة ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

وهذا ما حدث فى ٣ شوال ١٢٣١ هـ / ٢٧ أغسطس ١٨١٦م عندما عاد اللورد إيكسموث على رأس الأسطول البريطانى ، وبرفقته " فون كابيلان " على رأس الأسطول الهولندى ، إلى مدينة الجزائر وقصفا ميناءها حيث كان أسطول الايالة رابضا ، وأجبرا عمر باشا فى النهاية على توقيع معاهدة استسلام التزم فيها بالتخلى عن إسترقاق الأوروبيين فى الجزائر[١] .

وعلى الرغم من الضربة العنيفة التى تلقتها الايالة ، فانها لم توقف نشاطها البحرى سوى مدة ثلاثة أشهر ، وأرسلت فى ٧ محرم ١٢٣٢ هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٨١٦م سفنها للتجول فى البحر المتوسط[٢] . وعندما وصلت شكاوى الدول الأوروبية حول ذلك إلى الباب العالى ، أعلن رئيس الكتاب أن السلطان العثمانى لن يتخذ أى إجراء يضر بالنظام الموجود فى المغرب وأن السبب فى ذلك ليس الدين الاسلامى فقط وإنما أيضا النظام السياسى الذى أقيمت عليه الدولة العثمانية[٣] . أما بخصوص إجبار الايالات المغربية على التخلى عن القرصنة ، فقد أعلن أن ذلك يجب أن تكلف به أيدى أمينه (ويقصد الباب العالى نفسه) ، ونظرا للتكاليف المالية التى يتطلبها ذلك العمل فإن الباب العالى لايستطيع القيام به[٤] . وفى أواخر محرم

---

(١) د . عبدالجليل التميمي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ــ ٢٥٦ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٤٠ .

(٣) رسالة من السفير الفرنسى فى استانبول ، ١٠ ديسمبر ١٨١٦م ، فى : M.D./Afrique ، مجلد ٥ ، ورقة ٢٩٣ــ٢٩٤ .

(٤) نفس الرسالة .

١٢٣٢هـ / أوائل ديسمبر ١٨١٦م استدعى السلطان محمود الثانى كلا من الصدر الأعظم محمد أمين رؤف باشا وشيخ الاسلام جلبى زادة زينى أفندى والقبودان دريا محمد خسرو باشا ،وطلب منهم المساهمة فى تحضير المعدات العسكرية التي قرر أن يرسلها إلى الايالة حتى يعيد بذلك بناء قوتها العسكرية[1] • ومع مطلع عام ١٨١٧م تم إعداد ثلاث سفن حربية محملة بالعتاد الحربى والجنود[2] • وعندما رفض السفير البريطانى منح تلك السفن رخصة المرور (بحجة أن ذلك يعد تشجيعا مباشرا من الباب العالى للجزائرعلى الاستمرار فى سياستها تجاه الدول الأوروبية) ،قرر القبودان دريا إرسال السفن الثلاث تحت حماية العلم العثمانى[3] •

وعندما أدركت بريطانيا فشل جهودها السياسية والعسكرية قررت وضع قضية الايالات المغربية فى جدول أعمال مؤتمر " إيكس لاشابيل Aix-La-Chapelle " الذى عقدته الدول الأوروبية فى أوخر عام ١٨١٨م • ولما أختلف المؤتمرون حول مشروع الحلف العسكرى الذى أحيته حكومة لندن من جديد ، تقرر تفويض بريطانيا وفرنسا للقيام بمساع سلمية لدى الايالات المغربية الثلاث لاقناعها بقرار المؤتمر الداعى إلى إلغاء

---

(١) رسالة من السفير الأنجليزى باستانبول ، ١٠ ديسمبر ١٨١٦،فى : F.O. 78 ، مجلد ٨٦ ، ورقة ٤٩ •

(٢) رسالة من نفس السفير، ٢٥ يناير ١٨١٧ ،فى : F.O. 78 مجلد ٨٨، ورقة ١٣٨ ــ ١٤٠ •

(٣) نفس الرسالة •

القرصنة وإبطال إسترقاق الأوروبيين ، كما تقرر تكليف سفراء الدول الخمس المشاركة فى المؤتمر (وهى فرنسا وبريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا) فى استانبول بالتفاوض مع الباب العالى لكسب تأييده لذلك القرار والبحث معه عن الوسيلة التى يمكن بها اقناع الايالات المغربية بالتخلى عن سياستها [١] .

وفى منتصف عام ١٨١٩م كان سفراء الدول الخمس قد تلقوا جميعا تعليمات حكوماتهم بابلاغ الباب العالى بقرارات المؤتمر، إلا أن تباين وجهات نظر تلك الدول حول القضية انعكس على العمل الذى كلفت سفراءها بالقيام به فى استانبول ، وظهر ذلك من خلال اختلاف السفراء الخمس حول طريقة تقديم قرارات المؤتمر لرئيس الكتاب . ففى الوقت الذى رأى سفيرا روسيا وبروسيا أن يتقدم إليه السفراء بطريقة جماعية مع استعمال التهديد واللهجة الشديدة فى المحادثات ، فان سفيرا النمسا وبريطانيا فضلا التقدم إليه بطريقة انفرادية مع استعمال الليونة والمسالمة فى المحادثات ، بينما التزم سفير فرنسا الصمت [٢] . كما اختلف السفراء كذلك حول ما إذا كانت تلك القرارات تقدم كتابيا إلى رئيس الكتاب كما رأى سفراء بريطانيا وبروسيا وروسيا ، أم شفهيا كما رأى سفيرا النمسا وفرنسا . وفى النهاية أعطى لكل سفير حرية التصرف حسب رغبته [٣] .

---

(١) تقرير عن الايالات المغربية عام ١٨١٩، فى : M.D./Afrique مجلد ٥ ، ورقة ٤٣٧ ــ ٤٣٨ .

(٢) نفس التقرير .

(٣) نفس التقرير .

وقد تقدم السفراء الخمس إلى رئيس الكتاب وأظهرا له (في مذكراتهم المكتوبة والشفوية) الايالات المغربية في شكل شبح مخيف يهدد أمن واستقرار الدول الأوروبية ويعيق تجارتها في البحر المتوسط ، وذكروا له أن دولهم ستضطر إلى استعمال القوة ضدها في حالة عدم الاستجابة لمطالبها ، ودعوا في نفس الوقت الباب العالي إلى التدخل للتأثير على الايالات الثلاث وتنبيهها إلى مغبة هجوم أوروبي عليها [١] • وكان رد رئيس الكتاب على السفراء جميعا بعبارات غاضبة دلت على عدم إعتراف الباب العالي بقرارات مؤتمر" إيكس لاشابيل " واعتبار التحالف الأوروبي ضد الايالات المغربية عدوانا مباشرا على الدولة العثمانية وتدخلا في شئونها الداخلية مما يتنافى وقواعد العلاقات الدولية خصوصا وأن بعض تلك الدول (وهي بريطانيا وفرنسا وبروسيا) كان لها معاهدات مع الايالات الثلاث تضمن بمقتضاها — كما ذكر رئيس الكتاب — سلامة ملاحتها في البحر المتوسط ، أما روسيا والنمسا فإن معاهداتهما مع الباب العالي هي التي كانت تضمن لهما ذلك ، وكان السلطان ملتزما بتعويضهما عن كل الخسائر التي قد تلحقهما بسبب تعرض الايالات المغربية لسفنهما التجارية [٢] •

---

(١) راجع مذكرات بريطانيا وروسيا وبروسيا والنمسا في : F.O. 78 مجلد ٩٢ ، ورقة ١٩٩ — ٢٠٧ ، ومذكرة فرنسا في : C.P./Turquie ، مجلد ٢٣٢ ، ورقة ٣٦ •

(٢) راجع رد رئيس الكتاب على سفراء بريطانيا وروسيا والنمسا في : F.O. 78 ، مجلد ٩٢ ، ورقة ٢١٠ — ٢١١ ، ورده على السفير الفرنسي في : M.D/Alger ، مجلد ١٠ ، ورقة ٣٣٠ ، وكذلك في : M.D/Afrique ، مجلد ٥ ، ورقة ٤٣٨ •

وفى ذلك الوقت (سبتمبر ١٨١٩م) وصل إلى استانبول وفد جزائرى برئاسة حاجى يوسف يحمل هدية والى الجزائر حسين باشا إلى السلطان محمود الثانى ،وأخبر حاجى يوسف الباب العالى بأن الايالة تعيش فى سلام مع جميع الدول ، وما ادعاءات الدول الأوربية سوى محاولة لالحاق الضرر بالايالة وبث الفوضى فى الدولة العثمانية [١] • وقد اقتنع رئيس الكتاب بقول رئيس الوفد الجزائرى وبلغه لسفراء الدول الخمس كجواب رسمى من الباب العالى على مذكراتهم [٢] بعد جوابه السابق لهم • وفى نفس الوقت قرر الباب العالى إرسال الدعم العسكرى إلى الايالة ، ووجه الأوامر إلى دار الترسانة بتحضير العتاد الحربى ،وإلى حكام الأقاليم فى الأناضول بالسماح لوكلاء الجزائر بتنظيم عمليات التجنيد • وفى أوائل صفر ١٢٣٥ هـ / أوائل نوفمبر ١٨١٩م أبحرت سفينة دانماركية من استانبول نحو الجزائر تحمل أجهزة عسكرية مختلفة خاصة ببناء السفن وتجهيزها [٣] ، كما أرسل الباب العالى سفينة حربية ذات إثنين وعشرين مدفعاءهدية للايالة وعلى متنها عددا من الجنود [٤] •

---

(١) رسالة من السفير الانجليزى ، ٩ سبتمبر ١٨١٩ ،فى : F.O.78 ، مجلد ٩٢ ، ورقة ٢٣٧ •

(٢) نفس الرسالة •

(٣) رسالة من السفير الانجليزى ، ٩ نوفمبر ١٨١٩،فى : F.O. 78 . مجلد ٩٢ ، ورقة ٢٨٠ •

(٤) رسالة من نفس السفير ،أواخر نوفمبر ١٨١٩،فى نفس المصدر ، ورقة ٢٩٠ •

وهكذا يتضح أن الباب العالى اعتبر تحالف الدول الأوروبية ضد الجزائر تدخلا مباشرا فى الشئون الداخلية للدولة العثمانية بحكم تبعية الجزائر لها . وإذا كان الباب العالى قد أدرك عجزه عن رد الاعتداء على الايالة ، فانه ظل يستعمل كل الوسائل التى تمكنها من الاعتماد على قوتها الذاتية للدفاع عن نفسها .

ثالثا : الباب العالى والنزاع الفرنسى الجزائرى ١٨٢٧ ـ ١٨٣٠م

تعتبر قضية الديون (التى تورطت فيها فرنسا نتيجة الحبوب التى استوردتها من الجزائر عن طريق شركة التاجرين بكرى وبوشناق لمواجهة الازمة الغذائية التى تعرضت لها فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى) [1] من أخطر القضايا التى أثرت فى مجرى العلاقات بين فرنسا والجزائر فى أواخر العهد العثمانى . وقد ألح والى الجزائر أحمد باشا فى عام ١٨٠٥م على القنصل الفرنسى " دبوا تانفيل " لكى تقوم حكومته بتسديد ديونها لشركة التاجرين المذكورين حتى تستطيع الشركة بدورها سداد ديونها لخزينة الايالة [1] ، ولكن الديون ظلت قائمة . وعندما تولى حسين باشا الحكم

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول تلك الديون راجع : د . أبو القاسم سعد الله ، محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث ، ص ٤١ ومابعدها .

(٢) رسالة من القنصل الفرنسى ، أواخر أكتوبر ١٨٠٥ ، فى : C.C.C / Alger ، مجلد ٣٧ ، ورقة ٢٧١ .

عام ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨م جدد مطالبات أسلافه لفرنسا بسداد ديونها للايالة[1] • وعند ذلك وقعت فى أبريل ١٨٢٧م حادثة المروحة الشهيرة التى اتخذتها فرنسا ذريعة لاعلان الحرب على الجزائر •

ولكى تبدو فرنسا فى موقف المعتدل تجاه الدولة العثمانية والدول الأوروبية ، قدمت سفارتها باستانبول فى أوائل أغسطس عام ١٨٢٧م ، مذكرة للباب العالى طلبت فيها منه التدخل لتأديب والى الجزائر وإلا فإنها ستستعمل القوة العسكرية لتحقيق ذلك بنفسها ، وأشارت المذكرة إلى محاصرة الأسطول الفرنسى لمدينة الجزائر[2] • ورد رئيس الكتاب برتف أفندى على السفير الفرنسى معلنا عدم شرعية عمل حكومته التى كان عليها أن تبلغ الباب العالى شكواها ضد الجزائر قبل شروعها فى أى عمل عسكرى[3] (ويقصد الحصار) • ونتيجة لمشاغل الدولة العثمانية فى إخماد حرب المورة التى استنفذت معظم جهودها المادية والمعنوية ، فإنها اكتفت بذلك الرد من رئيس الكتاب ولم تأخذ المسألة الجزائرية بعين الاعتبار ولزمت الصمت حيالها[4] • بل تحول موقف الصمت إلى موقف اطمئنان تام عندما بعث والى

---

(١) رسالة حسين باشا الى وزير الخارجية الفرنسى ، أغسطس ١٨٢٤ ، فى : Plantet, Eugene, Correspondance des Deys d'Alger, TII, P. 254-256.

(٢) كوران ، أرجنمد ، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ، تعريب د • عبد الجليل التميمى ، ص ٢٣ ــ ٢٤ •

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٤ ــ ٢٥ •

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤ ــ ٢٥ •

الجزائـر حسين باشا برسالة إلى السلطان محمود الثاني في نوفمبر ١٨٢٧ م، شرح لـه فيها حقيقة ماحدث مع القنصل الفرنسي " دوفال " الذى أهـان الاسلام والسلطان مما أدى بـه (أى بوالي الجزائر) إلى ضربه بمنشتـه . ثـم تحدث حسين باشا عن ظروف الايالـة في ظل الحصار وضرورة تزويـد الباب العالي لها بالجنود، وكذلك عن المعارك التي خاضها الأسطول الجزائري من أجل فـك الحصار الفرنسي ، والانتصارات التي حققـها في ذلك المجال[١].

وقـد وصل إطمئنان الباب العالي على الايالـة إلى أبعد الحدود عندما أرسل في السنة التالية يستدعى أسطولها إلى البحر الاسود لمساعـدة الأسطول العثماني في الحرب ضـد روسيا[٢] . وقـد شجع ذلك الاطمئنـان الباب لعالي على الاستمرار في صمته إزاء المسألة الجزائرية حتى أوائل عـام ١٢٤٥هـ/أواخر ١٨٢٩م، على الرغم من الأحداث الخطيرة التي وقعت بيـن فرنسا والايالـة وضاعفت من حـدة النزاع بينهما[٣] .

---

(١) Kuran, Ercument, La Lettre du dernier Dey d'Alger, in R.A/1952, pp. 189-195.

(٢) تونس ، المكتبة الوطنية ، فرمان القبودان دريا محمد خسرو إلـى حسين باشا ، ربيع الأول ١٢٤٤ هـ / سبتمبر ١٨٢٨م" فـي : مخطوط رقم ٣٧ ، مراسلات دايات الجزائر ، ورقة ٥٨ـ٦٠ ، و فرمان أمين الترسانة إلى حسين باشا ، ربيع الأول / أكتوبر من نفس السنة في : نفس المصدر ، ورقة ٦٠ ـ ٦١ .

(٣) د . أبو القاسم سعد الله ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

وبعد عقد "معاهدة أدرنة" بين الدولة العثمانية وروسيا في صفر ١٢٤٥ هـ/ سبتمبرعام ١٨٢٩م ،خرج الباب العالي من دائرة الصمت والاطمئنان ووجه جزءا من اهتماماته نحو الجزائر • فأرسل مبعوثه الحاج خليل أفندى إلى الجزائر وكلفه بمحاولة تقريب وجهات النظر بين والى الجزائر والحكومة الفرنسية(١) •

وعندما وصل المبعوث العثماني إلى الجزائر شرع فى أوائل ديسمبر من السنة المذكورة بالتعاون مع القنصل الأنجليزى فى مشاوراته مع حسين باشا وحاول إقناعه باتباع أسلوب أكثر ليونة فى التعامل مع الحكومة الفرنسية لحل النزاع بينهما ،ونبهه فى نفس الوقت إلى الخطر الذى يهدد الايالة فى حالة حدوث هجوم فرنسى عليها(٢) • وقد رفض والى الجزائر تقديم أى تنازل لصالح الفرنسيين خصوصا بعد أن اكتشف أسلوب الاغراءات المالية الذى لجأوا إليه لكسب وزرائه إلى جانبهم خلال المفاوضات التى دارت بين الجانبين والتى كان اهتمامهم فيها إطلاق سراح أسراهم فى الجزائر أكثر من تسوية النزاع نفسه(٣) • غير أن حسين باشا أبدى فى النهاية الموافقة على قيام المبعوث العثمانى بكتابة رسالة إلى قائد الحصار الفرنسى " دولا بروتونيير" يدعوه فيها للتفاوض بوساطته هو (أى المبعوث العثمانى) ومعه القنصل

---

(١) كوران ،أرجمند ،المصدر السابق ،ص ٢٧ •

(٢) رسالة من القنصل الأنجليزى ، ١٠ ديسمير ١٨٢٩،فى : F.O. 3 مجلد ٣٢ ،ورقة ٢٣ ــ ٢٥ •

(٣) نفس الرسالة •

الأنجليزى[١] .

وباشر الحاج خليل أفندى وساطته وكتب رسالته المؤرخة فى ١٠ ديسمبر ١٨٢٩م ، إلى قائد الحصار الفرنسى ، والتى بين له فيها طبيعة مهمته وذكر له الشروط التى عرضها عليه حسين باشا واعتبرها كقواعد أساسية للتفاوض و، وتمثلت فى عدم حصول فرنسا مرة أخرى على الامتيازات التجارية فى مدينة عنابة لتفادى أى نزاع حولها فى المستقبل ، وإمكان استفادتها من صيد المرجان إذا عرضت أكثر مما عرضته بقية الدول ، والتزام تنصلها بالقواعد الدولية فى التعامل مع الايالة مع الابقاء على المعاهدات الموقعة بين الطرفين[٢] .

وعلى الرغم من التنازلات التى أبداها حسين باشا والشروط المعتدلة التى عرضها لانهاء النزاع بين الايالة وفرنسا بطريقة سلمية ، فان الحكومة الفرنسية لم تشاطره الرأى . ويتضح ذلك فى رسالة قائد الحصار إلى المبعوث العثمانى حيث ذكر بصراحة أن التعليمات التى تلقاها من حكومته تمنعه من الاستجابة لأى طلب يعرض عليه يهدف المصالحة مع الجزائر ما لم ينفذ حسين باشا الشروط التى قدمت إليه[٣] . وأمام تصلب الجانب

(١) رسالة القنصل الانجليزى السابقة فى : F.O. 3 ، مجلد ٣٢ ، ورقة ٣٣ ـ ٣٥ .

(٢) راجع نص الرسالة فى : M.D/Alger ، مجلد ١١ ، ورقة ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٣) راجع نص الرسالة فى نفس المصدر ، ورقه ٢٤٧ .

الفرنسي فشل المبعوث العثمانى فى مهمته واضطر إلى العودة إلى إزمير[١] •

وهكذا ففى الوقت الذى تحركت الدبلوماسية العثمانية لحل النزاع سلميا ، واجهتها الدبلوماسية الفرنسية بتصلب شديد لتزيد النزاع تعقيدا وتمهد الطريق بذلك لفرنسا لتحقيق مشاريعها الاستعمارية فى المغرب • وفى هذا الاطار قدمت السفارة الفرنسية فى استانبول فى مطلع شهر ديسمبر عام ١٨٣٠م ، مذكرة للباب العالى أشارت فيها إلى عدم جدوى الأنظمة القائمة فى المغرب وضرورة إلغائها لعدم اعترافها بالسيادة العثمانية، وإسناد مهمة الالغاء إلى والى مصر محمد على باشا كحل وسط بين أن تقوم بهذه العمليـة الدول الأوروبية أو الباب العالى[٢] •

واذا كان الباب العالى قد اعترف بتبعية الايالات المغربية إسميا للدولة العثمانية[٣] ، فانه رفض استعمال القوة ضدها لتأكيد السيادة العثمانية عليها ، ولم يوافق على تدخل محمد على فى المسألة الجزائرية ، واقترح بدل ذلك إرسال مبعوثين ، أحدهما عثمانى والآخر فرنسى ، إلى الجزائر ليقوما بالتعاون فيما بينهما بتقريب وجهات النظر بين الايالة وفرنسا

---

(١) رسالة من السفير الفرنسى ، ١٠ مايو ١٨٣٠، فى : C.P/Turquie مجلد ، ٢٥٩ ، ورقة ١٢٧ •

(٢) راجع نص المذكرة فى : C.P/Turquie • مجلد ٢٥٥ ، ورقة ٤٢٣ ـ ٤٢٦ •

(٣) رسالة من السفير الفرنسى ، ٧ ديسمبر ١٨٢٩، فى نفس المصدر ورقة ٤٣٥ •

ومعالجة الأزمة سلميا [١] • غير أن السفير الفرنسى رفض هذا الاقتراح وأصر على إلغاء النظام القائم فى الايالات المغربية وهدد بأن الملك الفرنسى " سيتولى إرسال حملةعسكرية ضد الجزائر – سواء بمفرده ، أو بالتعاون مع دولة أخرى لتنفيذ مايراه صالحا للقوى المسيحية ولضمان كرامتها " [٢] •

وفى مقابلة مع مترجم السفارةالفرنسية فى أوائل ديسمبر ١٨٣٠م ، أعاد رئيس الكتاب اقتراحه بشأن الوساطة وذكر أن اختيار الباب العالى قد وقع على طاهر باشا (لكونه جزائريا وعالما بشئوون الايالات المغربية)[٣] لمرافقة المبعوث الذى ستعينه السفارة الفرنسية الى الجزائر للتوسط بين حسين باشا و الحكومة الفرنسية [٤] • وعندما اتهم مترجم السفارة الفرنسية الباب العالى بعرقلة مشروع بلاده ، رد عليه رئيس الكتاب بقوله:" كن مطمئنا ! إن هدفنا واحد ولا اختلاف بيننا سوى فى الوسائل التى يريد كل منا استعمالها،وسيبدأ الباب العالى بالجزائرين" [٥] ، (ويقصد بذلك – فيما يبدو – التخلص من والى الجزائر حسين باشا) •

---

(١) نفس رسالة السفير الفرنسى السابقه ، فى : C.P/Turquie مجلد ٢٥٥ ، ورقة ٤٣٥ •

(٢) نفس الرسالة •

(٣) لمزيد من التفاصيل حول حياة طاهر باشا، راجع الفصل الثالث ، ص ١٤٦ •

(٤) رسالةمن السفير الفرنسى ، ٩ ديسمبر ١٨٢٩ ، فى : C.P./Turquie ، مجلد ٢٥٥ ، ورقة ٤٣٨ – ٤٤٠ •

(٥) نفس الرسالة •

وفى شعبان ١٢٤٥ هـ / فبراير ١٨٣٠م ، انسحب برتف أفندى من رئاسة الكتاب وخلفه حميد باى[1] الذى ماأن تولى منصبه حتى أرسل إليه السفير البريطانى مذكرة من حكومته تفيد أن فرنسا قد أبلغت بريطانيا رسميا فى ٢٢ يناير ١٨٣٠ م باتفاقها مع والى مصر (محمد على) ليقوم بارسال حملةعسكرية للاستيلاء على الايالات المغربية الثلاث ويحكمها بإسم السلطان مع إلتزامه (أيمحمد على) بارسال الجزية الى الباب العالى ومنع أهلها من ممارسة القرصنة فى موانئها وتعويدهم على الحياة وفقا للأنظمة السائدة فى أوروبا[2] . ونصحت حكومة لندن الباب العالى بالاسراع فى مباشرة مشروع الوساطة الذىاتفق بشأنه مع السفير الفرنسى[3] ، وذلك بإيفاد طاهر باشا إلى الاسكندرية دون انتظار تعيين المبعوث الفرنسى ، لينبه محمد على إلى وقف تدخله فى النزاع بين فرنسا والجزائر ، ثم يواصل طريقه

---

(١) كوران ، أرجمند ، المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(٢) راجع نص المذكرة فى : F.O. 78 ، مجلد ١٨٩ ، ورقة ١٤٦ ــ ١٥٠ .

(٣) من خلال المقابلة التى أجراها مترجم السفارةالأنجليزية مع رئيس الكتاب فى أوائل ينايرعام ١٨٣٠م ، تبين أن السفير الفرنسى " كيليمينو " قد وافق فعلا على مشروع الوساطة الذى اقترحه الباب العالى ، كما وافق على قيام السفارة الفرنسية بتعيين مبعوث عنها لمرافقة طاهر باشا إلى الجزائر ، مما جعل الباب العالى يستدعى هذا الأخير منمدينة " شمنو" إلىاستانبول . راجع : رسالة من السفير الأنجليزى ، ١٢ يناير ١٨٣٠، فى : F.O. 78 ، مجلد ١٨٩ ، ورقة ١٤٢ ــ ١٤٥ .

من هناك إلى الجزائر لينصح حسين باشا بابداء ليونة أكثر تجاه فرنسا التى سيتولى الباب العالى تسوية نزاع الايالة معها . ولم تستبعد حكومة لندن فى مذكرتها ، حضور مبعوث فرنسى إلى الجزائر عندما يصل طاهر باشا إليها [١].

وقد قدمت المذكرة البريطانية للسلطان محمود الثانى مساء اليوم الثالث من رمضان ١٢٤٥ هـ / ٢٦ فبراير ١٨٣٠م ، وبعد الاطلاع عليها وافق على سفر طاهر باشا [٢] . وعندما تأكد رئيس الكتاب حميد باى من عدم وجود الرغبة لدى السفير الفرنسى فى تعيين مبعوث عنه ليرافق مبعوث الباب العالى إلى الجزائر ، طلب منه رسالة إلى قائد الحصار الفرنسى يحملها طاهر باشا معه ليسمح له بدخول مدينة الجزائر ، وهو الطلب الذى تلقى رئيس الكتاب الموافقة عليه من السفير الفرنسى يوم السادس من مارس [٣] .

وفى الوقت الذى كان الباب العالى لايزال يعد لسفر طاهر باشا اتضح فشل المشروع الفرنسى المصرى ، خصوصا بعد أن أعلن محمد على بأن حملته على الايالات المغربية لا يمكن أن تنجح إلا إذا كانت تحمل صبغة إسلامية وهى الصبغة التى لايمكن الحصول عليها بالاتفاق مع الفرنسيين

---

(١) نفس المذكرة البريطانية فى : F.O. 78 ، مجلد ١٨٩ ، ورقة ١٤٦ ـ ١٥٠ .

(٢) رسالة من السفير الأنجليزى ، ٢٧ فبراير ١٨٣٠ فى : نفس المصدر ، ورقة ١٦٩ .

(٣) كوران ، أرجمند ، المصدر السابق ، ص ٣٢ .

والتعاون الصريح معهم[1] . ولما تأكدت فرنسا من فشل المشروع أرسلت تبلغ الباب العالي قرارها بإرسال حملة عسكرية ضد الجزائر ، إلا أنها تأمل كثيرا أن ينجح مبعوثه (طاهر باشا) فى مهمته ، وأنها ستسكت عن القضية الى أن ترد رسالة منه حول المهمة التى يكون قد قام بها فى الجزائر[2] .

وتمشيا مع تطور الأحداث وباتفاق مع السفير الفرنسى ، قرر الباب العالى أن يتوجه طاهر باشا إلى الجزائر مباشرة دون أن يمر بالاسكندرية ، كما قرر أن يبعث إلى محمد على باشا ليقطع كل علاقة له بالمسألة الجزائرية[3] ، وفى ٢٢ شوال / ١٦ أبريل أبحرت السفينة العثمانية " نسيم الظفر " وعلى متنها طاهر باشا مع كاتبه ومترجمه ، نحو الجزائر[4] .

ولم تكن فرنسا ترغب بتاتا فى نجاح الوساطة التى تبناها الباب العالى ، لأنها كانت تريد فى المقام الأول الاستيلاء على مدينة الجزائر

---

(١) Sabri, Mohamed, L'Empire Egyptien, P. 176.

(٢) كوران ، أرجمند ، المصدر السابق ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(٣) مذكرة الرئيس أفندى إلى السفارة الأنجليزية ، ٢١ مارس ١٨٣٠ ، فى : F.O. 78 ، مجلد ١٨٩ ، ورقة ١٨٨ـ١٨٩ . وللاطلاع على نص الرسالة التى بعث بها الباب العالى إلى محمد على ، أنظر أحمد لطفى ، تاريخ لطفى ، ج ٢ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٧ .

(٤) كوران ، أرجمند ، المصدر السابق ، ص ٣٤ .

وخزينة قصبتها التى تحتوى على عشرات الأطنان من الذهب وأضعافها من الفضة وأشياء ثمينة أخرى ، علاوة على مواد التموين التى تزخر بها مخازنها [١]. والدليل على ذلك أن الملك الفرنسى شارل العاشر أمر بعد أربعة أيام فقط من مغادرة طاهر باشا لاستانبول (أى فى ٢٠ أبريل) باصدار مرسوم تعيين "الكونت دوبورمون" قائدا للحملة [٢] . مما أنبأ مقدما بعدم جدوى المهمة التى أرسل من أجلها طاهر باشا وفشله المسبق فى أدائها .

ومهما كان من أمر فقد غادر طاهر باشا استانبول ومعه رسالة من السفير الفرنسى إلى قائد الحصار ، ورسالة أخرى من السفير الأنجيليزى إلى قائد الأسطول البريطانى لضمان عدم التعرض له خلال رحلته والسماح له بالتوجه إلى الجزائر [٣] . أما السلطان فقد سلمه رسالة تضمنت التعليمات التى حددت مهمته [٤] ، كما أرسل معه فرمانا إلى حسين باشا وأعضاء ديوانه وضع لهم فيه مهمة مبعوثه ودعاهم إلى مساعدته على حل النزاع سلميا وبطريقة ترضيهم وترضى الحكومة الفرنسية على أساس أن الجزائر تعد إحدى مقاطعات

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول خزينة الجزائر ، انظر : Hamdani, Amar, Laverité sur L'Expédition d'Alger, PP. 220-258

(٢) Le Moniteur ، عدد ١١٠ ، ٢٠ أبريل ١٨٣٠ .

(٣) رسالة من السفير الانجليزي ، أبريل ١٨٣٠ ، فى : F.O. 78. مجلد ١٨٩ ، ورقة ١٩٧ .

(٤) كوران ، أرجمند ، المصدر السابق ، ص ٣٤ — ٣٥ .

الدولة العثمانية ، و أن فرنسا أحد أقدم أصدقائها [١] .

ووصلت " نسيم الظفر " إلى ميناء حلق الوادى بتونس يوم ١٧ ذى القعدة ١٢٤٥ هـ / ١٠ مايو ١٨٣٠ م . ولكى يكون طاهر باشا بمنأى عن العوائق التى كان من المحتمل أن يضعها قائد الحصار الفرنسى فى طريقه ، رأى أن ينزل من سفينته ويواصل رحلته برا إلى الجزائر . لكن والى تونس حسين باى رفض بتحريض من القنصل الفرنسى ، السماح له بذلك [٢] . وربما كان طاهر باشا ينوى " النزول إلى البر ليتوجه إلى الجزائر لخلع الباشا وبزواله تزول النازلة فى رأيه" [٣] . ولذلك اضطر طاهر باشا إلى مغادرة تونس ومواصلة طريقه إلى الجزائر عن طريق البحر . وبينما كان كذلك التقى صدفة بالحملة الفرنسية (التى كانت قد أبحرت من ميناء " تولون" العسكرى فى ٢٥ مايو) متوجهه إلى الجزائر . وبعد إجتماع قصير بقائدها

---

(١) راجع نص الفرمان فى : İlter, A. Samih, Şimali Afrika'da Turkler, Cild 2, S 106-107.

(٢) أحمد بن أبى الضياف ، أتحاف أهل الزمان ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٥ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١٣ . ويمكن اعتبار قول الرئيس أفندى لمترجم السفارة الفرنسية " كن مطمئنا ... وسيبدأ الباب العالي بالجزائريين " الذى سبق ذكره (ص ٢٢٩) دليلا آخر على أن طاهر باشا كان يحمل تعليمات سرية حول عزل حسين باشا من منصبه وتوليه الحكم مكانه فى الجزائر .

" دوبورمون " قطع المبعوث العثماني رحلته وتوجه إلى " تولون " من أجل الاتصال بالحكومة الفرنسية في باريس ٠ أما الحملة فقد واصلت طريقها نحو هدفها المحدد [١] ٠

وكان أول ماقام بهطاهر باشا في ٥ ذي الحجة ١٢٤٥هـ/ ٢٧ مايو ١٨٣٠م، كتابة رسالة إلى رئيس الوزراء الفرنسي " بولينياك" في باريس، بين له فيها أنه مبعوث من قبل الباب العالي للتوسط بين فرنسا والجزائر ، وأنه قدم إلى " تولون " بعد رفض السماح له بالتوجه إلى الجزائر [٢] ٠ ثم ذكر له أن إحلال السلم بين الجانبين سيعود بالنفع عليهما ، كما أن استجابة فرنسا لدواعي السلم لن ينقص من سمعتها وإنما يزيد منها ، لأنها ستضع قواعد إنسانية جديدة تكون صالحة في الحاضر والمستقبل ، ودعاه في النهاية الى إيقاف الحرب وعدم السماح لها بالوصول إلى أبعد مما هي عليه [٣] ٠

وبعد ذلك بأربعة أيام أرسل وزير الخارجية الفرنسي إلى محافظ " تولون " ليستفسر من طاهر باشا عما إذا كان يحمل الصلاحيات الكاملة للتفاوض باسم الباب العالي مع الحكومة الفرنسية حول المسألة الجزائرية [٤] ٠ وفي الرسالة التي رد بها المبعوث العثماني على ذلك في ذي الحجة

---

(١) Hamdani ، المصدر السابق ، ص١٤٨ ٠

(٢) راجع نص الرسالة في : M.D./Alger ، مجلد ٥ ، ورقة ٣١٢ ـ ٣١٤ ٠

(٣) نفس الرسالة ٠

(٤) راجع نص الرسالة في : نفس المصدر ، ورقة ٣٢٠ ٠

٥ يونية ، ذكر أن التعليمات التى يحملها قد سبق أن أرسلها إليه (أى إلى بولينياك) وأن ذهابه إلى باريس للتفاوض مع الحكومة الفرنسية غير ممكن لأن عليه أن يبدأ مشاوراته مع والى الجزائر ويبلغه الأوامر التى حملها إليه من الباب العالى [١] .

ولقد كانت فرنسا تجهل مصير حملتها فى الجزائر، ومن ثم فلم تستبعد الدخول فى مفاوضات مع الباب العالى تضمن لها تحقيق أهدافها أو جزء من تلك الأهداف . وهذا ما تبينه الرسالة التى بعث بها وزير خارجيتها فى ٣ يونية إلى قائد الحملة " دوبورمون " حيث أخبره بالمهمة التى قدم من أجلها طاهر باشا وذكر له أن مجلس الملك رأى أنه فى حالة إجراء مفاوضات حول المسألة الجزائرية ، فعلى الباب العالى أن يتنازل لفرنسا عن ميناء عنابة وكل المنطقة الواقعة بين نهر " سيباس " على الحدود الجزائرية التونسية شرقا،ومدينة " سطورة " غربا ، والبحر المتوسط شمالا ، والصحراء الكبرى جنوبا [٢] . وفى النهاية بين وزير الخارجية الفرنسى فى رسالته مدى الفوائد التى ستعود على فرنسا وشعبها من تلك المنطقة فى المستقبل [٣] .

---

(١) راجع نص الرسالة فى : M.D/Alger ، مجلد ٥، ورقة ٣٤٤ .

(٢) راجع نص الرسالة فى : نفس المصدر ، ورقة ٣٣٨ ــ ٣٤٢ .

(٣) نفس الرسالة .

ولهذا لم تشأ الحكومة الفرنسية ــ قبل أن تعرف مصير حملتها ــ أن تصارح المبعوث العثمانى بنواياها الحقيقية فى الجزائر وموقفها إزاء الوساطة التى قدم من أجلها ، وفضلت اتباع سياسة المماطلة معه لتبقيه ورقة رابحة فى يدها تستعملها وقت الضرورة . وعندما تأكدت فى مطلع شهر يولية من انهزام الجزائريين وانفتاح الطريق أمام جيشها نحو مدنية الجزائر ، أنهت مماطلتها وكشفت عن موقفها الحقيقى إزاء طاهر باشا . حيث أخبره وزير الخارجية بطريقة ديبلوماسية فى أول يولية بعدم السماح له بمباشرة أية مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لعدم الاعتراف به كمبعوث رسمى من الباب العالى [1] ، وأعطاه حريه الاختيار بين التوجه إلى باريس حيث يخصص له لقاء خاص تسوده روح الصداقة ، أو العودة إلى استانبول ليقدم تقريرا عن مهمته للباب العالى ، وذلك قبل أن تنتهى مدة إقامته التى حددت بأربعين يوما [2] .

أما فى العاصمة العثمانية فان الباب العالى قد اقتنع بالنجاح الذى اعتقد أنه حققه بخصوص إبطال الحملة التى كان محمد على ينوى القيام بها على الايالات المغربية بالتعاون مع فرنسا ، وكذلك بإرساله طاهر باشا الذى كلفته مهمته ثلاثمائة ألف قرش . بالاضافة إلى ذلك فإنه استبعد تماما

---

(١) رسالة وزير الخارجية الى طاهر باشا ، فى : M.D/Alger مجلد ٦ ، ورقة ٤ ــ ٥ .

(٢) نفس الرسالة .

فكرة احتفاظ فرنسا بالجزائر فى حالة الاستيلاء عليها . ولهذا امتنع الرئيس افندى عن الاستفسار من السفير الفرنسى عن المرحلة التى وصلت إليها أزمة بلاده مع الايالة[1] .

وفى السادس من أغسطس قدم مترجم السفارة الفرنسية فى استانبول مذكرة للرئيس أفندى أخبره فيها باستيلاء الجيش الفرنسي على الجزائر وأطلعه على موقف طاهر باشا وأخبره بأنه غادر " تولون " فى ١٤ محرم ١٢٤٦ هـ/ ٥ يولية ١٨٣٠م متوجها نحو الشرق[2] . وهو اليوم نفسه الذى سقطت فيه مدينة الجزائر .

---

(١) رسالة من السفير الأنجليزى ، ٢٤ يونية ١٨٣٠ ، فى : F.O. 78 مجلد ١٩٠ ، ورقة ١١٥ .

(٢) كوران ، أرجمند ، المصدر السابق ، ص ٣٨ .

خاتمة

لعل أهم مايمكن القيام به فى خاتمة هذه الدراسةهو تحليل العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالى فى ضوء ما كشفت عنه فصولها . فمن خلال ما تم معالجته من علاقات فى تلك الفصول يمكن فهم وتفسير تلك العلاقات بين الطرفين فى عدة إتجاهات عامة يمكن حصرها فى ثلاثة إتجاهات :

أولا : إتجاه (**التبعية**) من جانب الأيالة إزاء الدولة العثمانية بحكم خضوع الأيالة سياسيا وإداريا للباب العالى ، وهو الخضوع الذى كرسه دخول الجزائر فى حظيرة الدولة العثمانية عام ١٥٢٠م .

ثانيا : اتجاه (**الانتماء**) من جانب الأيالة نحو الدولة العثمانية بحكم المشاركة فى العقيدة الواحدة ، ومن ثم – ربما – فى الاستراتيجية الواحدة .

ثالثا : إتجاه (**التعاون**) و(**التضامن**) بين الجانبين ، وقد ظهر ذلك الاتجاه واضحا عندما كان الباب العالى والأيالة يشعر كل منهما بحاجة إلى الآخر عسكريا أو سياسيا .

ويؤكد تاريخ العلاقات بين الجانبين – كما أبانت عنه الدراسة فى الوضع المناسب – وجود تلك الاتجاهات بوضوح .

وقد تميزت العلاقات بين الأيالة والباب العالى بشكل عام وفى ظل تلك الاتجاهات بالايجابية بمعنى بعدها عن العداء والنفور ، والتطابق بمعنى

المماثلة والمشابهة فى الأسلوب والنمط •

تلك هى الاتجاهات العامة التى يمكن بمقتضاها تحليل وتفسير طبيعة العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالى •

الا أن ثمة اتجاه مهم رئيسى – تركزت عليه الدراسة ويبدو فى معظم تفاصيلها – حكم العلاقات بين الطرفين فى جوهرها • ويقصد به اتجاه (البروتوتايب Prototype) •

ويقصد باتجاه (البروتوتايب) علاقة الأصل بالفرع ، أو النموذج المثالى بالواقع المحدد • فهو إتجاه النموذج الأصلى أو الأولى الذى تصنع وتطور على أساسه نماذج أخرى ، وقد لخص ذلك الاتجاه الرئيسى –(اتجاه البروتوتايب) – طابع العلاقات بين أيالة الجزائر والباب العالى كما حاولت فصول الدراسة رصد جوانب العلاقات التى تنم عنه وتشير إليه • ولعل ذلك أهم منجزات هذه الدراسة •

الملاحق

ملحق (١) :

قائمة بأنواع السفن الجزائرية فى ٣١ ديسمبر ١٨١٩م،
وطريقة الحصول عليها (١)

عدد السفن	أنواعها	عدد مدافعها	طريقة الحصول عليها
١	فرقتين Fregate	٤٦	هدية من الباب العالى عام ١٨١٧، وهى فى حالة سيئة .
١	فرقتين .	٣٢	هدية من سلطان فاس وهى فى حالة جيدة .
١	فرقتين .	٣٢	تم بناؤها فى الجزائر وهى فى حالة جيدة .
١	قزوت Corvette	٢٢	هدية من الباب العالى عام ١٨١٧، وهى فى حالة سيئة .
١	بريق Brick	٢٢	وهى السفينة الوحيدة التى نجت من تدمير حملة اللورد ايكسموث عام ١٨١٦ م .
١	بريق	١٨	هدية من سلطان فاس عام ١٨١٨، وهى فى حالة سيئة .
١	بريق	١٨	اشترتها الايالة من بريطانيا وهى فى حالة جيدة .
٣	بريق	١٤	اشترتها الايالة من بريطانيا وهى فى حالة جيدة .
١	شباك Chebeck	٤	اشترتها الايالة من اسبانيا .
٦	زورق خفيف Bombardier	١	
٢٤	زورق خفيف شالوب Chalcupe	١	

(١) وزارة الخارجية الفرنسية، C.C.C/Alger، مجلد ٤٥، ورقة ٩٣ .

ملحق رقم (٢)

خريطة بأسماء أهم مدن الاناضول التى كان يأتى منها المتطوعون الى الجزائر

أوروبا (الروملي)
البحر الأسود
البحر المتوسط
سوريه
قبرص
ج. كريت
استانبول
ابزميت
انيبولي
صامصون
اماسيه
طرابزون
قارص
بورصا
بندرما
نيق شهير
بولو
جانكيري
طوسيا
توقات
ارضن الروم
اسكي شهير
كتاهية
انقره
جوروم
سيفاس
آق حصار
تيره
ازمير
مانيسيا
آيدين
موغلا
كوشاداسي
الاشهير
آفيون
بوردور
اسبرته
انطاليا
كونيا
قرمان
كيرشهير
نكده
ملاتيا
ديار بكر
عرفه
فان

المصادر و المراجع

تنقسم المستندات التى اعتمد عليها فى إنجاز البحث إلى ثلاث مجموعات هى :

أولا : المصادر

الوثائق غير المنشورة :

وتتوزع حسب أماكن وجودها على أربع مجموعات :

(١) مدينة الجزائر :

أ ــ المركز الوطني للدراسات التاريخية ، قسم تاريخ الجزائر العثماني ، واعتمدت الدراسة على الوثائق المعروفة بخط همايون (خ ٠ هـ) والموجودة تحت الأرقام التالية :

١٤٦٥١/ ١٢١٣ — ٨/ ٢٢٥٣٧/ ١٢٣١
٣٣٧٤/ ١٢١٩ — ٣٣٣٠١/ ١٢٣٢
٢٢٥١٨/ ١٢٣٠ — ٣٩٣١٥/ ١٢٤١
٤٨٨٧/ ١٢٣٠ — ٣٤٣٥٨/ ١٢٤٥
١٦٨٧٢/ ١٢٣١

ب ــ المكتبة الوطنية ، مخطوط رقم ١٦٤٢ ، رسائل محمد باى وأحمد باى الى عمر باشا وحسين باشا .

تنقسم المستندات التي اعتمد عليها في إنجاز البحث إلى ثلاث مجموعات هي :

أولا : المصادر

الوثائق غير المنشورة :

وتتوزع حسب أماكن وجودها على أربع مجموعات :

(١) مدينة الجزائر :

أ ـ المركز الوطني للدراسات التاريخية ، قسم تاريخ الجزائر العثماني ، واعتمدت الدراسة على الوثائق المعروفة بخط همايون (خ . هـ) والموجودة تحت الأرقام التالية :

١٤٦٥١/ ١٢١٣	A/ ٢٢٥٣٧/ ١٢٣١
٣٣٧٤/ ١٢١٩	٣٣٣٠١/ ١٢٣٢
٢٢٥١٨/ ١٢٣٠	٣٩٣١٥/ ١٢٤١
٤٨٨٧/ ١٢٣٠	٣٤٣٥٨/ ١٢٤٠
١٦٨٧٢/ ١٢٣١	

ب ـ المكتبة الوطنية ، مخطوط رقم ١٦٤٢ ، رسائل محمد باي وأحمد باي الى عمر باشا وحسين باشا .

(٢) **مدينة تونس :**

أ ـ مركز دار الباى : استندت الدراسة الى صناديق الأرشيف

صندوق رقم ٢٢١ ، ملف ٣٥٣

صندوق رقم ٢٢٣، ملف ٣٨٤/ ١

صندوق رقم ٢٢٢ ، ملف ٣٧٩

ب ـ المكتبة الوطنية ، مخطوط رقم ٣٧ ، مراسلات دايات الجزائر .

(٣) **باريس :**

أ ـ أرشيف وزارةالخارجية :

ـ المراسلات القنصلية والتجارية (C.C.C/Alger) .

وهى المجلدات التالية :

٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٤٦ .

ـ المراسلات السياسية (C.P / Turquie) .

وهى المجلدات التالية :

١٩٩ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٥ إضافى .

ـ مذكرات ووثائق : (M.D) .

M.D/Alger ، المجلدات : ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١١

M.D/Turquie ، مجلد ٣٣ .

M.D/Afrique ، مجلد ٥ .

ب — أرشيف الجيش البرى بوزارة الحربية (M.R/Algerie)

اعتمدت الدراسة على المذكرتين التاليتين :

صندوق ٨٨١ ، مذكرة (١) ، مذكرة تاريخية حول الجزائر والايالات المغربية منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي حتى الحملة الانجليزية عام ١٨٢٤م ، (بالفرنسية) .

صندوق ١٣١٤ ، مذكرة ٢٦ ، مذكرة تاريخية حول أيالة الجزائر قبل الغزو الفرنسي (بالفرنسية) .

ج — الأرشيف الوطني الفرنسي :

سجلات الجزائر العربية والتركية (228 MI)

228 MI 1 ، سجل ١ ، ٢

228 MI 13 ، سجل ٨ ، ٥

228 MI 14 ، السجلات ١٣، ١٥ ، ١٦ ، ١٩

228 MI 15 ، السجلات ١٩ ، ٢٢، ٢٧ ، ٢٨

228 MI 16 ، سجل ٣٠

228 MI 17 ، سجل ٤١

(٤) **لنـــــدن :**

دار المحفوظات البريطانية ، وثائق وزارة الخارجية (F.O) .

ملفات خاصة بالجزائر : F.O.3 ، المجلدات : ٩، ١٠، ١١، ٣٢

F.O. 95 ، مجلد ١/٣ . F

ملفات خاصة بالدولة العثمانية : F.O. 78 ، المجلدات ، ٢١، ٣٠، ٣١، ٥٥ ، ٨٦، ٨٨، ٩٢، ٩٤، ١٨٩، ١٩٠ .

الوثائق المنشـــــورة :

(أ) **وثائق منشورة باللغة العربية :**

- عبد الجليل التميمى (دكتور) : أول رسالة من أهالى مدينة الجزائر الى السلطان سليم فى المجلة التاريخية المغربية، عدد ٦/يناير ١٩٧٦ .
- ———————— بحوث ووثائق فى التاريخ المغربى ، ١٨١٦ـ ١٨٧١، ط ١ ، تونس، ١٩٧٢ .

(ب) **وثائق منشورة باللغة العثمانية :**

- حبيب أفنـــــدى : رياض الكتباء وحياض الادباء، مطبعة بولاق ، ١٢٤٢ هـ .

(جـ) وثائق منشورة بلغات أوروبيـــة :

Berbrugger, André, la Regence d'Alger sous le Consulat et L'tempire, in. R.A. 16/1872.

Cataoui, René, Le Régne de Mohamed Ali d'aprés les Archives Russes en Egypte, S.R.G.E, Le Caire, 1931, TI.

De Martens. Geo. Fred, Recueil des Principaux traités de L'Europe depuis 1761 Jusqu'a nos jours, TII: 1779-1786, TIV supplement et continuation Jusqu'à 1797, Gotting, Diecterich, 1791, 1800.

Deny, Jean, Les Registres de Solde des Janissaires d'Alger, in, R.A. 61/1920.

Devoulx, Albert, Ahd Aman in, R.A. 4/1859-50.

Devoulx, Albert, Tachrifat, Alger, 1853.

Elliot, Janathan, American Diplomatic Code, Treaties and Conventions between the United States and Foreign Powers from 1778 to 1834, Washington, Vol.I, 1834.

Feraud, Charles, Un Voeux du Hussein Bey, in R.A. 7/1863.

Kuran, Ercument, La Lettre du dernier Dey d'Alger au Grand Vezir, in R.A./1952.

Plantet, Eugene, Correspondance des Beys de Tunis et les Consuls de France avec La Cour, 177-1830, TIII, Paris, Alcan, 1899.

Planlet, Eugene, Correspondance des Deys d'Alger avec La Cour de France, 1679-1833, 2, edition. Tunis, Bouslama 1981, TI.II.

Swanson, Claude, A, Naval Documents related to the United States wars with the Barbary Powers, Washington, U.S. Government Printed Office, 1939.

Anonyme, Corrspondance de Napoléon, Publiée par Ordre de L'Empereur Napoléon III, Vol. VIII, Paris imprimerie Royal,e s.d.

-

-

-

الكتابات والآثار التاريخيـة :

— رشـيد بورويبـه : الكتـابات الأثرية فى المساجد الجزائرية ، ترجمة ابراهيم شبوح ، الجزائر ، الشركـة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ .

Colin, Gabriel, Corpus des inscriptions arabes et Turques de D'Algerie, Paris, Ernest le Roux, 1901.

المخطـوطات :

— سيرة المجاهد خير الدين ، (مجهول المؤلف) ، مخطوط بالمكتبـة الوطنية ، بباريس ، رقم ١٨٧٨عربى .

مصادر أولية مطبوعـة :

أ — باللغة العربيـة :

— ابن أياس (محمد بن أحمد الحنفى) ،: بدائع الزهور فى وقائـع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، ج ٥ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ .

— أحمد الشريف الزهـار : مذكرات ، تحقيق أحمد توفيق المدنـي ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ .

- حمدان بن عثمان خوجة : المرآة ، تعريب محمد العربي الزبيري، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٢ .
- شالر وليام ، (قنصل أمريكانى الجزائر) : مذكرات ١٨١٦ ــ ١٨٢٤م ، تعريب اسماعيل العربى ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢
- كاثكارت ، جيمس لندز ،(أسيرالداى) : مذكرات ، تعريب اسماعيل العربى ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٨٢ .
- محمد بن يوسف الزيانى : دليل الحيران ، وأنيس السهران، فى اخبار مدينة وهران ، تحقيق المهدى البوعبدلى ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ .
- مسلم بن عبد القادر : أنيس الغريب والمسافر ، تحقيق رابح بونار ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ .
- نور الدين عبد القادر : صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء الحكم التركى ، نشر كلية الآداب ، قسنطينة ، مطبعة البعث ، ١٩٦٥ .

(٦) **الصحـــــف :**

Le Moniteur Universel ، (الصحيفة الرسمية للحكومة الفرنسية ١٧٩٩ ــ ١٨٤٨م) .

عـــدد ٣٤٤ ، ٣١ أغسطس ١٨٠٠ .

عـــدد ٢٦ ، ١٩ أكتوبر ١٨٠١ .

عـــدد ٢٤٧ ، ٣ سبتمبر ١٨١٦ .

عـــدد ٢٥٥ ، ١١ سبتمبر ١٨١٦ .

عـــدد ١١٠ ، ٢٠ أبريل ١٨٣٠ .

عـــدد ١٠٨ ، ٧ أبريل ١٨١٦ .

ب ــ باللغات الأجنبيــة :

Ahmed Cevdet Paşa, Tarih-i Cevdet, Ankara 1984.

Bardoux J., Lavie d'un Consul aupres de La Regence d'Alger, in R.A. 65/1924.

Baştav, Şerif, Description Grecque de La Porte et de L'Armée du Sultan Mehamed II, par Ordo Portae, Budapest, 1947.

Chaillou, L'Ancien, L'Algerie en 1781, Mémoire du Consul C. Ph. Valliere , Consul Géneral de France à Alger, 1779-1781. Toulon chez L'auteur s.d.

D'ohsson Mouradgea, Tableau géneral de L'Empire Ottoman, Paris, imprimerie des Monsieurs TI 1787, TII 1790, TIII 1820.

Emerit, Marcel Memoire sur Alger, par Petis de La Croix en 1695, in, A.I. E.D, TXI /1953.

Esquer, Gabriel, Reconnaissance des villes, forts et Batteries d'Alger en 1808, par le chef de Bataillon Boutin, suivie des Mémoires sur Alger, par le consul de kercy en 1791, et Dubois Thainville en 1809, Paris, Champion, 1927.

Feraud, Charles, Ephemaire d'un secretaire officiel sous la Domination Turque a Alger de 1785à 1805, in. R.A. 18/1874.

Grassi, Alféo, Charte Turque, ou Organisation religieuse, civile et militaire de L'Empire Ottoman, Paris, L.U, de P. Monge, 1825, TI.II.

J.M.H,B, Iteneraire du Royaume d'Alger au début du 19e siecle, Second tirage, Toulon, L. Lourient, 1830.

Pananti, Philipo, Relation d'un sejour à Alger, Traduit de L'Italien en Anglais par M. Blaquiere, et de L'Anglais en Francais, Paris, chez Le Normant, 1820.

Rand, Sander, et Denis, Fernand, Fondation de La Regence d'Alger, "Histoire des Barbarous T.I.II. 2e edition, Tunis, Bous Lama 1984.

Renaudot, M, Tableau de La Ville d'Alger et de ses environs, Etat de Son Commerce, force de terre et mer, moeurs et usages, Paris, Librairie Universelle, 1830.

Ricaut, Escuyer, Histoire de L'Etat Présent de L'Empire Ottoman, Paris, Sebastien, M. Bre-Camoisy, 1670.

Shaw, Thomas (Docteur), Voyoge dans la Regence d'Alger, 2e edition, Tunis, Bouslama, 1980.

Tornton, Th, Etat actuel de la Turquie, Traduit de L'Anglais, Paris, J.G. Denteu, 1812, T.I.II.

Veuture de Paradis, Tunis et Alger ou 18e siecle, Mémoires et Observations rassemblés et presentés par Joseph Cuoq, Paris, Saindbad, 1983.

ثانيا : المراجع

أ ـ باللغة العربية :

- ابو القاسم سعد الله (دكتور): العلاقات الجزائرية الأمريكية ١٧٧٦ ـ ١٨٣٠م ، فى " أبحاث وأراء فى تاريخ الجزائر ، القسم الأول ، ط ٢ ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ .
- ـــــــــــ تاريخ الجزائر الثقافي ، من القرن العاشر الى الرابع عشر الهجرى ، الجزء الأول ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ .
- ـــــــــــ محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث ، "بداية الاحتلال " ، ط ٣ ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٢ .
- أحمد توفيق المدني : محمد بن عثمان باشا ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية ، ١٩٨٦ .
- أحمد تيمور : تاريخ العلم العثماني ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٧ هـ .
- د رويش النخيلى (دكتور) : السفن الاسلامية على حروف العجم ، جامعة الأسكندرية ، ١٩٧٤ .

- سامح عزيز ايلتر : الأتراك العثمانيون فى شمال أفريقيا الشمالية ، ترجمة عن التركية عبد السلام أدهم ، ط ١ ، طرابلس ١٩٦٩ .

- سبنسر ، وليام : الجزائر فى عهد رياس البحر ، ترجمة عن الانجليزية عبد القادر زبادية ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ .

- عادل سعيد بشتاوى . الأندلسيون المواركة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

- عبد العزيز محمد الشناوى : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترىً عليها ، الجزء الأول ، القاهرة ، مكتبة الآنجلو المصرية ، ١٩٨٠ .

- فريك بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق ، احسان حقى ، ط ١ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٩٨١ .

- كوران ، أرجمند (دكتور) : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر ، ١٨٢٧ — ١٨٤٧م ، ترجمة عن التركية د . عبد الجليل التميمي ، ط٢ ، تونس ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، ١٩٧٤ .

- ليلى الصباغ (دكتورة) : الوجود المغربي فى الشرق المتوسطى فى العصر الحديث ، بحث نشر فى المجلة التاريخية المغربية ، عدد ٧ و ٨/ يناير ١٩٧٧ .

- ليلى عبد اللطيف أحمد (دكتور) : الادارة فى مصر فى العصر العثمانى ، رسالة دكتوراه ، قدمت فى كلية الآداب، جامعة عين شمس ،عام ١٩٧٥ .

- محمد العربي الزبيرى (دكتور) : التجارة الخارجية للشرق الجزائرى ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

- مولاى بلحميسي ، (دكتور) : الجزائر من خلال رحلات المغاربة فى العهد العثماني ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٨١ .

- ناصر الدين سعيدوني : النظام المالى للجزائر فى الفترة العثمانية ١٨٠٠ — ١٨٣٠م ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٩ .

(ب) باللغة العثمانية :

- على رضا باشا : مرآت الجزائر ، ترجمة من العربية الى العثمانية علي شوقي ، استانبول ، ١٢٩٣ هـ .

- على رضا سيفي : بارباروس خير الدين ، استانبول ، بحرية مطبعة سي ، ١٣٣٠ .

- محمد شكري : أسفار بحرية عثمانية ، جزء أول ، استانبول ، قره بت مطبعة سى ، ١٣٠٦ .

ج ـ باللغات الأجنبية :

Baudicourt, L. de, La Guerre et Gouvernment d'Alger, Paris, Sagnier Bray 1853.

Belhamissi, Moulay, Histoire de la marine algerienne 1516-1830, Alger, E.N.L, 1983.

Bemis, Samuel Flagg, A diplomatic history of the United States, first published, London, Janathan cape, 1937.

Berbrugger, André, les Casernes des Janissaires, in R.A. 3/1858-59.

Boyer, Pierre, La vie quotidienne a Alger ā laveille de L'Intervention Française, Paris, imprimerie Nationale, 1964.

Colombe, Marcel, Contribution à l'étude du recrutment de l'Odjak d'Alger, in R.A./1943.

Danişmend, Ismail Hami, Izahlı Osmanlı Tarihi Kronolojisi, Istanbul, Turkey Yayinevi, 1971.

Deheran, Henri, La Mission du Commissaire Géneral Dubois Thainville auprès du Dey d'Alger, in Revue d'Histoire de Colonies, 1926.

Deny, Jean, Sommaire des Archives Turques du Caire, Paris, S.R.G.E, 1930.

Devoulx, Albert, Notes historiques sur les mosquées etautres edefices religieux d'Alger, in R.A. 4/1859-60.

Devolux, Albert, La marine de la Régence d'Alger, in R.A. 13/1869.

Djevad Bey, Ahmed, Etat militaire Ottoman depuis la fondation jusqu'à nos Jours, Traudit du Turc par George Macrides, Paris TI. Vol.I, le corps des Janissaire depuis Sa création jusqu'à sa suppression, accompapné d'un album, Paris, Ernest le Roux, 1882.

Esterhazy , Walsin, Deladomination turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris, Charles Cossetin, 1840.

Gibb, H.R., and Bowen, Harold, Islamic Society and the West, Vol.I, Part I.II. second impression, London, Oxford University Press, 1951.

Grammont, Henri, de, Histoire d'Alger sous la domination turque 1516-1830, Paris, Ernest le Roux, 1887.

Hamdani, Amar, La vérité sur L'expedition d'Alger, Paris, Bolland, 1985.

Hugon, Henri, Les emblemes des Beys de Tunis, Paris, Ernest le Roux, 1913.

İlter, Aziz Samih, Şimali Afrika'da Turkler, Cild 1-2, İstanbul 1936-37.

Kitsikis, Dimitri, L'Empire Ottoman, Collection Que-sais-Je? n° 2222, Paris, P.U.F., 1985.

Kurtoĝlu, Fevzi, Sançaĝımız, 2 ci, baskı Istanbul, Sebat Matbaasi, 1934.

Kurtoglu, Fevzi, Yunan Istiklal Harbi Ve Navarin, Muharabası, (372 Sayılı Deniz Mecmuasının Tarih, Ilavesi) Cild 1-2, İstaboul 1944.

Lybyer, A.H., The Government of the Ottoman Empire, in the time of Soleiman The Magnificent, London, Cambridge Harard University Press, 1913.

Mantran, Robert, L'évolution des relations entre la Tunisie et L'Empire Ottoman du 16^e au 19^e siecle, in Cahiers de Tunis, T.VIII/1959.

Nettement, Alfred, Histoire de la conquête d'Alger, Nouvelle edition, Paris, Librairie edition, Paris, Librairie Jacque le Coffre, 1867.

Öztuna, Yılmaz, Osmanlı Devleti Tarihi, Istanbul, 1986.

Pakalın, Mehmet Zeki, Osmanlı tarih deyimleri ve teerimleri Sözlüğü, Istanb ul, Milli eğitim Basimevi, 1983, cild I-III.

Polgy, Gregoire, Les Emprunts de L'Etat Ottoman, Paris, Le Joure, 1915.

Ranke, Léopolde de, Histoire des Osmanlis et de la Monarchie Espagnole Pendant le 16e et le 17e siecle, traduit de l'Allemand par J.B. Haiber, Paris, chez De Becourt, 1839.

Roynal, D.G.T, Histoire philosophique et politique des etablissements et du commerce des Europeens dans l'Afrique septentrionale, TI, Paris, Amable Coste, 1826.

Rozet, P, Alger, in "Algerie et Etats tripolitains" 2e edition, Tunis, Bouslama, 1980.

Sabri, Mohamed, L'Empire Egyptien sous Mohamed Ali 1811-1849, Paris, Librairie. Orientale, 1930.

Temimi, Abdeljelil, Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey 1830-1837, Tunis, publié par Revue d'Hstoire Maghribine, 1978.

Uzunçarsili İsmail Hakki, Osmanli Tarihi, 4 cu baskı, cild 2, Ankara, Turk Tarih kurumu Besimevi, 1983.

————, Osmanlı Devleti Teşkilâtından Kapukulu Oçakları, Cild 1, acemi oçagı ve Yeniçeri Ocagi, 2ci baskı, Ankara, Turk Tarih kurumu Basimevi 1984.

————, Osmanlı Devletinin Saray Teşkilâtı, 2ci baskı, Ankara, Turk Tarih Kurumu, 1984.

———— Osmanlı Devletinin Merkez ve Bahriye teşkilâti, 2 ci baski Ankara, Turk Tarih Kurumu Basimevi,1984.

Weissman, Nahoum, Les janissaires "Etude de L'organisation militaire ottomane", Paris, Librairie Orient, 1964.

ثالثا : مؤلفات عامة مساعدة

— عبدالجليل التميمي (دكتور) : موجز الدفاتر العربية والتركية بالجزائر، تونس، المعهد الاعلى للتوثيق ، ١٩٨٣.

— محمد علي الانسي ، (باشكاتب)، الدور اللامعات فى منتخبات اللغات ، (قاموس عثماني عربي) ، بيروت، جريدة بيروت ، ١٣١٨ هـ .

— رد حاوص، جيمس الانكليزى : كتاب معانى لهجة ، " قاموس عثمانى انجليزى ، ط ٢ ، بيروت ، مكتبة لبنان، ١٩٧٤ .

Mantran, Robert, Inventaire des Documents d'Archives Turcs de Dar Elbay de Tunis, Paris, P.U.F, 1961.

Bianchi, T.x, et Kieffer, J.D, Dictionnaire TurcFrançais, Paris, 1850.

Deny, Jean, Grammaire de la langue turque, dialogue Osmanli, Paris, imprimeri Nationale, 1921.

Unat , Faık Raşid, Hicri Tarihleri Miladi tariheCevirme kilavuzu, دليل تحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية 5 ci baski, Ankara, Turk Tarih kurumu Barimeri 1984.

Encyclcpedie le d'Islam.